

الأستاذ الدكتور
محمد حسن حسن جبل
أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر
العميد المؤسس لكلية اللغة العربية بالمنصورة
حالياً أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم





42 Opera Square - Cairo Tel.:(202) 23900868

من القضايا الكبرى
في القراءات القرآنية

الأستاذ الدكتور

محمد حسن حسن جبل

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر

العميد الأسبق لكلية اللغة العربية بالمنصورة

حالياً أستاذ غير متفرغ بكلية القرآن الكريم



42 Opera square - Cairo – Egypt

الناشر
مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨

الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com



الناشر

مكتبة الآداب

علي حسن

الطبعة الأولى: ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

جبل ، محمد حسن حسن.

من القضايا الكبرى في القراءات القرآنية/

/ محمد حسن حسن جبل.-

القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠١٢.

١٩٦ ص ؛ ٢٤ سم.

تدمك ٦ ٤٠٣ ٤٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ – القرآن – القراءات

أ – العنوان

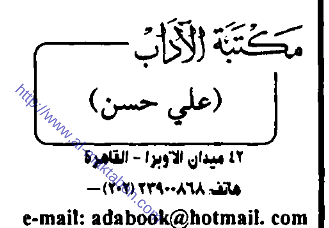
٢٢٨

عنوان الكتاب: من القضايا الكبرى في القراءات القرآنية

الأستاذ الدكتور: محمد حسن حسن جبل

رقم الإيداع: ١٥١٣ لسنة ٢٠١٢م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 978 - 977 – 468 - 403 – 6



مكتبة الآداب

(علي حسن)

٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة

هاتف ٢٣٩٠٠٨٦٨ (٢٠٢) –

e-mail: adabook@hotmail. com



مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه وتحياته وبركاته على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان.

وبعد، فهذه مسائل أحسست أنها يجب أن تطرح لدارسي القرآن والقراءات ليدرسوها، توسيعًا وتعميقًا لثقافتهم القرآنية، حتى لا يظلوا أَسْرَى لمقولات أملاها الحماس دون أساس علمي. وهي مقولات يترتب عليها سوء فهم النقد الموجه إلى بعض القراءات.

والمسائل التي عولجت في هذا الكتاب هي:

أ – نزول القرآن بلغة قريش. وهي مسألة ضافية الذيول.

ب – الفرق بين القرآن والقراءات. وهي من المسائل التي عَبَرت بضعة قرون حتى زمننا هذا، ولم تغادر مستوى «فيها قولان».

ج – «يقينية سند القرآن» ، وهي مشهورة بمسألة «الخلاف بين التواتر وصحة السند». وهي أيضًا مسألة عابرة للقرون.

د – «معارضة جبريل للنبي عليهما صلوات الله وتسليماته – بالقرآن الكريم، وهي تُطْرَح بمناسبة ما قيل عن أمور شَمِلتها تلك المعارضة.

هـ – تصويب آراء للإمام الداني رحمه الله – وقد وجدت أن حق الإسلام

والمسلمين أن تصوَّب آراء له في المعارضة المذكورة قبلا، وفي الحرف الذي نقرأ به القرآن الكريم.

و – فورية تدوين القرآن الكريم كتابةً. وهذه مسألة من لوازم بعض المسائل السابقة.

وقد سميت تلك المسائل قضايا، أخذًا بما شاع الآن من استعمال (قضية) بمعنى (مسألة).

أسأل الله سبحانه أن يتقبل هذا العمل قبولا حسنا، وينشر النفع به، وأن يقيض لما يمكن أن يكون فيه من أَوَد من يقوِّمه. اللهم آمين.

وصَلِّ اللهمَّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

الفقر إلى الله تعالى

أ. د. محمد حسن حسن جبل

أستاذ أصول اللغة بجامعة الأزهر

حاليًا: أستاذ بكلية القرآن الكريم بطنطا

البريد الإلكتروني: e.mail: kariimgabal@hotmail.com

الهاتف الجوال: ٠١٢٢٤٤٤٣٧٧٥ (٠٠٢)

طنطا ١٢ من المحرم ١٤٣٣هـ

٧ من ديسمبر سنة ٢٠١١م



١

نزول القرآن بلغة قريش

١ - مَن قريش؟

أَشهرُ من قال عنه المؤرخون إنه الملقب بلفظ (قريش)، وإنه الجَدُّ الذي سُمِّيَتْ به قبيلة النبي ﷺ هو (النَضْرُ) بن كِنَانة بن خُزَيْمة بن مُدْرِكَة بن إِلْياس بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ بن عدنان». فكل مَن كان من وَلد النَضْر فهو قرشيّ دون سائر ولد كِنانة ومَنْ فوقه». وقيل هو (فِهْر) بن مالك بن (النضر) المذكور[1]. و(النَضْر) هو الجد الثاني عشر للرسول ﷺ، و(فِهْر) هو الجد العاشر. وقد أُثِرَتْ عن أجداد الرسول ﷺ في سلسلة نسبه الشريف مآثرُ عظيمة، نُنَوِّه منها هنا بما له صلةٌ بمكة أو البيت الحرام، لصلة ذلك بقريش، وذلك في حدود جُهدنا القاصر. فمنذ (نِزار) الجَدّ الثامن عشر و(مُضَر) الجد السابع عشر كانت للأجداد الموقَّرين وذريتهم الكثرةُ والغَلَبَةُ في الحجاز دون سائر بني عدنان، وكانت لهم الرياسة بمكة. و(إلياس) الجَدّ السادس عشر هو أول من أَهْدَى البُدْنَ إلى البيت الحرام. وبنو (مُدْركة) الجد الخامس عشر و(خُزَيمة) الجد الرابع عشر و(كِنانة) الجد الثالث عشر كانت مساكنهم حول مكة وفي عرفات، وكان (فهر) الجد العاشر رئيسَ الناس بمكة، وكان قائد (كِنانة) ومن انضم إليها من مُضَر في قتالهم لحسّان بن عَبْد كُلاَل الحِمْيري في

---

(١) ينظر تاج العروس (قرش).

القرن الرابع الميلادي، حين أغار حَسّان على الحجاز بجيش من اليمن، يريد نَقْلَ حَجَر الكعبة إلى اليمن لتحويل الحَج إلى بلاده، فظفِرَ (فهرٌ) ومن معه، وانهزمت حِمْير. وكانت منازلُ بنيه حول مكة. وكانت السيادة لبنيه: (غالب) الجد التاسع ثم (لُؤَيّ) الجد الثامن، ثم (كَعب) الجد السابع الذي توفى عام ٤٥٤م. وكان عظيم القَدْر عند العرب، وأَرَّخُوا بموته إلى عام الفيل (٥٧١م)، وهو أول من سَنّ الاجتماع يوم الجمعة تجتمع قريش إليه فيه فيخطبهم ويَعِظهم. ومن بنيه (مُرّة) الجد السادس، و (كِلاَب) الجدّ الخامس (ومعنى اسمه: مُكَالِبٍ أي مُجاذب ومُقَاوٍ أي لا يستسلم). ثم (قُصَيّ) الجد الرابع رئيس قريش في عصره. اشترى مفاتيح الكعبة من أَبى غُبْشان: المُحْتَرِش بن حُلَيل بن حُبْشِية بن سَلول ابن كعب، وكعب هذا هو خُزاعة بن عَمْرو بن لُحَيّ من الأزد، من قحطان. فولِيَ قُصَيّ البيتَ الحرام، وجَدَّدَ بناء الكعبة، وجمع قومه من الشعاب والأودية وأسكنهم مكة، فلُقِّب مُجَمِّعاً. وكانت له الحجابة (ولاية أمر الكعبة حفظ المبنى ورعايته والمفتاح لإتاحة الدخول أو منعه)، والسقاية (سَقْى الحُجاج الماءَ مُحَلًّى بالزبيب)، والرفادة (تقديم اللحم وسائر أنواع الطعام للحُجّاج طوال موسم الحج)، والندوة (مجلس الشورى)، واللواء (القيادة). وكان أمره في قومه كالدين المَتْبوع. وخَلَفه (عبدُ مَنَاف) الجد الثالث، ثم (هاشم) الجد الثاني الذي هَشم الثريد لقومه بمكة في إحدى المجاعات. وهو أول مَن سن الرحلتين: في (الشتاء) إلى اليمن، وفي (الصيف) إلى الشام، وأَخَذَ الحِلْف من قيصر لقريش أن تأتي الشام وتعود آمنة؛ وتولى السقاية والرفادة (ت نحو ٥٤٤م)، وخَلَفه ابنه (عبد المطلب) الجد الأول للنبي ﷺ أحد سادات العرب، كانت له السقاية والرفادة،

وخلّص وطنه من غارة الحبشة، رَأَسَ من ٥٢٠ إلى ٥٧٩م[١].

٢-اللغة:

٢/ أ: كلمة (لغة) إذا أضيفت إلى اسم قبيلة فالمقصود بها لهجة تلك القبيلة. وهي بهذا المعنى كثيرة في تراثنا. وكلمة (لغة) تستعمل الآن بمعنى اللسان العام لأمة من الأمم. كما نقول (اللغة) العربية، (اللغة) الإنجليزية. واللهجة هي طريقة خاصة في نطق لغة عامة واستعمالها، تتميز بتلك الطريقة الخاصة، وتلزمها قبيلةٌ أو بيئةٌ معينةٌ من أهل تلك اللغة العامة. والطريقة الخاصة تتمثل أمور: في النطق كالإمالة والإدغام وتسهيل الهمز ومد الصلة .. وأضداد ذلك، وفي الصرف كضبط خاص لعين الفعل، وكسر حرف المضارعة...، وفي النحو كإعمال أدوات أو إهمالها خلافاً للغة العامة...، وفي الدلالة كاستعمال بعض المفردات بمعنى مخالف لما تستعمل به في اللغة العامة.

٢/ ب: (تعريف موجز بلغة قريش):

لغة قريش هي اللغة التي كانت تتكلم بها تلك القبيلة العربية العريقة النبيلة وفروعُها ومن عايشهم. وكان جمهورهم يقيمون بمكة المكرمة أو حواليها إلى نطاق الحجاز.

ولغة قريش هذه تمثل -في رأينا- قوام ما يسمى **اللغة العربية الفصحى المشتركة**.

فبتلك العربية الفصحى المشتركة التي تمثلها لغة قريش جاءت أشعار عصر الجاهلية والعصور الإسلامية الأولى، ونثر تلك العصور أيضاً.

---

(١) كل المعلومات عن الأجداد الأكارم من (الأعلام) للزركلي، كلٌّ تحت اسمه في (الأعلام).

- ولغة قريش هذه- ضمن ما يسمى أحياناً لغة الحجاز[1]- هي المرجع الذي استُمِدّت منه قواعدُ النحو والصرف والأصوات: ومن أجل ذلك نُصّ في تلك القواعد على ما خرج عن لغة الحجاز كلغة تميم وغيرها.

- ويؤيد هذا تماماً أن سيبويه (١٨٠هـ) عالج في كتابه (وهو أبكر كتاب في النحو والصرف والأصوات وتم تأليفه في عصر الاحتجاج)، عالج تلك المجالات في ضوء لغة الحجاز، فهو كثيراً ما يقارن بها وينظّر بها في ما يشبه الاحتكام والاحتجاج مقابلَ لغة تميم غالباً وغير تميم نادراً. وقد ذُكرت (لغة الحجاز) في (الكتاب) أكثر من سبعين مرة. ثم إن سيبويه -وحسبك به- نوّه وأشاد (بلغة الحجاز) عدة مرات. فقال مرة عن عدم إدغام كلمة (وتد): «وهي **الحجازية الجيدة**»، وعن عدم الإدغام في (جعل لك): «والبيان في كل هذا عربي **جيدٌ حجازي**» وعن قولهم (ارْدُدْ) بالفك حسب لغة الحجاز: «وهي **اللغة العربية القديمة الجيدة**، ولكن بني تميم أدغموا»، وقال مرة أخرى عن الحجازية «**وهي اللغة الأولى القدمى**»[2].

وفي التراث ما يشير إلى أن لغة الحجاز كانت هي المعيار عند المتقدمين[3].

---

(١) ينظر: لغة قريش. مختار الغوث. ص٣٤.

(٢) أ - أخذت الإحصائية عن لغة الحجاز من فهرس الكتاب للشيخ عضيمة ٨٩٠-٨٩١ مع التحقق منها. ب - كلمات سيبويه في التنويه بلغة الحجاز مواضعها على التوالي من الكتاب طبعة بولاق، ٤٢٩، ٢/ ٤٠٧، ٤٢٤، ٤١.

(٣) ينظر تنويه ابن قتيبه بلغة الحجاز، وعيبه على إمام القراءات حمزة مخالفته للغة أهل الحجاز في (تأويل مشكل القرآن) ص ٦٠، وانظر النوع ٣٧ في الإتقان للسيوطي حيث عقده لما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز.

- ولغة قريش لا تَنْقُص عن العربية الفصحى المشتركة إلا تحقيق الهمز، وذلك في مواضع خاصة، إذ لا يخفى أن تسهيل الهمز له مواضع محدّدة وإن كانت منتشرة التطبيق، ولذا سهل استدراك هذا النقص بتحقيق الهمز في أكثر الشعر والنثر في الفصحى المشتركة دون شعور بغرابة.

وأخيراً فإن لغة قريش خلت من الخصائص اللهجية التي عابت كثيراً من اللهجات العربية الأخرى، مثل عنعنة تميم[١]، عَجْعجة قُضَاعة[٢]. وكشكشة ربيعة ومضر[٣]. وكسكستهم[٤]، وفحفحة هذيل[٥]، وشنشنة اليمن[٦]، وطمطمانية حمير[٧]، ووتم اليمن[٨]، وتلتلة بهراء[٩]، ووكم ربيعة[١٠]، ووهم كلب وربيعة[١١]، ولَخْلَخانية الشحر

---

(١) قلب همزة أن عيناً فتصير (عن).

(٢) قلب الياء المشددة وغيرها في آخر الكلمة جيماً. (على- علج).

(٣) قلب كاف الخطاب للمؤنثة وغيرها شيناً أو إلحاق شين بتلك الكاف (إليك- إليكش- إليش).

(٤) قلب كاف الخطاب للمؤنثة وغيرها سيناً أو إلحاق سين بتلك الكاف (إليكس).

(٥) قلب حاء (حتى) عيناً فتصير (عتى).

(٦) قلب الكاف شيناً أو شيناً مركبة ch من (لبيك): (لبيش اللهم لبيش).

(٧) قلب لام (ال) ميماً (البر- امبر).

(٨) قلب السين تاء (الناس – النات).

(٩) كسر حرف المضارعة (تِعْلَم- نِعْلَم).

(١٠) كسر كاف ضمير خطاب الجمع إذا كان قبله ياء أو كسرة (عليكُم- عليكِم).

(١١) كسر هاء ضمير الغيبة للجمع (منهُم- منهِم).

وعُمان[1]، وقُطْعة طَيِّئ[2]، وتضجُّع قيس[3]، وعَجْرفية ضبة[4]، وفُراتية العراق[5]، وتفخيم التاء حتى تصير طاء[6]. ثم هناك استنطاء سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار[7]. وهناك الإمالة، والفك والإدغام، وتفخيم السين حتى تصير صادًا (السراط- الصراط)، والمعاقبة[8]».

هذا إلى نحو ثلاثين من اللهجات غير الملقبة[9].

فسلامة لغة قريش من تلك العيوب وما إليها- وهذه حقيقة واقعية، لُحِظَت ونُوِّهَ بها منذ منتصف القرن الأول الهجري[10]، ورَدَّدَ هذا التنويه

---

(١) لكنة في الكلام كنطق: (ما شاء الله) – (مشالله).

(٢) قطع آخر الكلمة فيقول في يا أبا الحكم- يا أبا الحكا.

(٣) تباطؤ في الكلام وتقعر فيه.

(٤) جفاء في الكلام يتمثل في تفخيمه وتغليظه.

(٥) عجلة في الكلام.

(٦) (أفلتني- أفلطني).

(٧) قلب عين أعطى نوناً (أعطى- أنطى).

(٨) مثل المواثق- المياثق.

(٩) ينظر في اللجهات الملقبة بعضها: الكامل للمبرد (تحـ. الدالي) ٢/ ٧٦٥- ٧٦٧، وأكثرها في المزهر للسيوطي (تحـ. محمد أبي الفضل وصاحبيه) ١/ ١٢٢-٢٢٣، ومن المراجع الحديثة (اللهجات العربية في التراث) د. أحمد علم الدين الجندي (الدار العربية للكتاب) ٣٥٩- ٤٠٩، وسائر الكتاب دراسة للهجاتٍ أكثرها غير ملقب، (المقتضب في لغة العرب) د. محمد رياض كريم ١٢٣- ١٧٥ وهو جامع للهجات الملقبة وكثير من غير الملقبة.

(١٠) ينظر الكامل للمبرد (الدالي) ٢/ ٧٦٥.

اللغويون بعد[1]، واقتصار نقصها عن الفصحى المشتركة على تسهيل الهمزة في مواضع معينة، مع يُسْر استدراكها: هو برهان على أنها تمثل العربية الفصحى المشتركة[2]. وكل ما ذكرناه يقدم مصداقية تطبيقية لكلمة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه «قريش هم أوسط العرب في العرب دارًا، وأحسنه جوارًا، وأعربه أَلْسِنة» وهذه الكلمة أَنْفَسُ وأدلّ من كل احتجاج. وقال قتادة (وهو من أعلم علماء التابعين باللغة ت ١١٨هـ) كانت قريش تجتبي أي تختار أفضل لغات العرب (يعني كلماتها وأساليبها) حتى صار **أفضلُ لغاتها** لغةً لها، فنزل بها القرآن[3]. فلا غرابة في أن ينزل القرآن بها.

٣ -: (المقصود بالعنوان: نزول القرآن، وتبليغه معاً):

٣/ أ: الدكتور غانم قدوري الحمد- بحّاثة وعالم جليل- كتب في مسألة (نزول القرآن بلغة قريش) هذه، وكأنه استشعر فَرْقاً- في المقصود بين نزول القرآن أي إيحائه إلى النبي ﷺ وتَلَقِّى النبي ﷺ القرآن من سيدنا جبريل –عليه السلام- وبين تبليغ النبي ﷺ القرآن إلى الناس، فَوَرَّى في كلامه عن احتمال أن

(١) ينظر المزهر ١/ ٢٢١ (كلمة الفراء)، ٢١١ (كلمة ثعلب)، وفيها خطأ فاحش هو (تضجع قريش) الصواب (تضجع قيس) كما في مجالس ثعلب ١/ ٨٠.

(٢) عن لغة قريش عامة ينظر كتاب (لغة قريش: لمختار الغوث، وهو معالجة مختلفة تماما عن معالجتنا. فهو معالجة تطبيقية جيدة. وقد تناولت معالجته مجالات الصرف (والأصوات) والنحو والمعجم. وانتهت إلى ما يتفق مع ما ذهبت معالجتنا الموجزة إليه، وهو أن لغة قريش كانت هي قوام العربية الفصحى المشتركة. انظر (ص٤٨٣-٤٩٣) منه.

(٣) تهذيب اللغة للأزهري (عرب).

يكون تلقّى النبيِّ من جبريلَ -عليهما السلام- القرآنَ كان بغير النطق العربي القرشي المعروف. فقال إن المعروف «أن النبي ﷺ تلقى القرآن من جبريل -عليه السلام-، ...وليس من شأننا هنا التعرض لذلك الجانب الغيبي من التلقي، وإنما الذي يعنينا هو التبليغ النبوي للنصّ القرآني إلى الناس. وهنا تتحدد دلالة عبارة: نزول القرآن بلغة قريش. حيث يُفْهَم منها أن طريقة نطق النبي ﷺ لألفاظ القرآن كانت بالنطق السائد للعربية في مكة، وأن ألفاظ القرآن ذاتها كانت مما جرى في استعمال الناس القاطنين في مكة وما حولها، وأن كتابته قد جرت على ذلك النطق وتلك الألفاظ.اهـ»[1]. وهذا الكلام يشمل أمرين: كيفية الوحي، والنطق الذي تلقاه النبي ﷺ من جبريل -عليه السلام- ونقول: أما كيفية الوحي فقد دُرِس الجانبُ القرآنيّ المقبولُ شرعاً منها بما يشفي[2] إن شاء الله، وأما النطق فإن الأدلة المؤدية إلى اليقين بأنه ﷺ كان يتلقى القرآن من جبريل منطوقاً بالعربية القرشية هي أدلة حاسمة. ومنها قوله تعالى ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة ١٦-١٨] فهو كان يحرك لسانه ليلْقَفَ ما يتلقاه، ثم أُمِر باتباع ما يُلْقَى عليه. وهذا يعني أنه ﷺ كان يتلقَّف ألفاظاً وعبارات قرشية، لا معاني، ولا

---

(١) ينظر بحث د. غانم الحمد عن (نزول القرآن بلغة قريش) في كتابه: أبحاث في العربية الفصحى/ ط. دار عمار.

(٢) ينظر: مقال الإمام د. جودة المهدي في الموسوعة القرآنية المتخصصة (وزارة الأوقاف بمصر) ص١-٢٩، (الظاهرة القرآنية) لمالك بن نبي، (دار الفكر المعاصر) ١٤٣-١٧٢، تلقي النبي ﷺ ألفاظ القرآن لعبد السلام مقبل المجيدي (مؤسسة الرسالة)، ١٥-١٥٠.

كلاماً غير عربي، ولا عَرَبياً منطوقاً بغير لغة قريش. والقول بغير ذلك شَطْح، بل عبث فارغ من المعنى، يُحيله موقف إلقاء الوحي من مَلَكٍ إلى نبي عربي قرشي.

وقد جاء في الحديث الصحيح تفسير لآخِر هذه الآيات فيه صورة تنفيذه ﷺ لما فيها ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ قال: فاستمع له وأنصت. ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾: ثم إن علينا أن تقرأه. فكان رسول الله ﷺ، بعد ذلك، إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ **كما قرأه**[1]». وهذا التفسير فيه توكيد للتلقي بالقرشية، كما هو صريح في عبارة «فإذا انطلق جبريل قرأه النبي ﷺ كما قرأه».

ومنها ما ثبت أن جبريل –عليه السلام– كان يعارضه ﷺ بالقرآن في رمضان من كل عام، وعارضه به في العام الأخير مرتين[2]. وكانت المعارضة لتثبيت ما لقّاه جبريلُ إياه، ولنسخِ ما نُسِخ. ولم يقل أحد –ولا يقال– إن النبي ﷺ كان يترجم ما أَوحى به إليه جبريلُ إلى العربية.

٣/ ب: والخلاصة أن الدكتور/ غانم الحمد رأى أن معالجة موضوع (نزول القرآن بلغة قريش) مقصورة على تبليغ النبي القرآن، أي طريقة نطقه ﷺ ما أنزله الله عليه عندما بلَّغه إلى الناس. ونحن نقول إن الفصل بين الناحيتين (تلقى النبي القرآن من جبريل، وتبليغ النبي القرآن إلى الناس) لا أساس له كما بيّنا، ونعالج الموضوع على أساس أن النبي ﷺ كان ينطق عند تبليغه القرآن كما نطق جبريل –عليه السلام–. ومعالجتنا للموضوع تنصبُّ على التبليغ، مع القطع بأنه

---

(١) صحيح البخاري الحديث رقم ٥ (طبعة بولاق ١/ ٨) – أي كما قرأه جبريل.

(٢) صحيح البخاري الحديث رقم ٦ (طبعة بولاق ١/ ٨).

لم يكن هناك فرق في نطق النص الكريم بين حالة تلقيه وحالة تبليغه.

٤ – إثبات نزول القرآن بلغة قريش:

- الدليل النقلي:

٤/ أ: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤] هذا من فضل الله تعالى على الأمم كلها أن يكون لسان رسول الله سبحانه إلى أية أمة هو اللسان الذي تتحدث به هذه الأمة، وذلك ليبلغهم رسولُه رسالة الله إليهم واضحةً جلية، ثم ليبين لهم- بلسانهم الذي هو لسانه أيضاً- حُكْمَ الله في الأحداث التي تواجههم في هذه الحياة. وبذلك تكون قيادتُهم إلى صراط الله واضحة بيّنة لا لَبْسَ فيها.

٤/ أ*: وينبغي التصريح الواضح هنا بفكرة مهمة هي من معاني الآية وهي من مقتضيات العقل أيضاً. تلك الفكرة هي أن رسالة الله سبحانه للبشر لابد أن تكون بلغة بشرية يتعامل بها البشر ويفهمونها لتقوم عليهم الحجة. ولا يتأتي أن تكون رسالة الله إلى البشر بلغة الجن مثلاً أو الملائكة، أو بأية لغة لا يستعملونها أو لا يعرفونها. فهذا وجه مهم من وجوه سنة الله التي صرحت بها الآية الكريمة السابقة.

٤/ أ**: وبناء على ما جاء في الفقرة السابقة (٤/ أ*) فإنه لا مجال للسؤال عن سر نزول رسالة بلغة بشرية؛ لأن السؤال نفسه يمكن أن يتوجه إزاء الإنزال بأي لغةٍ أخرى، وهو إذاً سؤال ساقط. أما إن كان المقصود السؤال عن سر تعيين لغةٍ بعينها من بين لغات البشر (العربية أو الإنجليزية أو التركية مثلاً) خاصةً،

فهذا سؤال وارد. وإجابته أنه ربما يكون المقصود الأول أن هذا لسان القوم الذين يريد الله سبحانه أن يحمّلهم رسالته بواسطة رسول منهم، ويجوز مع ذلك أن يكون لرسولهم اصطفاءٌ خاص، فاختيروا واختيرت لغتهم تبعاً لذلك، أو يكون لهؤلاء القوم أو للسانهم خصائص تجعلهم أو تجعل لسانهم أكثر أهلية وجدارة بحمل رسالة الله عز وجل، بأن يكونوا مثلاً أهل صفاء أو تضحية أو حَمِيّة إلخ، أو يكون لسانهم تعبيريًا أو أصيلاً أو يتميز بمقومات البقاء أو الانتشار - حسب ما يريده الله سبحانه لرسالته. قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام ١٢٤] وقال تعالى ﴿ لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الأنبياء ٢٣].

٤/ ب: وعلى هذا الأساس من رحمة الله تعالى كانت رسالة سيدنا محمد ﷺ ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴾ [الشعراء ١٩٥]. وهو لسانه ولسان قومه ﷺ.

٤/ جـ: واللسان العربي له لهجات كثيرة (نحو مئة وثلاثين لهجة[1])، لكنها كلها عربية تُنطق وتؤدى بألفاظ عربية ذات حروفٍ عربية، وصيغٍ عربية، وتركيبٍ للجمل عربي، ومعنًى لكل من الألفاظ عربي، مع فروق يسيرة في النطق والأداء (أعني في الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية)، وفي الدلالة (أعني في جانب معاني الكلمات).

٤/ د: وفروق النطق والأداء منتشرة وكثيرة، لكن العربي يتعرف على المراد

(١) إحصاء أجريته جمعًا مما في الإتقان النوع ٣٧ مع ما في المعجم الدلالي للهجات العربية د.الموافي الرفاعي البيلي من أسماء القبائل التي نسبت إليها لهجات (قبيلة)، وذلك عدا الأصقاع التي نسبت إليها لهجات، وهي نحو ثمانية وثلاثين صُقْعا (ناحية أو قطراً أو بلداً). وتفاصيل ما في (اللهجات العربية في التراث)، د. أحمد علم الدين الجندي تأتي بأكثر مما ذكرنا.

بها بمجرد سماع أهل اللهجة المغايرة للهجته، فهي لا تمثل عنده صعوبة تذكر. وفروق المعنى هي في مفردات محدودة، وعبارات أكثر محدودية يصل العربي إلى المعاني المقصودة بها –عندما يسمعها من العربي أو غير العربي الآخر– بمعونة السياق والمقام، ثم لا تمثل له مشكلة بعد أول مرة، وبهذا يظل اللسان الذي ينطق به أصحاب تلك اللهجات الكثيرة لساناً واحداً هو اللسان العربي المبين– في موضوعنا هذا.

٤/ هـ: ولا يخفى أن عبارة (بلسان قومه) تعبر أولاً عن اللسان العام الذي تتفرع منه كل اللهجات. وهي بذلك تصدق على كل من اللهجات الخاصة صِدقَ كلِّ عامٍّ على الخاص الذي ينطوي تحته، بمعنى أن كل صاحب لهجة تنضوي تحت لسان عام هو من أهل ذلك اللسان العامّ مهما كانت لهجته الخاصة، مادامت تلك اللهجة أصيلة بين لهجات ذلك اللسان العامّ. وعلى هذا فإنه في موضوعنا تكون كل لهجة حقيقية العروبة هي (لسان عربي مبين) مهما تفاوتت في الفصاحة. ومن هنا قرر علماء العربية أن «اللغات كلها حُجة»[1]. يعنون باللغات اللهجات، ثم يعنون بأنها كلها حجة أن كل لهجة صحيحة العروبة هي حجة أي لغة عربية صحيحة يُعَدّ ما نُطِقَ بها حُجّة أي كلاماً عربيًّا صحيحاً يؤخذ به وبمعناه في كل مجال سواء كان مجال دين: كتاب مقدس أو حديث شريف أو فقه إلخ، أو كان مجال لغةٍ: نحو وصرف إلخ.. أو مجال أدب أو بحث قانوني أو سياسي أو أي مجال آخر.

٤/ و: ومولانا سيدنا محمد رسول الله ﷺ كان من قبيلة قريش، وهي من

(١) ينظر (الخصائص) لابن جنى. تحـ الشيخ محمد على النجار (الكتاب العربي) ٢/ ١٠–١٢.

صميم قبائل العرب. فالعربية التي نزل بها القرآن هي عربية بلهجة قريش. وسيأتي التصريح بهذين العموم والخصوص في كلمة سيدنا عمر -رضي الله عنه- ولئن كانت الآية ذكرت اللسان العام، فإن ذلك دَلّ ضِمْناً على اللهجة الخاصة، ثم تكفلت أدلة أخرى سنذكرها الآن بتعيين اللهجة الخاصة صراحة.

٥-الدليل النقلي الثاني:

٥/ أ: جاء على لسان كل من أمراء المؤمنين سادتنا عمر وعثمان وعلي، وحَبْر الأمة عبد الله بن عباس - رضي الله عنهم جميعا - أن القرآن نزل على النبي ﷺ بلغة قريش.

٤/ ب: أما سيدنا عمر -رضي الله عنه- فقد جاء عنه ذلك حين سمع رجلاً يقرأ (عتى حين) يريد ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ [يوسف: ٣٥] فقال مَنْ أقرأك؟ فقال: ابنُ مسعود، فكتب (عمر) إلى (ابن مسعود) «إن الله عزّ وجل أنزل هذا القرآن فجعله عربياً، وأنزله بلغة قريش، فأقرِئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام»[1] ولنلتفت إلى قول سيدنا عمر «... فجعله عربياً وأنزله بلغة قريش» فإنه يؤخذ منه تخصيصان: إنزالُ القرآن عربياً، وإنزاله بلغة قريش» فقريش أجلّ القبائل العربية، ولغتُها أنقى لغات القبائل العربية من هيئات الأداء

---

(١) الخبر في (المحتسب) لابن جنى (تحـ. على النجدي، د. عبد الحليم النجار) المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١/ ٣٤٣. وهو في المحرر الوجيز (قطر) ٧/ ٥٠٦، ونصه فيه «إن الله أنزل القرآن عربياً بلغة قريش، فبها أقرئ الناس، ولا تقرئهم بلغة هذيل». وخلاصته في البحر (العلمية) ٥/ ٣٠٧.

المُغرقة في الخصوصية القَبَلية كالعجعجة والكشكشة والوكم إلخ[1].

٥/ جـ: وأما سيدنا عثمان -رضي الله عنه- فإنه لما فشت الاختلافات الأدائية وغيرُها في قراءة عامة الناس والجنود القرآنَ الكريم، وبلغت حدّتها في عهده بحيث صار السكوت عليها تفريطاً في الحفاظ على النص الكريم، واتفق الصحابة مع سيدنا عثمان على ضرورة نسخ مصاحف من مصحف سيدنا أبي بكر المجموع من صحف كتبت بين يدي النبي ﷺ وبإملائه، وأن ترسَل تلك المصاحف للأمصار أي عواصم أقطار الدول الإسلامية، ليقرأ جمهور المسلمين وفقًا لما في تلك المصاحف؛ لتتوحد القراءات، أصدر سيدنا عثمان توجيهاً للقرشيين من لجنة نَسْخ المصاحف نصه «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أُنزِل بلسانهم. ففعلوا» رواه البخاري[2].

وفي رواية للبخاري أيضاً «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»[3]. وقد جاء الحديث بالرواية الأولى هنا -أيضاً- في (كتاب المصاحف) لابن أبي داود[4] وبروايات أخرى

---

(١) جمع د. محمد كريم في كتابه (المقتضب في لهجات العرب) ص٩٣-٩٥ ما قاله الفراء، وثعلب، وأبو نصر الفارابي، وإسماعيل بن أبي عبيد الله عن انتقاء قريش أفصح ما في لغات العرب حتى صارت لغتها أفصح لغات العرب وأنقاها من معايب اللهجات. وفي (الصاحبي) لابن فارس ص٣٣-٣٤ خلاصة مجزئة في ذلك. وقد سبق أن ذكرنا ذلك النقاء بشيء من التوضيح.

(٢) صحيح البخاري بإشراف محمد الناصر/ كتاب فضائل القرآن رقم ٤٩٨٤ (الأميرية ٦/ ١٨٢).

(٣) السابق برقم ٤٩٨٦ (الأميرية ٦/ ١٨٣).

(٤) بتحقيق محب الدين واعظ أثر رقم ٧٠.

بنفس المعنى فيه[1].

٥/ ح* (رواية بلسان مضر):

لكن جاء في (المرشد الوجيز) لأبي شامة أن عثمان –رضي الله عنه– قال: نزل القرآن بلسان مُضَر». وجاء في (المصاحف) أَثَرٌ بنفس سياق كلمة سيدنا عثمان هذه مسنداً إلى سيدنا عمر ونصه: إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مُضَر؛ فإن القرآن نزل على رجل من مُضَر» اهـ[2]. وقد جاء في البرهان للزركشي تعليقاً على رواية (مضر) هذه: «وما نُقِل عن عثمان معارَض بما سبق أنه نَزَل بلغة قريش، وهذا (أي كونُه نزل بلغة قريش) أَثْبَتُ عنه؛ لأنه من رواية ثقاتِ أهل المدينة» اهـ[3]. وقد علّق محقق المصاحف على رواية (مضر) تلك، بأن المتن فيه «شذوذ»[4] يعني من حيث إسناد التوجيه إلى سيدنا عمر. يضاف إلى ذلك تعليق على هذا المتن في المرشد الوجيز والبرهان: «وأنكر آخرون أن تكون [السبعة أحرف] كلها في مضر. أو كل لغات مضر في القرآن. وقالوا: في مضرَ شواذّ لا يجوز أن يُقرأ القرآن عليها مثل كشكشة قيس، وعنعنة تميم»[5]. ولذا كله ينبغي استبعاد رواية نزول القرآن بلغة مضر.

٥/ جـ** (التقييد بـ«غالباً» أو «في الأكثر»): جاء في روايةٍ لكلمة سيدنا

---

(١) ينظر السابق أثر رقم ٦٧، ٦٨.

(٢) ينظر (كتاب المصاحف) تحـ د. واعظ/ الأثر ٣٤ (١/ ١٧٣) والمرشد الوجيز ١٠١.

(٣) ينظر (البرهان) للزركشي ١/ ٢٢٠.

(٤) ينظر (كتاب المصاحف) الأثر رقم ٣٤، وتعليق المحقق ص١٧٣.

(٥) ينظر المرشد الوجيز ١٠١. والبرهان للزركشي ١/ ٢١٩-٢٢٠.

عثمان تحدِّد الحكم بنزول القرآن بلغة قريش بالأكثرية، ونصه «فإنه أكثر ما نزل بلسانهم»[1]، وقال به ابن عبد البر وأبو شامة وابن مالك[2]. وربما غيرهم= فإنني أرجح أن جانباً منه نُظر فيه إلى وجود مفردات شاعت لها معانٍ عند غير قريش، ونزل بها القرآن مثل (افتح) (يفتح) (فتحنا) [3] بمعنى القضاء والفصل -وهي بذلك شائعة في لغة اليمن، ومنها يسمون القاضي: الفتاح. وقد عقد الإمام السيوطي النوع السابع والثلاثين في كتابه (الإتقان) لـ(ما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز) جمع فيه نحو ثمانين ومئة كلمة بعضها يقبل النقاش، وذكر الجاحظ عرَضاً ثلاث كلمات هي: كلمة (قُدور) جمع قِدْر، وكلمة (غُرفة) وكلمة (طَلْع) بمعانيهن القرآنية عند أهل العراق، وهنّ عند أهل مكة على التوالي: البِرَام (جمع بُرْمة)، والعُلِّيّة، والإغْريض (الكافور) [4]. فمجيء هذه الكلمات -اللهجية غير القرشية- في القرآن يُوَجِّه التقييد (بالغالبية)، لكنه لا يقدح في مقولة نزول القرآن بلغة قريش، من حيث إن مجموع هذه الكلمات لا يمثل نسبة يُعْتَدّ بها في التقويم العِلمي، فهو أقل من حَدِّ الندرة[5] بكثير. إن مجموعها نحو

---

(١) ينظر البرهان للزركشي ١/ ٢١٨، والمرشد الوجيز ١٠١، ٦٩، والإتقان النوع ٣٧.

(٢) ينظر المرشد الوجيز ١٠١، ٦٩، والإتقان النوع ٣٧ (عالم الكتب ١/ ١٣٥). وفيه تمثيل ابن مالك لقراءة الحجازيين بالفك ونصب المستثنى المنقطع، مقابل قراءة التميمين بالإدغام ورفع المنقطع.

(٣) الأعراف ٨٩، سبأ٢٦، الفتح ١ على التوالي.

(٤) ينظر البيان والتبيين للجاحظ تحـ عبد السلام هارون ١/ ١٨-١٩.

(٥) أ -حدّ النُدْرة- كما نص عليه الإمام اللغوي الجليل عبد الله بن يوسف (جمال الدين بن هشام ت٧٦١هـ) بأنه ١من ٢٣، ينظر المزهر (تحـ جاد المولى وزملائه) ١/ ٢٣٤)، وهذا يبلغ =

مئة وثمانين كلمة من مجموع كلمات القرآن البالغة نحو ثمانية وسبعين ألفاً، أي نحو كلمتين وبعض كلمة في كل ألف كلمة. فهذا العدد الضئيل من الكلمات لا يمكن اعتداده ماسًّا بقرشية لغة القرآن. ثم إن هذه الكلمات ينضوي كل منها تحت المعنى المحوري لتركيبه، كسائر كلمات اللسان العربي العامّ. أي أنها ليست غريبة عن كلمات اللسان العربي العامّ القُرشية.

٥/ د: وأما كلمة سيدنا علي فقد «رُوي عنه –رضي الله تعالى عنه– «نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبرائيل –عليه السلام– نزل بالهمزة على النبي ﷺ ما همزنا»[1] .

٥/ د*: وقد جاءت رواية مجملة للأثر السابق هي قول سيدنا على –كرم الله وجهه–: «نزل جبريل –عليه السلام– على النبي ﷺ بالهمز، فلذلك همزنا»[2] ومعنى الرواية صحيح تماماً من حيث إن قريشاً لم تكن تهمز[3]، وثبوت أن عليًا

= نحو ٣.٠٤ في المئة.

ب- مجموع كلمات القرآن نحو ٧٨ ألف كلمة. والـ٤٪ من هذا تبلغ نحو ثلاثة آلاف ومئة كلمة، في حين أن مجموع ما ذكر في (النوع السابع والثلاثين: ما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز) من كتاب الإتقان للسيوطي لا يزيد عن مئة وثمانين كلمة أي نحو كلمتين وبعض كلمة في كل ألف كلمة.

(١) ينظر شرح الرضي شافية ابن الحاجب (تحـ الشيخ محمد نور الحسن وصاحبيه) ٣/ ٣٢.

(٢) ينظر كتاب الحروف، لأبي الحسين المزني (تحـ د. محمود حسني، د. محمود حسن عواد) ص١٢٩. وأبو الحسن المزني هذا من أهل أواخر القرن الثالث الهجري.

(٣) ينظر لسان العرب (نبر) «ولم تكن قريش تهمز في كلامها» وفي مقدمة باب الهمزة منه «أهل الحجاز»، وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون». (لا يهمزون).

-رضي الله عنه- كان يهمز ويدع»[1] أي يهمز أحياناً.

٥/ د**: وقوله -كرم الله وجهه- عن قريش: «وليسوا بأصحاب نبر» معلومة موثقة. جاء في لسان العرب (نبر) «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: يا نبيء الله. فقال ﷺ: «لا تنبر باسمي» أي لا تهمز، وفي روايةٍ فقال: إنا معشر قريش لا ننبر» والنبر همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها. ولما حج المهدي قدّم الكسائيَّ يصلي بالمدينة، فهمز، فأنكر أهل المدينة عليه، وقالوا: تنبر في مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن؟!» ا.هـ. وجاء في لسان العرب في مقدمة باب الهمزة «قال أبو زيد: أهل الحجاز، وهذيل، وأهل مكة والمدينة لا ينبرون. وقف عليها عيسى بن عمر (أي ولما وقف على هذه المعلومة- وذلك قبل أبي زيدٍ بدهر؛ لأن عيسى بن عمر توفى ١٤٥هـ وأبو زيد توفى ٢١٦هـ) فقال عيسى: ما آخُذُ من قول تميم إلا بالنبر، وهم أصحاب النبر، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا» (أي أن عيسى بن عمر- وكان حريصاً على الفصاحة- لحظ أهمية الهمزة، وضرورة تحقيقها لأنها أحد حروف المباني). والمراد من تعليقنا هذا على قول سيدنا عليٍّ كرم الله وجهه توثيقُ صحة معنى هذا الحديث الذي أُسند إليه -رضي الله عنه- وسائر ما يحتاج إلى تعليق فيه سنعرض له بعدُ إن شاء الله تعالى.

٥/ هـ: وأما كلمة سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقد صدّر بها راوي كتاب (لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم لأبي عبيد القاسم بن سلام -ت٢٢٤هـ- روايةً عن ابن عباس رضي الله عنهما) كتابه ذاك، فذكر سنداً إلى

(١) ينظر كتاب (الحروف) ص١٢٩.

عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عز وجل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٥]. قال: بلسان قريش، ولو كان غيرَ عربيّ ما فهموه، وما أنزل الله كتاباً من السماء إلا بالعربية، وكان جبريل –عليه السلام– يترجم لكل نبي بلسان قومه. وذلك معنى قوله ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ ﴾ [إبراهيم ٤][١].

٥/ هـ*: ولا تَنَافِيَ بين قول ابن عباس هذا، وبين قوله في أثر آخر أخرجه أبو عبيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نزل القرآن بلغة الكعبين: كعبِ قريش وكعبِ خُزاعة. قيل: وكيف ذاك؟ قال: لأن الدار واحدة. قال أبو عبيد: يعني أن خُزاعة كانوا جيران قريش، فسهلت عليهم لغتهم»[٢] اهـ. وتفسير هذا الأثر أن كعب خزاعة هو كعب بن عمرو بن لُحَيّ، وسُمي خُزاعة لانخزاعه بمن معه في هجرتهم من اليمن إلى الشام، حيث قرر هو من معه البقاء حول مكة، فتأثروا بلغة قريش. وكلام ابن عباس هذا قد يُحْمَل على نوع من التغليب؛ فإن كعب بن لؤي من أشهر أحفاد قريش (فهر أو النضر) فَعَنى به قريشاً كلها تسامحاً، وأطلق لفظ (الكعبين) على القبيلتين.

٦ – ولا شك عندي، ولا عند أي مُنصف، في أن (المعلومة) التي يقررها

---

(١) لغات القبائل الواردة في القرآن لأبي عبيد القاسم بن سلام روايةً عن الصحابي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما. تحـ/ د عبد الحميد السيد طلب (الكويت) (١٤٠٤هـ ١٩٨٤م) ص٤١. وعبارة «بلسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه» جاءت في الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (الفكر) ٦/ ٣٢٢ مسندة إلى مجاهد وهو لقين ابن عباس.

(٢) ينظر المرشد الوجيز ٩، والإتقان النوع ١٦ (عالم الكتب ١/ ٤٧).

أولئك الخلفاءُ الراشدون الثلاثة سادتُنا: عمر وعثمان وعليٌّ، وحبرُ الأمة سيدنا عبد الله بن عباس –رضي الله عنهم جميعاً–. أعني أن القرآن نزل بلغة قريش= هي معلومةٌ بالغةٌ تمامَ الوثاقة العلمية واليقين.

٧ – (دليلٌ عقلي):

٧/ أ: العقل وحده– بمعنى الأصل، والمنطقي، والطبيعي– أن ينزل القرآن على الرسول القُرَشي باللغة القُرَشية. ويدعم ذلك تماماً أنه لو كان القرآن قد نزل على النبي ﷺ بغير اللغة القرشية– وبخاصة في أول البعثة إلى أن ظهرت الدعوة– لكان ذلك أمراً لافتاً، بل غريباً جدًّا، بحيث يستحيل أن يغيبَ عن التسجيل، فلا يذكرَه أحد على الإطلاق. ثم ما دام أنه من الطبيعي والمنطقي أيضاً أن يقرأ ﷺ كما تَلَقَّى، بل هذا فرض ديني كما تقضي به آيات سورة القيامة التي أسلفنا في (٣/ أ)، فإن المستيقَنَ تماماً أنه ﷺ كان يتلقى القرآن من جبريل بلغة قريش أي بلهجتها.

٧/ ب (وقوع القراءة منه ﷺ بغير لغة قريش): وواضح أن ما قررناه من نزول القرآن على النبي ﷺ بلغة قريش لا ينفي أن يقع منه ﷺ أحياناً، وفي غير موقف تلقي الوحي– قراءةٌ بغير لهجة قريش، لتشريع جوازِ ذلك أو لغرضٍ شرعي آخر. ومن ذلك ما نقله السيوطي عن جمال القراء أن صفوان بن عسال سمع رسولَ الله ﷺ يقرأ (يا يحيى) [مريم ١٢] أي بالإمالة. فقيل له ﷺ: يا رسول الله: تُميل وليس هي لغةَ قريش؟! فقال ﷺ: «هي لغة الأَخْوال بني سعد»(١). وفي حديثٍ

---

(١) الإتقان للسيوطي: النوع الثلاثون (عالم الكتب ١/ ٩١). وهو في جمال القراء (تحـ.د علي =

آخر أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أقرأ رجلاً (طه) فكسر عبد الله الطاء والهاء (أي أمالها) ثم قال: «والله لهكذا علمني رسولُ الله ﷺ»[1].

٧/ جـ: وواضح كذلك من هذا الحديث أن السؤال (في ٧ ب) يثبت أيضاً أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بلغة قريش، من حيث إن السؤال سؤالُ استغراب وتعجب من أن تُسْمَع منه -صلى الله عليه وسلم- قراءةٌ بغير لغته التي هي لغة قريش، فهذا يُثْبِت أن المعتاد منه ﷺ أنه كان يقرأ بلغته لغة قريش. ويثبت بالتالي أن القرآن أنزل عليه ﷺ بلغة قريش، لأنه ﷺ كان يقرأ كما تَلَقّى. وذلك هو الأصل الذي لا ينفي أن يؤدِّيَ ﷺ أحياناً- بأية لهجة عربية، من أجل بيان جواز ذلك، أو لغرض آخر- كما أسلفنا.

٨ - (حسمُ تشكيكٍ):

٨/ أ: إن استحالة إنزال القرآن على النبي ﷺ بغير لغة قريش- حسب ما أسلفنا (في ٧/ أ) تحسم تشكيكاً في ذلك تطرَّق إليه بعض كبار اللغويين المختلفين بشأن تفضيل لغة قريش على سائر اللغات العربية[2]، والحمد لله. أما مسألة التفضيل هذه فهي موضوع مستقل.

= حسين البواب)، ٢/ ٤٩٨ • وقبول الإمام السيوطي رواية هذا الحديث توثيق له.

(١) الحديث بسنده إلى عبد الله بن مسعود في جمال القراء ٢/ ٤٩٨، وقال محققه: «الحديث في المستدرك ٢/ ٢٤٥، وصححه الذهبي، والدر المنثور ٤/ ٢٨٩».هـ.

(٢) مسألة أفضلية لغة قريش، وفيها التشكيك المذكور... عرضها ببسط مناسب د. محمد رياض كريم في كتابه (المقتضب في سائر لهجات العرب) ٩١-١٠٧.

٨/ ب: (بيد أني من قريش):

في غمرة البحث في الفقرة السابقة (٨/ أ) تطرق المختلفون إلى قوله ﷺ «أنا أَفْصَحُ العرب بَيْدَ أَنّى من قريش ونشأت في بني سعد»[١]. واحتج بعضهم به من حيث إن (بيدَ أنَّ) تعني (غَيْرَ أن). وفي (تاج، ل) تمثيلاً لذلك أنه يقال (رجل كثير المال بَيْدَ أنه بخيل) معناه غير أنه بخيل». وعليه فإن (بيد أن) عندما تفسر بـ(غير أن) فإن ما بعدها يكون لعكس المتوقع مما قبلها كما في المثال المذكور. وسياق كلام المحتجين بالحديث المذكور يجري في هذا الاتجاه، وهو التنقيص من فصاحة قريش، وكأَنَّ كونَه ﷺ من قريش هو أمرٌ ينقص فصاحته ﷺ؛ لنَقْص فصاحة قبيلته، ولم يُصَرّحوا به، ولكن سياق كلامهم يَشِي به.

*وقد جاء في [تاج] قولٌ بأن (بيدَ) معناه (على) أي التي يراد منها المصاحبة، وأن (بيد أن) تأتي بمعنى (من أجل أن): ذكره ابن هشام ومثّله بحديث «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش» ا.هـ. وهذا يطفئ انطباع أن (بيد أن) معناها (غير أن) قولاً واحداً، أي يفتح الباب للأقوال الأخرى، ويعني أن ابن هشام ينتصر للقول بأن قرشية النبي ﷺ هي إحدى مصادر فصاحته- كما سيأتي.

*التحرير أن (بيد أن) يمكن أيضاً أن تفسر بـ (دَعْ أَنَّ، أو خَلِّ أَنَّ) أي دَعْ أَنهّ ﷺ من قريش ورَبِيَ في بني سعد بن بكر، أي فهذا مصدر لفصاحته

---

(١) الحديث جاء في لسان العرب (بيد) إلى كلمة (قريش). وفي المعجمين (تاج، ل) أن (بيد) بمعنى (غير) وقيل هي: بمعنى (على) زاد في التاج: (التي بمعنى المصاحبة). وسيأتي في هذا البحث ٨/ جـ* ما يوثق صحة معنى هذا الحديث. لكن حسب ما نفسره نحن.

معروف، ومعترَف به؛ لشهرة فصاحة القبيلتين[1]؛ لأن الذي يريد ﷺ أن يُنَوّه به في هذا المقام هو أن فصاحتَه عطاءٌ من الله تعالى، كما قال في الحديث الصحيح: «أدّبَنِي ربي فأحسن تأديبي»[2]. وسيأتي هذا الحديث.

*خلاصة التفسير الذي قلتُ به في الفقرة السابقة صحيحة تماماً على كل الوجوه: فعلى تفسير (بيد أن) بـ (غير أن): الغيرية تكون بمعنى الاختلاف والتضادّ –كما في المثال السابق (غنيٌّ غير أنه بخيل)، وتكون بمعنى مُجَرّد انفصال هذا عن ذاك واستقلاله عنه، أي كلٌّ من المتغايرين شيء قائم بذاته، (أي بلا قيد التضاد) [3]. وهذا هو الذي عبّرنا عنه في تفسير (بَيْدَ أن) بـ (دَعْ أَنَّ، خَلِّ أنّ)– وقد أخذناه من المعنى المحوري لتركيب (بيد) أي هذا شيء وذاك شيء آخر. وتكون حصيلةُ المعنى وجودَ مصدرين لفصاحته ﷺ؛ واحد معروف، والآخر هو الذي يُرَاد التنبيه إليه:

فبالرجوع إلى المعنى المحوري لتركيب (بيد) نجد أنه يعبِّر عن الخُلُوّ والفراغ أخذاً من «البيداءُ: الفلاةُ المستويةُ يجري فيها الخيلُ/ مفازةٌ لا شيء فيها/ جَرْداء» فمن هذا الخلو والفراغ تأتي (بَيْدَ أنّ) بمعنى (خَلِّ أَنّ، دَعْ أَنّ أي تَخَلّ عن هذا– من الخلوّ) كما يقال (بَلْهْ) في قوله {أُعْطِيهم الجَهْدَ مِنِّى بَلْهَ مَا أَسَعُ} أي أُعطيهم ما لا أجده إلا بجَهْد، بَلْهَ أي دَعْ ما أحيط به وأَقْدِرُ عليه، أي فإني أعطيهم إياه من باب أَوْلَى.

---

(١) ستأتي أدلة فصاحة القبيلتين.

(٢) الجامع الصغير عن ابن مسعود (مصطفى الحلبي) ط٤، ١/ ١٤.

(٣) ينظر شرح مغني اللبيب للدماميني (تحـ د. عبد الحافظ العسيلي) ٧٩٨ عن مغايرة مجرور (غير) لموصوفها بالذات مثل مررت برجل غير زيد.

٨/ جـ: **(فصاحة قريش)** مما سبق يتبين أن قوله ﷺ «بيد أني من قريش» هو تنويه بفصاحة قريش، بدليل ما سبق، وبدليل ذكر التنويه في أحاديث أخرى، هي تنويهٌ صريح بفصاحة قريش.

٨/ جـ*: فقد جاء في حديث حَسَّنه السيوطي «أنا أَعْرَبُكم: أنا من قريش، ولساني لسانُ بني سعد بن بكر»[١] وهذا الحديث الحسن يقوِّي معنى حديث آخر، أو رواية أخرى للحديث بنفس معناه تقريباً، ونصها «أنا أَعْرَبُ العرب: وَلَدتني قريش، ونَشَأت في بني سعد بن بكر، فأَنَّى يأتيني اللحن»[٢]، فهذه ثلاثة أحاديث: «أنا أفصح العرب، بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر»[٣].

الثاني: «أنا أعربُكم: أنا من قريش ولساني لسانُ بني سعد بن بكر».

الثالث: «أنا أعرب العرب: ولدتني قريش، ونشأتُ في بني سعد بن بكر فأَنَّى يأتيني اللحن».

٨/ جـ** ومن هنا –بالإضافة إلى ما لابد أن العلماء المتقدمين لَحَظُوه ودَرَسوه– وضع أولئك العلماء قبيلتي قريش، وسعد بن بكر في صدارة أفصح القبائل. فقال مولانا أبو بكر الصديق رضي الله عنه: «قريش أعرب العرب ألسنة»، وقال قتادة «كانت قريش تجتبي أفضل لغات العرب حتى صار أفضلُ

---

(١) ينظر الجامع الصغير/ أنا.

(٢) نفسه.

(٣) ينظر لسان العرب (بيد).

لغاتها لغةً لها»[1]. وقال الإمام أبو عمرو بن العلاء (ت ١٥٧٤هـ) «أَفْصَح العرب عُلْيا هوازن وسُفْلى تميم»[2]. (وسيأتي أن قريشًا من أكناف هوازن)، وعُلْيا هوازن عدة قبائل يطلق عليها أيضاً (عَجُز هوازن) [3]. قال أبو عبيد (ت٢٢٤هـ): العَجُز من هوازن هم سَعد بن بَكْر، وجُشَم بن بكر، ونَصْر بن معاوية، وثقيف»[4]. وقال أبو عبيد في بيان القبائل السبع التي نزل القرآن بلغتها –حسب تفسير حديث الأحرف السبعة باللغات السبع: لغة قريش وهذيل وثقيف وهوازن وكنانة وتميم واليمن»[5] [وسعد بن بكر من هوازن][6] **[وقريش من أكناف هوازن]**[7] أي عند إغفال ذكر كنانة وقريش، وذكر أبو حاتم (ت٢٥٥هـ) قريشًا وهذيلاً وهوازن وسعد بن بكر[8]. وقال أبو سليمان الخطابي (ت ٣٨٨هـ): يُرَاد «أنه نزل على سبع لغات من لغات العرب هي أفصح اللغات وأعلاها في كلامهم»[9]، وقال أبو الخطاب بن دِحْية «وأَفْصَحُ العرب قريش»[10]، وقال ابن

---

(١) ينظر تهذيب اللغة (عرب)، (٢ ب) هنا.

(٢) ينظر (المرشد الوجيز) ٩٢-٩٣.

(٣) ينظر السابق ٩٣، والمزهر١/ ٢١٠.

(٤) السابقان في صفحتيهما.

(٥) ينظر المرشد الوجيز ٩٩-١٠٠.

(٦) هو سعد بن بكر بن هوازن- ينظر الأعلام للزركلي (سعد بن بكر).

(٧) ينظر المرشد الوجيز ٩٦، ١٠٠.

(٨) السابق نفسه ٩٤، وذكر أيضاً تميما وأزد وربيعة.

(٩) نفسه ٩٧-٩٨.

(١٠) ينظر تاج العروس –المقدمة- المقصد الخامس في بيان الأفصح.

خالويه «وإنما النحوي الذي ينقر عن كلام العرب ويحتج عنها، ويبين عما أودع الله تعالى من هذه اللغة الشريفة هذا القبيلَ من الناس وهم قريش»[1]، وقال الإمام أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ): «أجمع علماؤنا بكلام العرب، والرواةُ لأشعارهم، والعلماءُ بلغاتهم وأيامهم ومحالّهم أن قريشاً أفصحُ العرب ألسنة، وأصفاهم لغة»[2] فكأنَّ إغفالَ ذكر قريش في كلمة أبي عمرو بن العلاء التي ذكرناها آنفاً هو بسبب أنها من أكناف هوازن، أو أن أفصحيتَها أمرٌ مجمَع عليه، لا يحتاج ذكراً، وقَصَد بكلمته بيان غيرهم.

٨/ جـ**وقد بين العلماء من قديمٍ فصاحة قريش بخلوها من مستبشع اللغات[3]. وعللوا ذلك بأن «العرب كانت تحضر المواسم في كل عام، وتحج البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا أفصح العرب»[4]. وقد سبق أن ذكرت قول الصديق رضي الله عنه عن قريش إنهم «أعربُ العرب ألسنةً» وهي كلمة تغني جلالةُ قائلها عن كل إضافة إليها.

وأكتفى هنا بهذا التنويه بفصاحة قريش. أما تحققُ ذلك واقعاً، فإنى أحيل

---

(١) المزهر ١/ ٢١٣.

(٢) ينظر الصاحبي في فقه اللغة، لابن فارس (تحـ السيد صقر) ص٣٣.

(٣) سبق بيان التنويه المبكر بهذا في نهاية الفقرة (٢/ب) وما هنا هو من كلمة للفراء (المزهر ١/ ٢٢١) وبمعناها كلمة لثعلب (نفسه ١/ ٢١١) وابن فارس (نفسه ١/ ٢١٠)

(٤) هذه أيضاً من نص كلمة الفراء في (المزهر ١/ ٢٢١) ومعناها قاله أبو نصر الفارابي (المزهر ١/ ٢١١)، وما رواه ابن فارس (المزهر ١/ ٢١٠).

على الدراسات التطبيقية[1].

٨/د: فصاحته ﷺ فوق المناقشة، والأحاديث السابقة صريحة فيها، وأزيدُها رابعاً صحيحاً هو «أدّبني رَبِّي فأحسن تأديبي»[2] حيث إن التأديب هنا هو تعليم اللغة[3]، وخامساً صحيحاً، وهو أن الرسول ﷺ سأل أصحابه في موقفٍ ما عن أحوال سحابة: عن سَمْكها، وقواعدها، ولونها، وهيأة استدارتها، وكيفية بَرْقها. فلما أجابوه قال: «الحَيَا» أي إنها ستمطر. فقال رجل: يا رسول الله ما أَفْصَحك! ما رأينا الذي هو أَعْرَب منك. فقال ﷺ: حُقَّ لِي؛ فإنما أُنزل القرآن عليّ بلسان عربي مبين «البيهقي في شعب الإيمان»[4]. وصدق ﷺ؛ فإن قراءة القرآن وحدها تستطيع أن تُحوِّل الأعجميَّ عربياً.

٨/ د*: وقد قرر علماء اللغة العربية أن أفصح الخلق على الإطلاق هو سيدنا ومولانا محمد رسول الله ﷺ[5].

---

(١) ينظر –مثلاً (شعراء قريش) د. عصام سويدي رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية بالمنصورة.

(٢) الجامع الصغير- رواه ابن مسعود.

(٣) كانوا يسمون معلمَ الصبيان المؤدبَ. (ينظر المعجم الكبير (أدب) ١/ ١٤٣. وأول ما يعلمهم هو اللغة. ومن ذلك تسمية (ديوان الأدب) للفارابي، وهو معجم لغوي بحت، و(أدب الكاتب) لابن قتيبة، وهو للتثقيف اللغوي. وفي المعجم الكبير (أدب) ١/ ٤٠) أن أبا بكر رضي الله عنه قال «يا رسول الله قد طفت في العرب وسمعت فصحاءهم فما سمعت أفصح منك، فمن أدَّبك؟ قال: أدبني ربي فأحسن تأديبي» ا. هـ والفصاحة هنا قوامها قدرةٌ لغوية تعبيرية صحيحة واضحة جيدة الإلقاء. والحديث التالي في المتن هو من هذا الباب أيضاً.

(٤) ينظر (المزهر) ١/ ٣٥، ونسيم الرياض ١/ ٤٢٦.

(٥) ينظر تاج العروس/ المقدمة/ المقصد الخامس.

وأحيل في الجانب التطبيقي على الفصل الخامس من الباب الثاني من القسم الأول من (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) للقاضي عياض، وشروحه[1].

٨/ هـ: ما ذُكر من تنويهٍ بفصاحة قريش اقترن بالتنويه بفصاحة قبيلة سعد ابن بكر -كما هو مقتضى الأحاديث المذكورة في (٨/ ب، ٨/ جـ*)، وهي قبيلة السيدة حليمة السعدية التي أرضعت النبي ﷺ: وهو سَعْدُ بن بكر بن هوازن من قيس عَيلان بن مضر.

٨/ هـ* وأكتفي بذلك التنويه بالنسبة لفصاحة بني سعد بن بكر أيضاً، وأحيل في تحقيق فصاحة هذه القبيلة واقعياً على دراسات ينبغي أن تجرى[2].

٩ - (مجالات اختلافات اللهجات):

٩/ أ: اللغات (=اللهجات) تختلف في مجال الأصوات - كنطق السين صاداً في الصراط، وفي مجال الصرف كتصحيح صيغة (مفعول) من الأجوف اليائي كمبيوع بدلاً من مبيع، وفي مجال النحو كإعمال (ما) وإهمالها «ما هذا بشراً- ما هذا بشر» وفي مجال الدلالة مثل تسمية أهل اليمن القاضي الفتّاح. تعال أفاتحك= أقاضك. (وقد سبق هذا في رقم ٢/ أ).

٩/ ب: وكلامنا في مسألة نزول القرآن بلغة قريش هذه مقصود به المجالات الثلاثة الأولى الصوتي والصرفي والنحوي؛ لأنها هي التي يظهر أثرها

---

(١) ينظر (الشفا) تحـ علي البجاوي (ط برعاية الشيخ محمد البطاوي ص٩٥). و(نسيم الرياض) للشهاب الخفاجي (ط الأزهرية، ١/ ٣٨٥-٤٢٩)، وشرح الشفا للقاري ١/ ٤٢١

(٢) ينظر (البيان والتبيين) للجاحظ تحـ عبد السلام هارون ٤/ ٣٤-٣٥- ففيه تمثيلٌ لانتشار الرجز في القبيلة حتى على ألسنة ناشئيها. وليت أحد الشباب الدارسين يدرس هذه القبيلة أدبياً.

في النطق، وهو الأقوى تمييزاً بين لهجات أهل اللسان الواحد. أما المجال الدلالي فإنه يَخفى التمييز فيه؛ إذ إن متلقي الكلام كثيراً ما يَسُدُّ ثَغَرات المعنى بالسياق، ولو بالتقريب، وبخاصة أن ما نتكلم عنه هنا هو مفردات متناثرة في أثناء الكلام الكثير، وليس جملاً كاملة أو كلاماً متتابعاً.

٩/ جـ: بل إنني أقول إن الاختلاف اللهجي في المجال الدلالي يمكن التهوين من اعتداده مميزاً بين لهجة وأخرى من لهجات اللسان الواحد، وبخاصة إذا كان ذلك اللسان تعبيريًّا منضبطاً كاللسان العربي. فالمفترض في مثل هذه الحالة أن الحِسّ الواحد يكشف معنى الكلمة الغريبة، أو يشير إليه ولو إشارة غائمة: كما فهم سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن معنى «فَطَرْتُ البئر» ابتدأتُ حفرها، وأن معنى «تعال أفاتحك» أخاصمك[١] (أي أُقَاضِك) دون أن يُصَرَّح له بذلك. فهذا المجال الدلالي ضعيف السهم من حيث اعتدادُهُ مميزاً لَهَجيًّا بين أبناء اللسان الواحد.

٩/ د: المهم أن المقصود بنزول القرآن بلغة قريش هو نزوله بالأداء اللفظي أي النُطْقي- للغة قريش، أي لزومه ذلك في الأصوات والصرف والنحو. أما الجانب الدلالي فله شأن آخر، قد نعرض له، ونبادر فنقول إن كثيراً من كلمات القرآن التي نُسِبت بمعانيها إلى لهجات أو ألسنة أخرى هي تَقْبَل الانضواء- مع كلمات تركيبها في اللغة العامة- تحت معنى محوري واحد، مما ينفي بناءها على حِسٍّ لَهَجِيٍّ مختلف عما بُنِيَتْ عليه اللغة العامة.

---

(١) ينظر الإتقان النوع ٣٦ (عالم الكتب ١/ ١١٣).

١٠ - (الاحتجاج برسم المصحف على نزول القرآن بلغة قريش):

١٠/ أ: الدكتور غانم قدوري الحمد- وهو بحاثة ذو جهود مشكورة- له محاولة للاحتجاج برسم المصحف[١] على نزول القرآن بلغة قريش، على أساس أنه ما دام القرآن قد نزل بلغة قريش، فلابد أنه كُتِب في النسخ العثماني بلغة قريش أيضاً، وبخاصة أن أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- أصدر توجيهاً إلى الرهط القرشيين في لجنة كتابة المصاحف العثمانية نصه «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن، فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم»، وفي رواية أخرى «... في عربية من عربية القرآن، فاكتبوها بلسان قريش؛ فإن القرآن أنزل بلسانهم. ففعلوا»[٢]. وعلى ذلك فالمفروض أن تنضح في رسم المصحف كل الظواهر اللهجية القرشية.

١٠/ ب: وللدارس والقارئ أن يعلم أن الظواهر اللهجية لا تظهر في المصاحف العثمانية إلا في الرسم الخطي للحروف حسب أشكالها في كلماتها، دون أي من علامات الضبط التي هي النقط والحركات ورموز الهمزة والمد ومد الصلة والوقف وما إلى ذلك، فإن الرسم العثماني كان خالياً من ذلك كله، وقد أضيف نقط إعجام الحروف وشكلها في النصف الثاني من القرن الأول، على يد أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) ومدرسته، وأضيفت الرموز الباقية بعد ذلك على يد الخليل بن أحمد (ت ١٧٠هـ) ومدرسته. فالمحتج به هنا هو ما رسمه كُتّاب المصاحف العثمانية؛ أي ما يظهر في رسمهم كالألف المعبِّرة عن التنوين في كلمة

---

(١) ينظر: كتابه أبحاث في اللغة العربية (دار عمار).

(٢) ينظر صحيح البخاري حديث رقم ٤٩٨٤ (بولاق ٦/ ١٨٢)

(نوراً) وكلمة (كتاباً)، والواو في (توجل) بدلاً من (تيجل)، وياء المؤنثة المخاطبة في (اتخذي) ونحو ذلك مما هو حروفٌ لا نقط ولا شكل. ويسمى (السواد).

١٠/ جـ: وقد بنى الدكتور الحمد احتجاجه بالرسم على ظواهر لهجية جعلها مجموعتين: المجموعة الأولى تتمثل في الهمزة بمختلف مواقعها، حيث إن أهل الحجاز (مكة وفيها قريش، والمدينة، وما بينهما، وما على سِيف البحر إلى قرب اليمن) يُسهلون الهمزة المتوسطة فكان الذين كتبوا المصاحف العثمانية يرمزون إليها بالحروف التي تخفف إليها: ألفاً أو واواً أو ياءً؛ فـ (بأس)، (فؤاد) ترسم (باس)، (فواد)، (بئر) ترسم (بير) وهكذا. وثانية المجموعتين تشمل كل ما عدا الهمزة. وقد التقط منها د. غانم الحمد أربع لقطات: هي نصب خبر (ما) النافية التي تسمى (ما) الحجازية في قوله تعالى ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف: ٣١] فوجود ألف (بشراً) يعني إعمال (ما) عمل (ليس)، وهذه لغة الحجاز، ومنه قريش، وصوغ مضارع (وَجِل) بالواو –لا بالياء في قوله تعالى ﴿ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ ﴾ [الحجر: ٥٣] هو لغة قريش، وغير قريش يقولون (تَيْجَل)، وقوله تعالى ﴿ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٦٢] فإن القرشيين يستعملون هذا الفعل ثلاثياً فيقولون (فَتَنَهُ) واسم الفاعل منه (فاتِن)، وبنو تميم يستعملونه بالهمزة فيقولون (أَفْتَنَهُ)، واسم الفاعل منه (مُفْتِن)؛ فعلى لغة تميم تكون (بمفتنين)، وقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ﴾ إسناد الفعل إلى ياء المؤنثة المخاطبة يعني اعتداد النحل مؤنثاً، وهذه لغة أهل الحجاز، وغيرهم يجعل النحل مذكراً. فعلى لغتهم يكون (أَنِ اتَّخِذْ).

١٠/ د: لكن النظر إلى ما هو واقع في المصحف فعلاً يثبت أن الرسم حسب

لغة قريش هو فيه أكثرِيٌّ لا تامٌّ. فبالنسبة للهمز هناك همزات رُسمت حسب التحقيق، وهو لغة غير قريش والحجازيين، منها كلمة (نشأة) في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾ [العنكبوت ٢٠] ﴿ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾ ﴾ [النجم: ٤٧]، ﴿ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الواقعة ٦٢] وكلمة (تبوء) في قوله تعالى ﴿ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ ﴾ [المائدة ٢٩] وكلمة (لتنوء) في ﴿ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ ﴾ [القصص: ٧٦] وكلمة (السوأى) في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ ﴾ [الروم ١٠][1]. وهذه المواضع الستة هي ما استثناه الإمام الداني في عبارته الحاصرة عن رسم الهمزة غير المبدوء بها حيث قال «واعلم أن الهمزة إذا توسطت في الكلمة أو وقعت طرفاً منها، وسكن ما قبلها، وسواء كان ذلك الساكن حرف مد ولين فقط، أو حرفًا جامداً من سائر الحروف، فإنها لم تُصوَّر خطًّا في الحالين في جميع المصاحف، لأنها إذا سُهِّلت أُلقِي حركتُها على ذلك الساكن، وأُسقطت من اللفظ رأساً، فلم تُجْعل لها صورة لذلك. فحروف المد نحو قوله ﴿ يُرَآءُونَ ﴾ [النساء ١٤٢] و ﴿ بَرِيٓـُٔونَ ﴾ [يونس ٤١] و ﴿ مِن سُوٓءِ ﴾ [النحل ٥٩] وشبهه. وحروف اللين نحو ﴿ سَوۡءَةَ ﴾ [المائدة ٣١] و ﴿ سَوۡءَٰتِكُمۡ ﴾ [الأعراف: ٢٦] و ﴿ ٱسۡتَيۡـَٔسُواْ ﴾ [يوسف: ٨٠] وشبهه. والحروف الجامدة نحو قوله ﴿ وَيَنۡـَٔوۡنَ عَنۡهُ ﴾ [الأنعام ٢٦] و ﴿ يَسۡـَٔلُونَ ﴾ [الأحزاب: ٢٠] وشبهه»[2]. ثم ذكر

---

(١) المحكم في نقط المصاحف لأبي عمرو الداني (تحـ د. عزة حسن) دار الفكر ص١٥٠.

(٢) السابق نفسه ١٤٩ – ١٥٠ بالاقتصار على بعض الأمثلة.

الداني المستثنيات الست السابقة. وذكر بعد ذلك علة ذكر صورة الهمزة وهي القراءة بالتحقيق، وعلة حذف صورتها وهي التسهيل في قراءتها[1]. ثم قال مكرراً ليضيف «والهمزة قد تصوَّر على المذهبين من التحقيق والتسهيل، دلالةً على فُشُوِّهما واستعمالها فيهما، إلا أن أكثر الرسم وَرَد على التخفيف، والسبب في ذلك كونه لغةَ الذين وَلُوا نَسْخَ المصاحف زمن عثمان رحمه الله، وهم قريش.. فلذلك ورد تصوير أكثر الهمز على التسهيل، إذ هو المستقِرّ في طباعهم والجاري على ألسنتهم»[2]. ثم ذكر نزول القرآن بالتحقيق وبالتخفيف بناءً على أنهما من اللغات السبع التي أَذِن الله تعالى للأمة في استعمالها، والقراءة بها شاءت منها»[3] والمهم هنا أن الإمام الداني صرح مرتين بأن أكثر الهمز رسم حسب القراءة بالتسهيل الذي هو لغة قريش ولم يقل كل الهمز. ويبقى بعد ذلك إجراء دراسة استقرائية لضبط هذه الأكثرية. هذا عن مجموعة الهمز.

١٠/ هـ: وأما عن مجموعة غير الهمز من الرسم حسب اللهجات، فقد مر أن د. غانم الحمد ذكر أربعة أمثلة من رسم الكلمات حسب لغة قريش. ثم إننا بالبحث العابر حسب الطاقة التقطنا[4] أمثلة من كلمات في المصحف رسمت بحسب لهجات غير لهجة قريش. ومن ذلك:

---

(١) السابق نفسه ١٥٠-١٥١.

(٢) المحكم: ١٥١.

(٣) نفسه ١٥١-١٥٢.

(٤) اتكأت في التقاط اللهجات وعزوها في ١٠/ هـ على مسودة كتاب للعلامة الدكتور الموافي الرفاعي البيلي في اللهجات اللفظية- مع الاجتزاء في التوثيق.

في قوله تعالى ﴿ وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝ ﴾ [الفرقان: ٥] جاء في البحر لأبي حيان أن (أَمْلَى) لغة تميم[1]. وذلك مقابل لغة الحجاز وهي (أَمَلَّ). وكلمة تُملَى هي المضارع المبني للمجهول من (أَمْلَى)؛ فالكلمة رُسِمت حسب لغة تميم.

٢-وفي قوله تعالى ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞ ﴾ [البقرة: ٢٨٢] جاء في البحر أن الفك لغة الحجاز والإدغام لغة تميم[2]. والفك يقتضي أن ترسم الكلمة (يضارر)، وإذاً فهي رسمت حسب لغة تميم.

٣-ومثل (يضار) قوله تعالى ﴿ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ ﴾ [الحشر: ٤] جاء في البحر «بالإدغام لغة تميم»[3].

٤-قوله تعالى ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] جاء في البحر أن (صَعّر) مشدد العين لغة تميم[4]. ومقابل هذا (صاعر) بالألف لغة الحجاز. فالكلمة مرسومة حسب لغة تميم.

٥-قوله تعالى ﴿ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] رسمت في المصحف هنا وفي البقرة (يستحي) بياء واحدة في الآخر لا بياءين. وجاء في البحر أن هذه لغة تميم[5]. ولغة الحجاز بياءين.

---

(١) ينظر البحر (الكتب العلمية) ٢/ ٣٥٨.

(٢) البحر ٢/ ٣٧.

(٣) ينظر البحر ٤/ ٤٦٦.

(٤) ينظر البحر ٧/ ١٧٧.

(٥) البحر ٧/ ٢٣٧.

٦-قوله تعالى ﴿إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤] جاء في البحر والإتحاف أنها بالهمز لغةٌ لبنى أسد[١].

٧- ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: ١١] ذكر ابن السكيت أن (كشط بالكاف لغة بني أسد في (قُشط)[٢].

ويتحصل لنا من ذلك، ومن الأمثلة الأربعة التي ذكرها د. غانم الحمد أن رسم المصحف وقع بحسب لهجات كثيرة لا بحسب لهجة قريش وحدها، فلا يتأتي الاحتجاجُ به في إثبات نزول القرآن بلغة قريش.

١١ -: وهنا يثور سؤال بالغ الأهمية في موضوعنا، وهو ما دام القرآن نزل بلغة قريش فكيف وقع رسم كثير من كلماته بغير لغة قريش؟

بعد الدراسة تبين أن الظروف التي سنذكرها الآن كانت تتيح أن تقبل لجنة كتابة المصاحف رسم بعض الكلمات حسب الأداء اللهجي لغير قريش.

١ – بدأت كتابة المصاحف سنة ٢٥هـ أو السنة التالية لها- أي بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى بنحو ستة عشر عاماً.

وفي تلك الحقبة كسا الإسلامُ الجزيرة العربية، وامتدّ إلى أقطار الأرض شرقاً وغرباً. والمهم أن جميع القبائل العربية أصبحت تقرأ القرآن، وهي تقرأ بلهجاتها ولابد، أي أن كلاًّ من اللهجات العربية اكتسبت قَدْراً من الانتشار بقراءة أبنائها ومخالطيهم القرآنَ بلهجة قبيلة غير قرشية.

٢ – ما سبق ساعد جدًّا في انتشار ما يسمى اللغة المشتركة التي تجمع كثيراً

---

(١) ينظر البحر ٦/ ١٥٧ وإتحاف فضلاء البشر ٢٩٥.

(٢) ينظر الإبدال لابن السكيت ١١٤، لكن في المزهر ١/ ٥٦٤ أنها بالكاف لقريش.

من العناصر اللهجية المختلفة، لشيوع مادة مشتركة هي القرآن الكريم يقرؤه الجميع ويسمع بعضهم بعضا، ويألف كلٌّ لغةَ الآخر، وهنا يقع من كثيرين اختيار نُطوق لبعض الكلمات غير نُطْق قبيلتهم، فتشيع أنواع من النطق معينة.

٣ - البندان السابقان أكسبا كثيراً من اللهجات غير القرشية انتشاراً ومشروعية وقبولاً وحضوراً في الأذهان وعلى الألسنة.

٤ - يضاف إلى ذلك أن هناك قبائل كثيرة تشترك في ظواهر لهجية معينة[١].

٥ - وأن المصاحف التي كتبت هي كثيرة سبعة أو أكثر على الراجح[٢]، مما يتيح توزيع لهجات عليها حسب ما ترى اللجنة.

٦ - وأن كتابة ذلك العدد من المصاحف استغرقت زمنا ممتدًّا نسبياً، نقدره بسنتين على الأقل، وهذا زمن يتيح إِلْف اللهجات المسموعة، ويتيح إمكان التسامح وقبول الرسم بها.

٧ - وأن تلك المصاحف أُرْسِلَتْ إلى أمصار كثيرة (خمسة على الأقل: البصرة والكوفة ودمشق وحمص بالإضافة إلى مكة والمدينة وربما البحرين واليمن)، فيمكن أن تُراعِي لجنة كتابة المصاحف ذلك في كتابة المصحف المزمع إرساله إلى ذلك المصر المعين.

كل ذلك يفسح المجال لإمكان كتابة بعض الكلمات بحسب أداء لهجة غير قرشية.

---

(١) مثلا (أَمَلّ) بمعنى (أملى) لأهل الحجاز وبني أسد (البحر ٢/ ٣٥٧-٣٥٨)، زيادة الباء في خبر (ما) عند الحجازيين والتميمين (البحر ١/ ١٨٣)، كان فلان قائم- أسد وعبس وقيس (شرح أبيات سيبويه للنحاس ص٣٩).

(٢) ينظر كتاب وثاقة نقل النص القرآن الكريم د. محمد حسن حسن جبل / ٢٨٣.

٨ - أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- علّق حتمية الرسم حسب القرشية بوقوع الاختلاف بين اللجنة (إذا اختلفتم)، ومعنى هذا أنهم إذا اتفقوا- تسامحاً وتقديراً لانتشار لهجة غير قرشية وقبولها عند الناس- على الرسم حسب أداء هذه اللجنة، فلا بأس من ذلك.

٩ - وأن اللجنة تعلم ولا شك -أن هذه كلها قبائل عربية، والقرآن عربي، فلا إثم في رسم بعض الكلمات بحسب أداء أي منها.

١٠- هنا نص يزكي ويوثق ما قلناه في الفقرتين السابقتين: جاء في (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار لأبي عمرو الداني) أنه لما أجمع الصحابة مع سيدنا عثمان رضي الله عنهم على نسخ مصاحف من مصحف أبي بكر ليرسلوها إلى الأمصار لتوحيد القراءة «أرسل عثمان إلى زيد بن ثابت وإلى عبد الله بن عمرو بن العاص، وإلى عبد الله بن الزبير وإلى ابن عباس وإلى عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقال: انسخوا هذه الصحف (يعني صحف أبي بكر) في مصحف واحد، وقال للنفر القرشيين: إن اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه على لسان قريش، فإنما نزل بلسان قريش. قال زيد: فجعلنا نختلف في الشيء، ثم نُجْمِع أمرنا على رأي واحد. فاختلفوا في (التابوت) فقال زيد (التابوه)، وقال النفر القرشيون (التابوت) قال: فأَبَيْت أن أرجع إليهم وأبَوْا أن يرجعوا إليّ، حتى رَفَعْنا ذلك إلى عثمان، فقال اكتبوه (التابوت) فإنما أنزل على لسان قريش».

فهذا كلام صريح في أن حتمية الرسم حسب لغة قريش معلّقة بحالة الاختلاف إذا لم يتفقوا على رأي، وأنهم إذا اتفقوا على رأي مراعاة منهم لما استشعروه من الاعتبارات التي ذكرناها أو لبعضها فإنهم يمكن أن يرسموا

بعض الكلمات بغير لغة قريش. فهذا هو مأتى وقوع الرسم المخالف للغة قريش في المصحف. وعلى ذلك فإن وقوع هذا الرسم المخالف للغة قريش في المصحف لا يقدح أبداً في ما أثبتناه بالأدلة من نزول القرآن بلغة قريش. والحمد لله رب العالمين.

١٢ – (قراءة النبي ﷺ، وقريش بالهمز):

١٢/أ: هنا مسألة تفرض نفسها. وهي أن أكثر قريش وأهل الحجاز لم يكونوا يحققون الهمزة[١]، وقد قال سيدنا علي «لولا أن جبرائيل نزل بالهمز على النبي ﷺ ما همزنا» وفي رواية «نزل جبريل –عليه السلام– على النبي ﷺ بالهمز فلذلك همزنا» ويوثق هذا الحديث أن عليًّا –رضي الله عنه– «كان يهمز ويدع»[٢] أي أنه كان يهمز أحياناً. وقولة عليّ في هذا الأثر تعني أن لغة قريش لُفِتت إلى أهمية استدراك الهمزة، لأهمية دورها في الكلام، وهو ما عبّر عنه أبو عمرو بن العلاء بقوله «الهمز أتقن للقارئ وأمكن للحروف، وأبين للمعاني»[٣]. فهل كانت قريش تحقق الهمزة في قراءتهم القرآن؟ وهل كان النبي ﷺ يحقق الهمزة في

---

(١) أ–لغة قريش هي قوام لغة أهل الحجاز، وكثيراً ما تستعمل عبارة (أهل الحجاز) مقصودا بها قريش (ينظر: لغة قريش لمختار الغوث، ص٣٤).

ب – بعض قريش كانوا يحققون الهمزة قال سيبويه «وقد بلغنا أن قوماً من أهل الحجاز من أهل التحقيق يحققون نبيء وبريئة» الكتاب، بولاق ٢/ ١٧٠ وفي ٢/ ١٦٩ «أهل التحقيق من بني تميم وأهل الحجاز».

(٢) الرواية الأولى في شرح الرضى الشافية ٣/ ٣٢، والثانية والثالثة في (الحروف) لأبي الحسين المزني ١٢٩.

(٣) كتاب الحروف للمزني ١٢٩.

قراءته ﷺ القرآن؟

١٢/ب: وقبل الإجابة نلفت إلى أن كلمة سيدنا على تشير إلى استحسان الأخذ بتحقيق الهمز، لكنها لا توجبه. وكيف توجبه والتخفيف عند أهله سليقة؟ فيكفي عند غير أهل التحقيق ما يُثْبِت القبول، بأن يحقق اللافظ أحياناً ما تخففه لهجته. ولا شك أن النبي ﷺ هو أولى مَن يأخذ بذلك، لكن في تلك الحدود أيضاَ. فليس من الحق في أمر كهذا أن يُحَتَّم عليه ﷺ الالتزام بشيء هو من غير لهجته، في حين يباح لسائر الأمة أن يقرأ كلٌّ بلهجته- كما سيأتي. وأما قريش فهم مئات أو ألوف تختلف نفوسهم وظروفهم، فقد يتخلف بعضهم عن الالتزام لصعوبة، أو لغير عذر.

١٢/ب*: وأيًا كان فقد وُجِد ما نُصَّ فيه على أن أهل مكة- وجُلّهم أو كلهم في ذلك الدهر- قرشيون: كانوا يهمزون كلمات تحتمل التخفيف، ويخالفون سائر العرب في ذلك ومن هذه الكلمات أربع مشهورة هي: النبى، والبرية، والذرية، والخابية»[1]. ومنثورات التقطنا منها: أولاء، أولئك، هؤلاء، الملائكة[2]. وقد ذكرنا آنفا أن بعض أهل الحجاز يحققون الهمز، ومصطلح (أهل الحجاز) يصدق على قريش[3].

١٢/ب**: وهذا بالقطع عدا الكلمات التي لا تحتمل التخفيف، كما إذا

---

(١) ينظر لسان العرب (نبأ).

(٢) ينظر المعجم الكامل في لهجات الفصحى د. داود سلوم ٢٦، ٤٠، ٤٦٤. وكلمة الملائكة لم يسهلها أحد في القراءة وصلاً. والأمر يستحق استقراء.

(٣) ينظر (لغة قريش) لمختار الغوث، ص٣٤.

وقعت الهمزة في أول كلمة في أول النطق كقولك: أنا فعلت، أحسن قولك، وأَدِمْ التنبّه.

١٢/ب***: وفي البحر «روى الكسائي عن إسماعيل بن جعفر عن أبي جعفر وشيبة أنهما لم يهمزا (وسل) ولا (فسل) مثل قراءة الكسائي. وحذف الهمزة في «سل» لغة الحجاز، وإثباتها لغة لبعض تميم. وروى اليزيدي عن أبي عمرو أن «لغة قريش (سل) (أي في الأمر من سأل) فإذا أدخلوا الواو أو الفاء همزوا»[1]. (أي قرءوا: واسأل، واسألوا، فاسأل، فاسألوا- بالهمز نطقاً، بصرف النظر عن الرسم) وفي إبراز المعاني أن أبا عبيد أسند عن ابن عباس- وهو قرشي أنه قال: ما (الخاطون)؟ إنما هي (الخاطئون)، ما (الصابون)؟ إنما هي (الصابئون) [2]. والكلمتان قرآنيتان: الأولى [الحاقة ٣٧] والثانية [المائدة ٦٩]. وفي المزهر (من غير القرآن) لغة الحجاز ذأى البقل يَذْأَى وأهل نجد يقولون ذَوَى يَذْوِى[3].

١٣- وأما عن قراءة مولانا رسول الله ﷺ بتحقيق الهمز في قراءته القرآن فإنى أبادر فأقول: نعم كان ﷺ يهمز في قراءته القرآن، ومعي أدلة:

١٣/أ: جاء في كتاب التمهيد في معرفة التجويد تصنيف أبي العلاء الحسن

(١) البحر (العلمية) ٣/ ٢٤٦.

(٢) ينظر إبراز المعاني من حرز الأماني (شرح أبي شامة للشاطبية) البيت ٤٥٨ «وفي الصابئين» إلخ (مصطفى الحلبي تحـ إبراهيم عطوة) ٣٢٩. والجزء الأخير من العبارة فيه «ما الصابئون؟ إنما هي الصابون» وهو خطأ قطعا بمقتضى السياق، وبأن المقام الإنكارُ على كارهي تحقيق الهمزة.

(٣) المزهر ١/ ٢١٥.

ابن أحمد الهمذاني العطار المتوفي ٥٦٩هـ:-

قال أبو القاسم البغوى «ورأيت في كتاب أبي عبد الله أحمد بن حنبل: حدثنا أبو طالب حفص بن جابان، قال: أخبرنا شعبة، قال: سمعت معاوية بن قرة، قال: سمعت عبد الله بن مُغَفَّل قال: سمعت رسول الله ﷺ افتتح بسورة الفتح وهو على ناقته فرجَّعَ فيها آآآ يهمز ويترسل»وقال أبو القاسم البغوى حدثنا زياد ابن أيوب حدثنا أبو طالب مثله»[1]. (وإن كان قد يقصد به غير الهمز الاصطلاحي).

فالإمام البغوي يروي هذا الحديث عن مسند أحمد. وقصة هذا الحديث في غزوة الحديبية. وقد أحال د. الحمد (محقق كتاب التمهيد هذا)، للتوثيق، على فتح الباري ط المطبعة السلفية ١٣٨٠هـ ١٣/ ٥١٢. وأضيف أنا أن سورة الفتح فيها أكثر من مئة همزة، لعلها كانت هي المقصودة بكلمة (يهمز).

١٣/ ب: **الدليل الثاني**: جاء في الإتقان في النوع الثاني والثلاثين: (المد والقصر) أخرج سعيد بن منصور في سننه: حدثنا شهاب بن حراش: حدثني مسعود بن يزيد الكندي قال: كان ابن مسعود يقرئ رجلاً، فقرأ الرجل ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ﴾ [التوبة: ٦٠] مُرْسَلة. فقال ابن مسعود: ما هكذا أقرأنيها رسول الله ﷺ. فقال الرجل كيف أقرأكها يا أبا عبد الرحمن؟ فقال: أقرأنيها (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) فمدّ. «قال السيوطي: وهذا حديث حسن جليل، حجة ونص في الباب، رجال إسناده ثقات، أخرجه

---

(١) التمهيد في معرفة التجويد للهمذاني (تحـ د. غانم الحمد) ١٦٩.

الطبراني في الكبير»[1].

١٣/ج: وهنا ملاحظ:

الأول أن السيوطي إمام من أَجَلّ علماء الحديث، وقد حكم بأن الحديث حسن جليل حجة، وأن رجال إسناده ثقات. وبين تخريجه.

الثاني: أنه قال إن الحديث نص في الباب، والباب هو باب المد والقصر.

الثالث: «أن كلمة (مرسلة) معناها اللغوي: مطلقة، أي ليس هناك همزة توقف مد تلك الألف التي بعد الراء في كلمة (الفقرا)، فقد يزاد المد وقد يقصر، في حين أن وجود الهمزة –بعد الألف– يُلْزِم في الحسّ العربي بمدها (أربع حركات أو ستًّا)، ويضع حداً لذلك المد، فتخرج من حالة الإطلاق والهلامية. فالمراد بكلمة (مرسلة) هنا: ممدودة بلا همز[2]. والأصل في كلمة (الفقراء) أن تكون ممدودة أي أن تزاد همزة بعد الألف التي في آخرها، وتسمى الف التأنيث الممدودة، كشُرَفاء وكُبَراء. والتأنيث هنا معنوى، لأن العرب يعدون كل جمع مؤنثاً.

الرابع: واضح أن سيدنا عبد الله بن مسعود لم يعدّ مدّها فى القراءة المرسلة مدًّا كاملاً، فقرأها هو بالهمز وزاد المد ضرورة، كما يفهم من قوله (فمَدّ)، وذلك حسَب الحسّ العربى.

---

(١) الإتقان. (ط عالم الكتب) ١/ ٩٦. وكلمة «فمد» مكتوبة في طبعة عالم الكتب هذه: فمدوها. والتصويب من الإتقان تحـ محمد أبي الفضل ١/ ٣٣٣.

(٢) استعمال الإرسال بمعنى مد الحرف الأخير بلا همز وقع أيضاً فى (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ص٥٤ (يقرأ نُجِّي) يرسل الياء فيها، على مثال فُعِّل»).

الخامس: أن المعنى المتعين لكلمة(فمدّ) هو: فجاء بهمزة بعد مد زائد. وذلك لمقابلة المدّ بالإرسال، ولأن المدّ الزائد لايكون هنا إلا بوجود همزة (فهذا من المد لهمزة متصلة). وهذا مقطوع به، وليس هناك احتمال علمى آخر لتفسير كلمة (فمدّ)، فلا يجوز أن يُفْهَم أو يُدّعى أن الراجل كان يقرأ (للفُقَر) بفتحة دون أى مد، لأن هذا يكون نطقاً أو أداءً غيرَ عربى، لأنه خطأ، والحال أن الرجل عربى. ولو كان نطقُه خطأً لكان تعليقُ ابن مسعود غيرَ ما عَلّق به. وإنما الأمر أن الرجل نطقها (للفقرا) بألف دون همز، فنبهه ابن مسعود إلى أن النبى ﷺ لم يقرأ هكذا، وإنما قرأ بالمد الزائد الذى آخره همزة ضرورة. ولا يخفى أن هذا التعبير يتطابق مع المعنى اللغوى للمد، وكذلك مع المعنى الذى اصطلح عليه اللغويون -والصرفيون خاصة- للمد.

هذا هو الدليل الثاني على أن النبي ﷺ كان يقرأ بالهمز. وهو رواية واقعية عن صحابي جليل يحكى كيف أقرأه النبي ﷺ.

١٣/ جـ* الدليل الثالث أن الهمز موجود في قراءات القرآن العشر كلها. وإنما يختلف القراء في مدى الالتزام بتحقيقه ما بين مُكْثِر ومُقِلّ، ويمكن القول بإجمال شديد إن أكثر القراء أخذاً بتحقيق الهمز هم عاصم، وحمزة، والكسائي، وابن عامر، وخَلَف، ويعقوب. أو رواتهم. ولولا أن للهمز أصلاً في قراءة الرسول ﷺ ما وقع همز في قراءة أي قارئ.

١٣/ د: وهنا خاطر يلح عليّ سأسجله، ولك أن تعتدّه -أو لا تعتدّه- دليلاً على قراءة النبي ﷺ بالهمز: إن أول ما نزل من القرآن هو ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ

ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق ١-٥] هنا خمس همزات. لا أستطيع أن أتصور أن النبي ﷺ قرأها بلا همز، خصوصاً كلمتي: اقرأ. وذلك لجلال الموقف جلالاً يفوق حد التصور، مع رهبة اللقاء الأول مواجهةً بين المَلَك جبريل وسيدنا محمد ﷺ لقاء اقترن بضم جبريل محمداً عليهما السلام ثلاثاً « حتى بلغ منه ﷺ الجَهْد» أي أقصى طاقة التحمل، وحتى عاد بعدها ﷺ إلى بيته «يرجُفُ فؤاده»[1]. فهل يتصور مع هذا كله أن يخالف النبي ﷺ في نطقه ما يلقيه عليه المَلَك؟ العقل يحيل هذا، وبخاصة أن الإتيان بالهمزة أمر يسير ومألوف، فإن المَلَك لم يُلْقِ عليه ﷺ كلاماً أعجمياً.

١٤ – (تفنيد روايتين):

١٤/ أ: هذا، وقد كفانا الإمام السيوطي –في مقام الكلام عن الهمز هذا– كفانا أمر (حديثين) كان يمكن أن يشوش بهما على إثباتنا قراءة رسول الله ﷺ بالهمز، قال السيوطي: أخرج ابن عدى من طريق موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر قال: ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمرُ ولا الخلفاء، وإنما الهمزُ بدعة ابتدعوها مِنْ بعدهم. قال أبو شامة: هذا حديث لا يُحْتَج به، وموسى بن عبيدة الربذي ضعيف عند أئمة الحديث»[2] (يقول مؤلف هذا الكتاب محمد بن حسن حسن جبل): الإمام أبو شامة: عبد الرحمن بن إسماعيل= مُحدِّث[3]. فكلامه حجة، ومتن الحديث يشهد بأنه موضوع جَزْفاً من متأخر، إذ يكاد يُوهِمُنا

---

(١) ينظر صحيح البخاري كتاب: كيف كان بدء الوحي رقم ٣ (١/ ٧).

(٢) الإتقان (تحـ محمد أبي الفضل إبراهيم) النوع ٣٣ ج١/ ٣٤٠.

(٣) تنظر ترجمة أبي شامة في معجم الأعلام للزركلي.

أنِ الهمزة حرف أعجمي ليس من حروف العربية، مع أن سورة الفاتحة -وهي سبع آيات من آيات القرآن البالغة ستة آلاف وأكثر من مئتي آية- فيها ثلاث همزات لابد أن تحقق).

١٤/ب: ثم قال السيوطي عقب كلام أبي شامة السابق «قلت: وكذا الحديث الذي أخرجه الحاكم في المستدرك من طريق حُمْران بن أَعْيَن عن أبي الأسود الدؤلي عن أبي ذر. قال جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا نبيء الله. فقال ﷺ: لست بنبيء الله. ولكني نبيّ الله. قال الذهبي: حديث منكر. وحُمْرَان رافضي ليس بثقة»[١].

١٤/جـ: ويقول مؤلف هذا الكتاب: ومتن الحديث يشهد أنه موضوع أيضاً. فالرسول ﷺ مُنْبَأٌ مِن الله ومُنْبِئٌ عن الله. وهما معنيا كلمة نبيء. فهي على صيغة فَعِيل إما بمعنى فاعل كعَلِيم بمعنى عالم، وسميع بمعنى مُسْمِع[٢]، وإما بمعنى مفعول كجريح بمعنى مجروح وكَلِيم بمعنى مُكَلَّم. والنبي ﷺ أعلم الإنس والجن، ولا يخفى عليه أن كلمة (نبيّ) هي تخفيف كلمة (نبيء) فهي عينُها، ويستحيل أن ينفي النبي ﷺ صفة النبوة عن نفسه، مع أن الصيغة صحيحة وجاءت بها القراءات القرآنية سبعين مرة: بين مفردة ومجموعة ومضافة للضمير[٣]. فادعاء أن النبي ﷺ قال «لست بنبيء الله» هو كلام مبني على استغلال حسن ظن الناس بكل ما أخذ شكل الرواية الحديثية، والغالب أنه

---

(١) ينظر المرجع قبل السابق.

(٢) قال الشاعر: {أمن ريحانة الداعي السميع} أي المسمع.

(٣) ينظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (نبأ).

وَضْعُ ذى هَوًى يتغفل الناس.

١٤/ جـ*: وإن صحت الرواية فإنها قد تكون رداً من النبي ﷺ على ما يمكن أن يكون النبي ﷺ توسمه في قائل يا نبيء الله، وهو أن القائل يقصد: يا من خرج من مكة إلى المدينة (أي كما تقول العرب: نَبَأَ بمعنى خرج من أَرْضٍ إلى أَرْضٍ)، وأن الرجل قصد بهذا تجاوز معنى النبوة ومعنى الهجرة. وذلك كما استغل اليهود اشتباه كلمة (راعنا) التي هي دعاء إلى الرعاية بكلمة عبرية معناها الحمق، فكانوا ينادونه ﷺ بها نَزّه الله شأنه قاصدين المعنى الخبيث، فقال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤]. وهذا التفسير مفصَّل في تاج العروس (نبأ)، وفي آخره «قال أبو علي الفارسي: وينبغي أن تكون رواية إنكار النبي ﷺ (كلمة نبيء) غير صحيحة، لأن بعض شعرائه ﷺ وهو العباس بن مرداس السُلَمِيّ قال (في شعر مدحه به ﷺ {يا خاتم النُبَآء إنك مرسل} ولم يَرِد عنه ﷺ إنكارُه لذلك» (أي مع أن نُبَآء جمع نبيء - بالهمز- كعظيم وعظماء).

١٤/ جـ**: ويضيف كاتب هذا أن هناك معلومة مشهورة جداً وهي أن كلمة (نبيء) بالهمز هي لغة أهل مكة في هذه الكلمة مع ثلاث كلمات أخرى وهي الذرية والبرية والخابية. قال سيبويه إن العرب أجمعوا على ترك الهمز في هذه الكلمات الأربع، إلا أهل مكة فإنهم يهمزون هذه الكلمات ولا يهمزون غيرها، ويخالفون العرب في ذلك»[1]. (أي أن أهل مكة ينطقون هذه الكلمات: نبيء، ذُرّيئة، بريئة، خابئة) فقصة إنكار النبي ﷺ لكلمة (نبيء) كلها مكذوبة.

(١) تاج العروس (نبأ).

١٤/ جـ***: وهناك مستوى من انتشار تحقيق الهمز بين أهل التسهيل: فعَلِيٌّ كرم الله وجهه كان يهمز أحيانا، وأبو الدرداء كان يهمز في الصلاة، وعَلّمَ زوجته فكانت تهمز[1]. وانظر (١٢/ ب*، ١٢/ ب***) في ما سبق.

١٤/ جـ**** أما إنكار أهل المدينة على الكسائي همزه في القراءة، فإن أهل المدينة جيرانُ رسول الله ﷺ وسُلالة أنصاره، ولكن أمر الهمز وعدمه في القراءة أمر عِلْمي لا يعرف وجهَه إلا المتخصصون، أما العامة فإنهم ينكرون ما لم يعتادوه. ثم إن أهل المدينة كانوا قد تعودوا على قراءة نافع وهو لا يهمز، فاستغربوا همز الكسائي.

وكلمة أبي زيد عن أهل الحجاز تؤكد ما تقرر من أن قريشاً كانت لا تهمز، والمتوقَّع أن تظل على ذلكَ إلا من التزم بمذهب قارئ يهمز.

وقولهُ عيسى بن عمر: «ما آخذُ من قول تميم إلا بالنبر» تعني أنه استشعر أن الهمزة حرف أصيل، وإغفاله في الكلام نقص في استيفاء كل ملامح الأداء الفصيح للكلام العربي. وهذا تقدير للأمر صحيح.

١٥ - (القراءات الموافقة للهجات غير قرشية):

١٥/ أ: والآن يواجهنا جانب آخر من مسألة نزول القرآن بلغة قريش. هو أننا نجد في القراءات القرآنية صُوَراً بالغة الكثرة مما هو أداءٌ للقرآن الكريم بهيأة لهجات عريقة في العروبة والشهرة ولكنها غير قرشية: كإدغام ما تفكه قريش

---

(١) ينظر كتاب (الحروف) لأبي الحسين المزني ١٣٠-١٣١.

وأهل الحجاز، وكتحقيق الهمز الذي أُثِر عن تميم وأكثر العرب، وكالإمالة التي نُسِبت أكثرَ ما نُسِبَتْ إلى غير قريش: «تميم ومن جاورهم من أهل نجد كأسد وقيس»[1] وكأمور منتشرة -في البِنْية- كعين الفعل، وبعض صيغ المبالغة، والمصدر واسم المكان... ، وفي التركيب: كصور من إعراب المثنى وغيره، وإهمال بعض ما تُعْمِله قريش والحجازيون... وكل هذا مُوَثَّقٌ وقَرَأ به بعض القراء العشرة. فمن أين جاء هذا في القراءات؟

١٥/ب: وقبل تبين مأتى هذه القراءات أسوق أمثلة توثِّق وجود هذه القراءات. وقد اجتزأتُ منها هنا بحوالي أربعين موضعاً، لكنها في واقع القراءات القرآنية تبلغ المئات من المفردات، وذلك عدا الأبواب المطردة. وقصدت بتلك الأمثلة- مع توثيق الكلام: استنفارَ الجِدِّيَّة والالتفات لتبين الأمر على حقيقته.

قائمة ببعض قراءات بغير القرشية[2]



---

(١) ينظر للامرين تحقيق الهمز، والإمالة: خصائص لهجتي تميم وقريش د. الموافي الرفاعي البيلي ٤٨، ١٧٦ وما بعد كُلٍّ.

(٢) انتقيت مفردات هذه القائمة بتوثيقها من رسالة لقيني الفاضل أ.د. سعيد الفواخري: الظواهر اللهجية في المحرر الوجيز لابن عطية – مع مزيد التوثق.

الكلمة القرآنية	توثيقها	ضبط القراءة المقصودة	القارئ بها	اللهجة وعزوها موثقاً
الصراط صراط	الفاتحة ٦، ٧	السراط.. سراط بالسين الصراط.. صراط (بالصاد مشمة زاياً)	قنبل (عن ابن كثير)، رويس عن يعقوب خلف عن حمزة	غامة العرب غير قريش. البحر (الكتب العلمية ١/ ١٤٤). لغة قيس. البحر (العلمية/ ١٤٣)
(حج البيت)	آل عمران ٩٧	حج بكسر الحاء	حفص وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف	لغة أهل نجد. المحرر الوجيز قطر ٣/ ٢٣٠، البحر ٣/ ١٢
(فنعما هي)	البقرة ٢٧١	بكسر النون والعين	حفص وابن كثير وورش	لغة هذيل (كتبت هزيل خطأ) المحرر ٣/ ٤٦١، بحر ٢/ ٣٣٧.
(يوم حصاده)	الأنعام١٤١	بفتح الحاء	عاصم وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب	الفتح لنجد وتميم، وفي المحرر ٥/ ٢٧١ «الغتان».
(والشفع والوتر)	الفجر ٣	بكسر واو (الوتر)	حمزة والكسائي وخلف	لغة تميم، البحر ٨/ ٤٦٢
(بمصرخي)	إبراهيم ٢٢	بكسر الياء المشددة	حمزة. وافقه الأعمش	لغة في بني يربوع، بحر ٥/ ٤٠٩
(ميسرة)	البقرة ٢٨٠	بفتح السين	كلهم عدا نافع	لغة أهل نجد، بحر ٢/ ٣٥٥.
(قرح)	آل عمران ١٤٠	بضم القاف	حمزة والكسائي وخلف، وشعبة عن عاصم	لغة غير أهل الحجاز (الدر المصون ٣/ ٤٠٢، لغة تميم (قبائل عبيد ١/ ٦١[1].

(١) رسالة د. سعيد الفواخري (الظواهر اللهجية في المحرر الوجيز لابن عطية) ص١١٨.

الكلمة القرائية	توثيقها	ضبط القراءة المقصودة	القارئ بها	اللهجة وعزوها موثقاً
(شرب الهيم)	الواقعة ٥٥	بفتح الشين	ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر ويعقوب والكسائي وخلف	لغة أكثر أهل نجد/ تميم (المزهر ٢/ ٢٧٧، زاد المسير ٨/ ١٤٥)[١].
فصرهن	البقرة ٢٦٠	بكسر الصاد	حمزة وأبو جعفر وخلف ورويس	لغة هذيل وسليم. معاني القرآن للفراء ١/ ١٧٤، لسان العرب صير[٢].
(فلأمه)	النساء ١١	بكسر الهمزة	حمزة والكسائي	هوازن وهذيل (البحر ٣/ ١٩٣، والدر المصون ٣/ ٦٠٢، إعراب القرآن للنحاس ١/ ٤٤٠)[٣].
(بالقسطاس)	الإسراء ٣٥	بكسر القاف	حفص وحمزة والكسائي وخلف، وافقهم الأعمش	لغة غير أهل الحجاز، الإتحاف للبناء ٢٨٣[٤].
(أسوة)	الأحزاب ٢١	بضم الهمزة	عاصم	لغة قيس وتميم (الإتحاف ٣٥٤، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٣٩، تميم- المزهر ٢/ ٢٧٧)[٥].

---

(١) السابق نفسه ص١٢٩.

(٢) نفسه ص١٤٩.

(٣) ينظر الظواهر اللهجية في المحرر الوجيز د. سعيد الفواخري ١٥٩.

(٤) السابق ١٥٣.

(٥) السابق ١٥٧.

الكلمة القرآنية	توثيقها	ضبط القراءة المقصودة	القارئ بها	اللهجة وعزوها موثقاً
(بزعمهم)	الأنعام ١٣٦، ١٣٨	بضم الزاي	الكسائي	لغة بني أسد (البحر ٤/ ٢٣٠، الدر المصون ٥/ ١٥٩، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٩٧ لسان العرب زعم، الإتحاف ٢١٧).
(بالعدوة)	الأنفال ٤٢	بضم العين	نافع، ابن عامر، عاصم، حمزة، الكسائي، أبو جعفر، وخلف	لغة تميم (المزهر ٢/ ٢٧٧).
(بربوة)	البقرة ٢٦٥	بفتح الراء	عاصم وابن عامر	لغة تميم (الطبري، حجة القراءات لأبي زرعة ١٤٦، لسان العرب (ربا).
(المعز)	الأنعام ١٤٣	بفتح العين	ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ويعقوب	لغة عقيل (المحتسب لابن جني ١/ ٨٤، ٨٥، ٢٣٤، الخصائص لابن جني ٢/ ٩، ١٠.
(دأباً)	يوسف ٤٧	بفتح الهمزة	حفص	لغة عقيل (المحتسب لابن جني ١/ ٨٤، ٢٣٤، ٨٥).
(ظعنكم)	النحل ٨٠	بفتح العين	نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب	لغة عقيل (المحتسب لابن جني ١/ ٨٤، ٢٣٤، ٨٥).
(بالبخل)	النساء ٣٧ الحديد ٢٤	بفتح الباء والخاء	حمزة والكسائي، وخلف	لغة أسد (البحر ٢/ ٢٥٧)

الكلمة القرآنية	توثيقها	ضبط القراءة المقصودة	القارئ بها	اللهجة وعزوها موثقاً
(هزءاً)	البقرة ٦٧	بهمزة منصوبة منونة بعد الزاي الساكنة	حمزة وصلاً، وخلف وصلاً ووقفاً	لغة تميم (حجة القراءات لأبي زرعة ١٠٠، ١٠١)[1].
(السقف)	النحل ٢٦	بسكون القاف	كلهم	لغة تميم (بحر ٥/ ٤٧١) المحتسب لابن جني ٢/ ٨، ٩، روح المعاني ١٤/ ١٢٦).
(فواق)	سورة (ص) ١٥	بضم الفاء	حمزة والكسائي وخلف	لغة تميم وأسد (الإتحاف ٣٧٢)
(الرعب)	الأنفال ١٢، الأحزاب ٢٦، الحشر ٢	بسكون العين	نافع، ابن كثير، أبو عمرو، عاصم، حمزة، خلف	لغة تميم وأسد وقيس (الإتحاف ١٤٣) تميم (المحتسب لابن جني ١/ ٢٥٥).
(للسحت)	المائدة ٤٢	بسكون الحاء	نافع وابن عامر، وعاصم وحمزة وخلف	لغة تميم وأسد وقيس (الإتحاف ١٤٣) تميم (نفسه)
(عرباً)	الواقعة ٣٧	بسكون الراء	شعبة وحمزة وخلف	لغة تميم. (السبعة ٦٢٢، البحر ٨/ ٢٠٧)
(مؤصدة)	الهمزة ٨	بالهمزة الساكنة	أبو عمرو، حفص، حمزة، يعقوب، خلف	لغة تميم فهم يقولون آصدت (المزهر ٢/ ٢٧٧)، لغة بني أسد (البحر ٦/ ١٥٤)
(يؤده)	آل عمران ٧٥	بسكون الهاء	أبو عمرو وشعبة وحمزة	لغة بني عقيل، كلاب (بحر ٢/ ٥٢٤) أزد السراة، محرر ٧/ ٢٩٩.

(١) السابق ص ٢٠٢.

الكلمة القرآنية	توثيقها	ضبط القراءة المقصودة	القارئ بها	اللهجة وعزوها موثقاً
(لا يؤده)	آل عمران ٧٥	بسكون الهاء	أبو عمرو وشعبة وحمزة	لغة بني عقيل، كلاب (بحر ٢/ ٥٢٤) أزد السراة، محرر ٧/ ٢٩٩.
(نصله)	النساء ١١٥	بسكون الهاء	أبو عمرو وشعبة وحمزة	لغة بني عقيل، كلاب (بحر ٢/ ٥٢٤) أزد السراة، محرر ٧/ ٢٩٩.
(نؤته)	آل عمران ١٤٥	بسكون الهاء	أبو عمرو وشعبة وحمزة	لغة بني عقيل، كلاب (بحر ٢/ ٥٢٤) أزد السراة، محرر ٧/ ٢٩٩.
(يرضه)	الزمر ٧	بسكون الهاء	هشام وشعبة والدوري والسوسي	لغة بني عقيل، كلاب (بحر ٢/ ٥٢٤) أزد السراة، محرر ٧/ ٢٩٩.
(يره)	الزلزلة ٧، ٨	بسكون الهاء	هشام	لغة بني عقيل، كلاب (بحر ٢/ ٥٢٤) أزد السراة، محرر ٧/ ٢٩٩.
(نوله)	النساء ١١٥	بسكون الهاء	أبو عمرو وشعبة وحمزة	لغة بني عقيل، كلاب (بحر ٢/ ٥٢٤) أزد السراة، محرر ٧/ ٢٩٩
(أف)	الإسراء ٢٣	بضم الهمزة وشد الفاء مفتوحة بلا تنوين	ابن كثير وابن عامر ويعقوب	لغة قيس (الإتحاف ٢٨٣)
(يعرشون)	الأعراف ١٣٧، النحل ٦٨	بضم الراء	ابن عامر وشعبة	لغة بني تميم (إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٤٧، الجامع لأحكام القرآن ٧/ ٢٧٢)

الكلمة القرائية	توثيقها	ضبط القراءة المقصودة	القارئ بها	اللهجة وعزوها موثقاً
(انشزوا)	المجادلة ١١	بكسر الشين	ابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، الكسائي، يعقوب وخلف	لغة غير أهل الحجاز (معاني القرآن للفراء ٣/ ١٤١).
(متم)	آل عمران ١٥٧، ١٥٨)	بضم الميم الأولى	ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب	لغة سفلى مضر- تميم (البحر ٣/ ١٠٣، الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢٤٧)
(يحسبهم)	البقرة ٢٧٣	بفتح السين	ابن عامر وعاصم وحمزة وأبو جعفر	لغة سفلى مضر- تميم (نوادر أبي زيد ٥٥٧، بحر ٢/ ٣٤٢)
(يبشرك)	آل عمران ٣٩، ٤٥	بضم الياء وفتح الباء وشد الشين منكسرة	كل العشرة ما عدا حمزة والكسائي	لغة تميم (لغات القبائل الواردة في القرآن على هامش الجلالين ١/ ١٥٢) [1].
(ولا يحزنك)	آل عمران ١٧٦	بضم الياء وسكون الحاء وكسر الزاي	نافع	لغة تميم (الصحاح حزن، المصباح).

بعد هذه القائمة التي أرجو أن تكون أقنعتك بوجود لهجات كثيرة غير قرشية في القراءات القرآنية، وبخاصة أن الذي احتوته هذه القائمة لا يبلغ معشار ما في القراءات القرآنية من المفردات- وذلك عدا الأبواب المطردة شبه اطراد في الهمز والإمالة والإدغام وما إليها= نتساءل عن مأتى هذه القراءات اللهجية.

---

(١) الظواهر اللهجية في المحرر الوجيز د. سعيد الفواخر ٣٨٣.

١٦ - (تيسير القراءة باللهجات):

١٦/ أ: إن مأتى هذه اللهجات العربية في القراءات القرآنية هو رحمة الله عز وجل، بتيسيره للعرب أن يقرءوا القرآن بلهجاتهم. إن الله عز وجل أودع في القرآن- نصًّا أو إجمالاً يفصله ويكمله الرسول ﷺ - جُلَّ ضوابط حياة هذه الأمة؛ في العقيدة والشريعة والأخلاق والاجتماعيات والآداب، وما فيه صلاح أمة القرآن في دينها ومعاشها ومعادها. ومن أجل ذلك كلّفهم سبحانه بتلاوة القرآن وتدبُّره لاستخراج ما يرشدهم ويضيء حياتهم من أسراره وتوجيهاته، وليبلِّغوا أنواره وهدايته إلى الناس كافة. وقد أنزل الله سبحانه القرآن عربيًّا، فكان من رحمته سبحانه وتعالى أن يسر للعرب الذين نزل القرآن بلسانهم أن يقرءوه بلهجاتهم؛ فهو سبحانه يعلم ما طُبع عليه الإنسان من تمسُّكه بلهجته التي نشأ عليها، وصعوبة انتقاله عنها صعوبة قد تصده عن الإقبال على القرآن، ومن ثم عن تدبره وفهمه واستنباط أسراره.

١٦/ ب: وقد سبق بلحظ هذه الرحمة والتنويه بها أئمة كثيرون، جئت لك أيها الدارس بكلام نحو عشرة أئمة منهم، كيلا تظن أن هذا رأي مبتدع أو مستحدث.

قال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (٢٧٦هـ) رحمة الله: «إن المتقدمين من الصحابة والتابعين قرءوا بلغاتهم، وجَرَوْا على عاداتهم، وخلَّوْا أنفسهم وسَوْمَ طبائعهم، فكان ذلك جائزاً لهم، ولِقَوْم من القراء بعدَهم مأمونين على التنزيل عارفين بالتأويل. فأما نحن معشر المتكلفين[1] فقد جَمَعنا الله -بحسن

(١) كلمة (متكلفين) تعني هنا الذين فقدوا السليقة العربية الأصيلة ويحاولون تعويضها بالدراسة.

اختيار السلف لنا- على مصحف هو آخر العرْض، وليس لنا أن نعدُوَه. كما كان لهم أن يفسروه، وليس لنا أن نفسره»[1].

وابن قتيبة يعني بالكلام الأخير أن القراءات باللهجات توقفت عند ما تلقاه أئمة القراءات، ولم يَعُدْ يجوز لأحد بعدهم أن يقرأ بلهجته. وهذا حق نبه إليه ابن قتيبة مبكراً. فجزاه الله خيراً.

١٦/ جـ: وعلى الدارس أن يلحظ أن ابن قتيبة قال «إن الصحابة والتابعين قرءوا بلغاتهم» ولم يقيد ذلك بالتلقي عن النبي ﷺ في أمر اللغات (اللهجات) هذا، وذلك لأنهم قرءوا باللهجات بناء على الإذن العام بذلك، وهو أن النبي ﷺ أُمِرَ أن يُقْرِئَ كلَّ قوم بلغتهم. والإقراء هنا معناه إجازة القراءة باللهجات وإقرارها. أقول وبناء على ذلك قرأ عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- (عتى حين) حسب لهجته[2]. ولولا أنه كان يعلم بجواز قراءته بلهجته ما فعل ذلك. وكذلك قرأ (ما هذا بشرٌ) (يوسف ٣١) بإهمال (ما) التي يُعْمِلُها الحجازيون (قريش)[3] ولولا ثقته بأن قراءة الإنسان بلهجته جائزة ما قرأ كذلك. وأريد هنا أن أنبه إلى أن الذين يشترطون أو يظنون ضرورة تلقي القراءة اللهجية من الرسول ﷺ أي تَوَقُّف جوازها على ذلك التلقي يقعون في خطأين: الأول إبطال كون القراءة باللهجات تيسيراً على الأمة- وذلك أَنَّ توقف تلك القراءة على التلقي تُلْزِم كل من يريد القراءة بلهجته بأن يتلقاها عن الرسول ﷺ، وفي ذلك

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحـ السيد صقر ٤٢.

(٢) ينظر البحر (العلمية ٥/ ٣٠٧).

(٣) ينظر البحر (العلمية ٥/ ٣٠٤).

ما فيه من ضرورة لِقاء الرسول ﷺ، والاستماع إليه وهو يقرأ بتلك اللهجة، أو القراءة أمامه ﷺ بلهجة القارئ، وذلك مستحيل، لأن أصحاب اللهجات غير القرشية من الصحابة آلاف، ومنتشرون في البلاد، والنص القرآني الكريم طويل ليس عبارة واحدة أو عبارات محدودة، والرسول ﷺ له مشاغله الجمّة، مع كون ذلك أولاً وأخيراً تحصيلَ حاصل، لأن قراءة الإنسان بلهجته أمر فِطري.

والثاني: أن اللهجات العربية جد كثيرة (نحو ثلاثين ومئة لهجة) والرسول ﷺ لا يتسع عمره (عمر الدعوة ٢٣عاماً) لذلك، ثم إن الرسول ﷺ له مشاغله العظيمة- وقد أشرنا لذلك من قبل، وأيضاً فإن ذلك كله تحصيلُ حاصل لأن قراءة الإنسان بلهجته أمر فطري.

إنني أنا محمد حسن حسن جبل أشعر أيضاً وأنا أكتب هذا أنني أسعى في تحصيل حاصل، لأني أريد أن أثبت أمراً فطري الثبوت، ولكن عُذري أني عايشت طلاب كلية القرآن الكريم، وعَرَفت المقولات التي تتحكم في نفوسهم، فرأيت أن واجبي أن أُبَصِّرهم وأُرْشِدهم لتتسع آفاقُ مداركهم ولا يَرْكَنوا إلى الذين يقودونهم بأفكار قائمة على حماس ليس له أساس علمي. إن المسلمين- وفي مقدمتهم أهل القرآن- يواجهون أخطاراً جِساماً تتهدد دينهم، والدفاع الأمثل عن الإسلام في عصرنا وظروفنا يكون بالعلم الفاقه البصير. والله الموفق والمعين.

١٦/ د: إن قراءة الصحابة والتابعين بلهجاتهم -وهذا أمر يقيني حتى ولو لم يصرح به ابن قتيبة، لأنه الأصل والطبيعي، ولم يرد ما ينفيه= هي حلقة بالغة الأهمية جديرة بالتنبه إلى وجودها، لأنها هي التي يَرجِع إليها كلُّ ما كان موضع

نَقْد في القراءات، لكونه لهجة ضعيفة، أو تشوبه مخالفة للغة الفصحى. فلْنَعْلَم أن مصدر تلك القراءة التي نُقِدَتْ أو ضعفت هو تلك الحَلْقة لا غيرها.

١٧ – (شهادات الأئمة):

١٧/ أ: والآن فإنى أعلم أن ما عُبِّئْتَ به أيها الدارس من المقالات الحماسية قد يصدك عن رأيي على الرغم مما قدمته لك من تصريح ابن قتيبة بأن الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بلهجاتهم دون تلقٍّ من الرسول ﷺ، وإنما بناءً على الأصل الفطري وعلى الإذن العام من الرسول ﷺ لكل إنسان أن يقرأ بلهجته. وقد ذكرت أن ذلك توقفَ عند ما تلقاه أئمة القراءات العشرة من القراءات اللهجية، ولكني الآن أزيدك إيماناً بصحة ما قررته لك بمزيد من عبارات الأئمة عن إجازة قراءة كل إنسان بلهجته.

١٧/ ب: **قال الإمام أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ)** «فكان من تيسيره –عز وجل– أن أمره ﷺ بأن يُقرئ كلَّ قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم: فالهُذَلِيّ يقرأ (عَتَّى حين) (يوسف ٣٥) يريد (حَتّى حين)، لأنه هكذا لَفَظَ بها ويستعملها. والأسدي يقرأ تِعلَمون (البقرة ٢٢) وتِعْلَم (المائدة ١١٦)، و(تِسْوَدّ وجوه) (آل عمران ١٠٦) و(أَلَمْ إعْهَد إليكم) (يس ٦٠) (يعني بكسر حرف المضارعة في ذلك كله)، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز، والآخر يقرأ (وإذا قيل لهم) (البقرة ١١)، (وغِيض الماء) (هود ٤٤) بإشمام الضم مع الكسر، و(هذه بضاعتنا رُدت إلينا) (يوسف ٦٥) بإشمام الكسر مع الضم، و(مالك لا تأمننا)– بإشمام الضم مع الإدغام. وهذا ما لا يَطُوع به كل لسان. ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمِرَ أن يزول عن لغته، وما جرى عليه اعتياده طفلاً

وناشئاً وكهلاً= لاشتدَّ ذلك عليه، وعَظُمَت المِحْنة فيه، ولم يُمْكِنه إلا بعد رياضةٍ للنفْس طويلة، وتذليل للسان، وقَطْع للعادة. فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات، ومُتَصَرَّفاً في الحركات، كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم- على لسان رسوله ﷺ أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم، وصلاتهم وصيامهم، وزكاتهم وحجهم، وطلاقهم وعتقهم، وسائر أمور دينهم»[١].

١٧/ جـ كلمة قاسم بن ثابت «ت ٣٠٢هـ»:

«وقال قاسم بن ثابت أبو محمد (وهو عالم بالحديث واللغة والفقه ت٣٠٢هـ) إن الله تبارك وتعالى بعث نبيه ﷺ والعرب متناءُون في المحالّ والمُقامات، متباينون في كثير من الألفاظ واللغات، ولكلِّ عمارةٍ لغةٌ ذَلَّتْ بها ألسنتهم، وفَحْوَى قد جَرَتْ عليها عادتهم، وفيهم الكبير العاسي، والأعرابي القُحّ، ومَنْ لو رام نَفْيَ عادته وحَمْل لسانه على غير دُرْبَتِه تَكَلَّفَ منه حِمْلاً ثقيلاً، وعالج منه عِبئاً شديداً، ثم لم يكسر غَرْبَه، ولم يَمْلِك استمرارَه إلا بعد التمرين الشديد، والمساجلة الطويلة. فأسقط الله عنهم تبارك وتعالى هذه المحنة، وأباح لهم القراءة على لغاتهم، وحَمْلَ حروفه على عاداتهم، وكان الرسول ﷺ يقرئهم بما يفقهون، ويخاطبهم بالذي يستعملون بما طَوَّقه الله من ذلك، وشرح به صدره، وفتق به لسانه، وفضّله على جميع خلقه»[٢].

---

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٣٩-٤٠.

(٢) المرشد الوجيز لأبي شامة ١٢٨.

١٧/ د: كلمة الإمام أحمد بن محمد الطحاوي (وهو إمام جليل من أئمة الحديث والفقه ت (٣٢١هـ)):

وقال أبو جعفر الطحاوي: كانت هذه السبعة للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غيرها، لأنهم كانوا أُميين، لا يكتبون إلا القليل منهم، فكان يشق على كل ذي لغة منهم أن يتحول إلى غيرها من اللغات، ولو رام ذلك لم يتهيأ له إلا بمشقة عظيمة، فوُسِّع لهم في اختلاف الألفاظ إذا كان المعنى متفقاً»[١].

١٧/ هـ: كلمة الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (وهو موسوعي لكنه الأشهر في القراءات ت ٤٤٤هـ). وقال الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني وهو في مَعْرِض كلامه عن حِكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف «وأما وجهُ إنزال القرآن على هذه السبعة أحرف، وما الذي أراد تبارك اسمه بذلك، فإنه إنما أُنْزِل علينا [كذلك على سبعة أحرف] توسعةً من الله تعالى على عباده ورحمة لهم، وتخفيفاً عنهم- عند سؤال النبي ﷺ إياه لهم، ومراجعته له فيهم، لعلمه ﷺ بما هم عليه من اختلاف اللغات، واستصعاب مفارقة كل فريق منهم الطبعَ والعادةَ في الكلام إلى غيره [فخفف] تعالى عنهم السؤال عليهم بأن أقرهم على مألوف طبعهم وعادتهم في كلامهم». ثم ذكر الداني حديثَ سؤالِ النبي ﷺ ربَّه التخفيفَ عن أمته «أسأل الله معافاته ومغفرته. إن ذلك ليَشُقّ على أمتي ولا يستطيعون» إلى تمام الحديث بهذه الرواية. ثم قال الداني: «ويمكن أن يكون هذه

---

(١) ينظر المرشد الوجيز ١٠٦.

السبعة أوجه من اللغات، فلذلك أنزل القرآن عليها»[1].

وقد عقب الداني على الوجه الأخير من الاختلافات التي ذكرها وهو «التصرف في اللغات نحو الإظهار والإدغام إلخ» بقوله «وقد ورد التوقيف عن النبي ﷺ بهذا الضرب من الاختلاف، وأذن فيه لأمته في الأخبار المتقدمة، وفي ما حَدَّثَنَاهُ عليٌّ بن محمد الربعي [ثم ذكر سنده إلى] حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ«اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها» قال أبو عمرو: ولحونها وأصواتها مذاهبها وطباعها»[2] ا.هـ. وأقول أنا محمد بن حسن حسن جبل إن كلمة لَحْن تستعمل بمعنى اللغة أي اللهجة استعمالاً صحيحاً وثابتاً[3]، فالاحتجاج بها هنا صحيح.

١٧/ و: كلمة إمام القراءات الشهير مكي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ):

ذكر أبو شامة أن بعضاً من أهل العلم حاول استخراج سبعة أحرف من هذه القراءات المشهورة (السبع أو العشر) فقال بعضهم: تدبرت وجوه الاختلاف في القراءات فوجدتها سبعة: منها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته مثل (هن أطهرُ لكم) و(أطهرَ لكم)، و(يضيقُ صدري) و(يضيقَ صدري) بالرفع والنصب فيهما... «وذكر الأوجه الستة الباقية، وتعليقاً لابن عبد البرّ عليها، ثم قال أبو شامة» واعتمد على هذه الأوجه مكي بن أبي طالب. وجعل من القسم الأول نحو (البُخْل) و(البَخَل) (أي بالضم، وبالتحريك)،

---

(١) جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني تحـ عبد الرحيم الطرهوني وصاحبه ١/ ١٠٩.

(٢) ينظر السابق ١/ ١١٤-١١٥.

(٣) ينظر تاج العروس (لحن).

و(مَيْسُرة) بضم السين وفتحها[1]. ثم ذكر مكي أنه لا يُقْرَأ من ذلك بما خالف المصحف. ثم قال مكي: فأما ما اختلف فيه القراء من الإمالة والفتح والإدغام والإظهار والقصر والمد والتشديد والتخفيف وشبه ذلك، فهو من القسم الأول، لأن القراءة بما يجوز منه في العربية ورُوي عن أئمة ثقات (هي) جائزةٌ في القرآن؛ لأن كله موافق للخط»؛ قال (مكي): وإلى هذه الأقسام في معاني السبعة ذهب جماعة من العلماء، وهو قول ابن قتيبة، وابن شريح، وغيرهما، لكنا شرحنا ذلك من قولهم. قال «وهو الذي نعتقده ونقول به، وهو الصواب إن شاء الله تعالى»[2].

وليلحظ أن كلمة (البُخْل) بضبطيها، وكذلك (ميسُرة)، والإمالة والفتح إلى آخر ما ذكره كل ذلك هو من (اللهجات) وقد ذكر أن القراءة به جائزة.

١٧/ ز : كلمة إمام القراءات أبي علي حسن بن علي الأهوازي (ت ٤٤٦هـ):

قال الأهوازي: وقالت طائفة (أي في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف): سبع لغات من قريش حسبُ». وفي رواية عن على بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم قالا نزل القرآن بلغة كل حي من أحياء العرب. وفي رواية عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يُقرئ الناس بلغة واحدة فاشتد ذلك عليهم

---

(١) ويلتفت إلى أن قراءتي كلٍّ من (البخل)، (ميسرة) هي لهجات، وكذلك ما سماه أبو شامة القسم الأول (هن أطهرُ) بالرفع والنصب للزوم كلٍّ ضبطه في مثل هذا التركيب.

(٢) ينظر المرشد الوجيز لأبي شامة ص١١٣. (أطهر)، (يضيق) ترجعان إلى اختلاف التقدير.

فنزل جبريل فقال «يا محمد أقرئ كل قوم بلغتهم».

قال أبو شامة: هذا هو الحق، لأنه إنما أبيح أن يُقْرأ بغير لسان قريش توسعة على العرب، فلا ينبغي أن يوسَّع على قوم دون قوم، فلا يُكلَّف أحدٌ إلا قدرَ استطاعته. فمن كان لغته الإمالة أو تخفيف الهمز أو الإدغام، أو ضم ميم الجمع، أو صلة هاء الكناية، أو نحو ذلك فكيف يكلَّف غيرَه؟ وكذا كل من كان من لغته أن ينطق بالشين التي كالجحيم في نحو (أشد ق)، والصاد التي كالزاي في نحو (مصدر)، والكاف التي كالجيم، والجيم التي كالكاف، ونحو ذلك، فهُمْ في ذلك بمنزلة الألثغ، والأَرَتّ: لا يُكلَّف ما ليس في وسعه، وعليه أن يتعلم ويجتهد. والله أعلم»[1].

١٧/ ح: كلمة الإمام البغوي شارح السنة (ت ٥١٠هـ):

قال صاحب شرح السنة وهو الحسين بن مسعود البغوي «أظهر الأقاويل وأصحُّها وأشبهُها بظاهر الحديث (يعني حديث نزول القرآن على سبعة أحرف) أن المراد من هذه الحروف: اللغات، وهو أن يقرأ كل قوم من العرب بلغتهم، وما جرت عليه عادتهم من الإدغام والإظهار، والإمالة والتفخيم، والإشمام والإتمام، والهمز والتليين وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة».

ثم قال «ولا يكون هذا الاختلاف داخلاً تحت قوله تعالى ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾، إذ ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ

---

(١) ينظر المرشد الوجيز ٩٦-٩٧.

كل فريق بها شاء مما يوافق لغته من غير توقيف. بل كل هذه الحروف منصوصة، وكلها كلام الله عز وجل، نزل بها الروح الأمين على النبي ﷺ، يدل عليه قوله -عليه السلام- إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف»، فجعل الأحرف كلها منزلة»[1]. وانظر تعليقنا في ذيل الصفحة.

١٧/ ط: كلمتا الإمام الموسوعي أبي عمر بن عبد البر (ت ٦٦٥هـ):

أ - «وأما العربي المجبول على لغة فلا يكُلَّف لغة قريش لتعسرها عليه. وقد أباح الله تعالى له القراءة على لغته والله أعلم» (المرشد الوجيز ص١٠٢).

ب - «محال أن يقرئ رسول الله ﷺ واحداً منهما بغير ما يعرفه من لغته. (الضمير لعمر وهشام بن حكيم، لكن الحكم عام). (المرشد الوجيز ص١٠٣).

١٧/ ي: كلمة عن (بعض الشيوخ):

جاء في المرشد الوجيز:

وقد قال بعض الشيوخ (أي تعليقاً على القول بأن المراد بالسبع في حديث نزول القرآن على سبعة أحرف سبعُ لغات من لغات العرب قريش وهذيل وتميم وأَزْد وربيعة وهوازن وسعد بن بكر). «الواضح من ذلك أن يكون الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش ومن جاورهم من فصحاء العرب، ثم أباح للعرب

(١) ينظر المرشد الوجيز ص١٣٤. ونقول إن هذه القراءات داخلة تحت الإذن العام من المولى عز وجل لرسوله ﷺ أن يقرأ كلُّ قوم بلغتهم، أما الادعاء بأن كل جزئية من تلك القراءات هي متلقاة بعينها من رسول الله ﷺ فهو كلام سنده الحماس، لأن العربي يدغم أو يفك ويميل أو ينصب إلخ حسب لهجته - دون احتياج إلى توقيف. والله يغفر لنا وله.

المخاطبين به المنزل عليهم أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلاف في الألفاظ والإعراب، ولم يكلف بعضهم الانتقال من لغته إلى غيرها لمشقة ذلك عليهم، ولأن العربي إذا فارق لغته التي طُبِعَ عليها يدخل عليه الحَمِية من ذلك فتأخذه العزة، فجعلهم يقرءونه على عاداتهم وطبائعهم ولغاتهم، مَنًّا منه عز وجل، لئلا يكلفهم ما يشق عليهم، فيتباعدوا عن الإذعان. وكان الأصل على ما عهد رسول الله ﷺ من الألفاظ والإعراب جميعاً. فمن أجل ذلك جاء في القرآن ألفاظٌ مخالفةٌ ألفاظَ المصحف المجمع عليه: كالصوف وهو (العهن) (القارعة ٥)، وزَقْية وهي (صيحة) (يس ٢٩)، وحَطَطْنا وهي (وضعنا) (الشرح ٢)، وحَطَب جهنم وهي (حَصَب) (الأنبياء ٩٨)، ونحو ذلك. فقُبض رسول الله ﷺ وكل رجل منهم متمسك بما أجازه له ﷺ وإن كان مخالفاً لقراءة صاحبه في اللفظ..

قال أبو شامة: «قلت وهذا كلام حسن مستقيم، وتتمته أن يقال: أباح الله تعالى أن يُقْرَأ على سبعة أحرف ما يحتمل ذلك من ألفاظ القرآن، وعلى دُونها ما يحتمل ذلك من جهة اختلاف اللغات وترادف الألفاظ توسيعاً على العباد ولهذا كان النبي ﷺ يقول- لمّا أوحى إليه أن يقرأه على حرفين وثلاثة (هَوِّنْ على أُمتي)- على ما سبق ذكره في أول الباب، فلما انتهى إلى سبعة وقف. وكأنه ﷺ عَلِم أنه لا يحْتاج من ألفاظه لفظةٌ إلى أكثر من ذلك غالباً والله اعلم[1].

(١) ينظر المرشد الوجيز ٩٥.

١٧/ ك: كلمة نقلها الإمام السيوطي عن أبي شامة (عن بعض الشيوخ) وفيها قيود، ومناقشتها:

جاء في الإتقان النوع ١٦ ضمن القول العاشر من الأقوال في معنى نزول القرآن على سبعة أحرف. قال السيوطي: «ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال: أنزل القرآن أولاً بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء، ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلاف في الألفاظ والإعراب، ولم يكلّف أحد منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى للمشقة، ولما كان فيهم من الحَمِية، ولطلب تسهيل فهم المراد. زاد غيره أن الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي بأن يغيرّ كلُّ أحد الكلمة بمرادفها في لغته، بل المَرْعِيّ في ذلك السماعُ من النبي ﷺ (واستشكل) بعضهم هذا بانه يلزم عنه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات (وأُجِيبَ) بأنه إنما هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة في لفظ واحد. ونحن قلنا كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمت سبعة. وبعد هذا كله رُدَّ هذا القول بأن عمر بن الخطاب وهشام بن حكيم كلاهما قرشي من لغة واحدة وقبيلة واحدة وقد اختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، فدل على أن المراد بالأحرف السبعة غير اللغات»[1].

١٧/ ك*: وقد نقلت هذا القول هنا لعدة أمور:

أ – قوله إن القرأن أنزل أولاً بلسان قريش ثم أبيح للعرب أن يقرءوه بلغاتهم، وهذا مسلَّم به.

---

(١) ينظر الإتقان للسيوطي (عالم الكتب ١/ ٤٧).

ب – ذِكْره صعوبة انتقال الإنسان عن لغته، وما في تكليف ذلك من المشقة.وهذا مسلَّم به أيضاً.

ج – ذكره أن تكليف العرب بأن يقرءوا القرآن بغير لغاتهم كان يمكن أن يثير فيهم الحَمِيّة. وهذا مسلم كذلك.

د – ذكره أن إجازة أن يقرأ كل أحد بلغته تسهل فهم المراد أي تيسر قبول الدعوة وقراءة القرآن وفهم القرآن ونحو ذلك. ونحن نسلم هذه الأمور الأربعة.

١٨ - (مناقشة تبرعات):

١٨/ أ: ما زاده غيرُ الشيخ الذي قال هذا القول الحادي عشر من أن إباحة قراءة كل إنسان بلغته لم تقع بالتشهي إلخ هو أولاً: تبرع بقيد لا أساس له إلا الحماس غير العلمي، فإن اشتراط السماع من النبي ﷺ في كل لهجة وكل كلمة لهجية تعليق بمستحيل بسبب كثرة اللهجات ومواضع الاختلاف اللهجي في الكلمات، وبُعْد المسلمين كلٍّ في رَبْعه، واشتغال النبي ﷺ بأمور المسلمين وقد ذكرنا ذلك قبلاً. فهذا القيد يتناقض مع التيسير ويلغيه. ثانياً: حلّ الإشكال السابق بادعاء أن جبريل –عليه السلام– كان يعارض النبي ﷺ في كل عرضة بحرف هو تَسَوُّرٌ على أمر غيبيّ بين جبريل ورسول الله عليهما السلام لم يطّلع عليه أحدٌ، وليس بيد مُدَّعى هذا بينةٌ تثبت مُدَّعاه في هذا الأمر الخطير. ثالثاً: نقلت لك قولهم في آخر هذا القول بأنه مردود، لأن عمر وهشام بن حكيم قُرَشيان ومحال أن يختلفا في اللغة. أي أنه يمكن صرف النظر عن هذا القول من أساسه. لكن يبقى لنا الأمور الأربعة: الاعتراف بأن القرآن أُنزل أولاً بلغة

قريش ثم أبيح للعرب أن يقرءوا بلغاتهم التي جرت عادتهم باستعمالها، والاعترافُ بصعوبة تكليف الإنسان بالقراءة بغير لغته، وأن هذا يثير الحَمِية، ويعقّد أمر الدعوة بتصعيب قراءة القرآن وتصعيب فهمه. ويبقى أيضاً سِرّ اختلاف عمر وهشام بن حكيم على الرغم من أنهما قرشيان. والسر أنهما لم يختلفا بسبب اللغة، وإنما بسبب أن معنى الأحرف السبعة كان هو إجازة أن تُقْرأ كلمة بدل كلمة أي القراءة بالمرادف، فقرأ هشام بكلمات لم يقرأ بها عمر، وهذا هو سر اختلافهما، وهذا التفسير للأحرف السبعة هو الصحيح بدليل تمثيلها في حديثٍ حسنٍ بـ «هلم» و«تعال». وهذا التفسير عليه أكثر العلماء. كما قال السيوطي[1]. والنص الكريم حُفظ من تسرب المرادف إليه بأنه كان يدوَّن خطيًّا فور نزوله بإملاء النبي ﷺ ثم جُمع في عهد أبي بكر أخذاً مما تُلُقي وكُتِبَ فور نزوله ولم يسمح في هذا الجمع البكري بإثبات أي لفظ مما كان رُخِّصَ فيه بحديث الأحرف السبعة.ثم نسخت المصاحف العثمانية من مصحف أبي بكر.

١٩ - استخلاص ما في الأقوال العشرة:

١٩/ أ: بمراجعة أقوال هؤلاء الأئمة العشرة يتبين:

-أنهم جميعاً ذكروا صعوبة قراءة الإنسان بغير لغته، وعللوا به تيسير الله تعالى ورسوله ﷺ على المسلمين بإجازة أن يقرأ كل بلهجته.

-وقد أكد بعضهم صعوبة إلزام الإنسان أن يقرأ بغير لهجته بأن ذلك يثير

---

(١) ينظر الإتقان النوع ١٦/ القول التاسع من الأقوال في حديث الأحرف السبعة ط (عالم الكتب) ٤٦/١.

حَمِية العربي أي غضبه، فيصدّه ويصعِّبُ قبولَه الدعوة، وقراءته القرآن، وفهمه للقرآن.

١٩/ ب: أنهم جميعاً -عدا الإمام البغوي- أغفلوا قيد التلقي أي تقييد جواز قراءة الإنسان بلهجته بتلقيها عن رسول الله ﷺ فالإمام البغوي ذكر ذلك القيد باسم التوقيف. ونحن نعد إجازة الرسول ﷺ لكل إنسان أن يقرأ بلهجته إذناً عامًّا هو بمثابة التوقيف لأنه كالإقرار.

وقول قاسم بن ثابت «فكان رسول الله ﷺ يُقرئهم بما يفقهون» هو بمعنى تلك الإجازة وذلك الإقرار أيضاً. ولا نستعبد أن يقرأ النبي ﷺ آية أو بضع آيات بملمح لهجيّ، لتشريع جواز ذلك- مثلاً- كما ورد أنه قرأ (يحيى) بالإمالة. إنما الذي نستبعده، بل ننفيه أن يكون ﷺ أقرأ صحابيًّا أو أكثر- القرآنَ الكريم أو قدراً كبيراً منه بغير لغته ﷺ لغة قريش، لأن ذلك لو كان وقع لذكرته روايات كثيرة، وبخاصة الذي أُقْرِيء أو الذين أقرئوا، فهذه منقبة عظيمة لهم لم يكونوا ليُغفِلوها.

١٩/ جـ: قول الإمام مكي «وروى عن أئمة ثقات» يقصد به استيفاء أحد شروط صحة القراءة الثلاثة، وهو شرط صحة السند، لأن الإمام مكيًّا إمامُ قراءات، وهو متأخر عن الأئمة العشرة. ولا خلاف في ضرورة الالتزام بالسند في القراءات المروية.

٢٠ – ننبّه مؤكِّدًا إلى أن الكلام في موضوعنا هو عن القراءة باللهجات في الفترة من مولانا رسول الله ﷺ إلى الأئمة العشرة. فالقراءة باللهجات في تلك الفترة كانت جائزة بذلك الإذن العام وبلا قيد آخر. فما وصل إلى الأئمة العشرة

من تلك اللهجات وقرءوا به فقد اكتسب مشروعية ثابتة إلى يوم القيامة إن شاء الله. أما ما لم يصل إلى أي قارئ من العشرة، بمعنى أنه لم يُرْوَ عنه بإسناد صحيح فلا تجوز القراءة به. وكذلك حالنا اليوم، لا يجوز لنا القراءة بأية لهجة إلا إذا كانت مروية عن أحد القراء العشرة- تبعاً لضوابط القراءة.

وما قلناه عن كلام الأهوازي نقوله عن العبارة التي وردت في كلام بعض الشيوخ (رقم ١٧/ ى) «وكان الأصل ما عَلَى عهد رسول الله ﷺ من الألفاظ والإعراب جميعاً». فإن الظواهر التي ذكرناها لا تغير شيئاً «من الألفاظ والإعراب» المروي بسنده. وأما ما ذكر في رقم (١٧/ ك) فقد رددنا عليه. وبذلك ثبت أن كثيراً من القراءات ليست بلغة قريش، وإنما هي بلهجات عربية أخرى.

هكذا تبين أن هناك قراءات بغير لغة قريش كثيرة ومعتمدة أي هي من السبع أو العشر، وتبين أن مأتاها هو ما كان مستقرًّا في عهد النبوة وعهد الصحابة والتابعين من جواز قراءة كل امرئ بلهجته. فهناك حلقتان نُقِل القرآن الكريم من النبي ﷺ إلى القراء العشرة بواسطتهما: حلقة الصحابة وحلقة التابعين. وكان أهل كل حلقة يقرءون القرآن بلهجاتهم. ومن هنا جاءت القراءات اللهجية التي ذكرنا منها آنفا أربعين مثالا. وقد مرّ بنا أن الصحابي عبد الله بن مسعود قرأ بلهجته في موضعين (عتى حين) بدلاً من ﴿ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾ في سورة [يوسف ٣٥]، (ماهذا بشر) بدلاً من ﴿ مَا هَـٰذَا بَشَرًا ﴾ [يوسف ٣١] وكذا مرّ بي أن إدغام التاء في التاء في مثل (تتمنوّا) هو لهجة أهل مكة. فما يسمّى تاءات البزّي يرجع إلى هذا، لأن البزي راوية الإمام ابن كثير قاريء أهل مكة.

فالقرآن نزل على النبي ﷺ عربيًّا بلغة قريش - كما عبر سيدنا عمر. وقرأه الصحابة بلهجاتهم فأدوا الألفاظ بأعيانها، والعبارات والجمل والآيات بأعيانها، لكن نطقهم للألفاظ والعبارات والجمل والآيات كان بحسب نطق قبائلهم، أي بهيأة النطق التي اعتادوها منذ وُلِدوا في قبائلهم. وتلقى الأئمة (أئمة القراءات) السبعة والعشرة عن التابعين أو أتباع التابعين القرآن الكريم بأعيان ألفاظه وعباراته وآياته وسوره التي تلقاها الصحابة عن النبي ﷺ، لكن بهيآت النطق التي اعتادها التابعون وأتباع التابعين، فاختار كل من الأئمة العشرة من هيآت نطق القرآن ما يسره الله له. ثم كان من فضل الله على الأمة وعلى هؤلاء الأئمة أيضًا أنهم ثبتوا على الهيآت التي تلقوها أو اختاروها، ووفقهم الله هم والمتلقين عنهم إلى الثبات على هيآت النطِق التي اختاروها من إمالة أو نصب، وتحقيق همز أو تسهيله، وفك أو إدغام... إلى آخر هيآت القراءات المعروفة. نعم ثبت الأئمة ولقناؤهم على الهيآت التي أقرأ بها الأئمة، ولم يعد مسموحًا للقين أن يخرج عما تلقاه عن شيخه إلى قراءة أخرى عن غير شيخ إمامٍ من العشرة. وبذا توقف الاتساع في الأخذ بهيآت جديدة مهما كانت أصيلة. وجرى الأمر على ذلك إلى الآن وإلى يوم القيامة إن شاء الله. وكان ذلك توفيقا من الله سبحانه وتعالى وفضلاً منه جعل الله أولئك الأئمة سببه. ويتبين بذلك أن ما نسب إلى بعض هيآت الأداء من ضعف فإنه يوجَّه إلى المؤدين به أو مختاريه، ولا يوجّه بأي قدْر إلى مولانا رسول الله ﷺ نزه الله كلَّ شأنه عن كل عيب.



٢١ – أسئلة وأجوبتها:

والآن – بعد ما ثبت أن القرآن يؤدَّي الآنَ – حسب رواية كثير من القراء – بنطقٍ لَهَجِيّ لكثير من كلماته مخالفٍ للنطق القرشي، تثور أسئلة من الواجب أن نواجهها:

السؤال الأول: هل هذا الذي نقرؤه الآن هو القرآن الذي نزل من عند الله عز وجل بلسان قريش؟

والجواب: نعم هو هو بعينه، لأنه بنفس الألفاظ، وبنفس الحروف، وبنفس الجمل، وبنفس الآيات، وبنفس السور. وما كان من تغير في **الأداء** لهجي فهو كذلك من عند الله، لأنه عربي والقرآن نزل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ [الشعراء ١٩٥] وما كان من تغير يمس حقيقة الحروف مثل (بُشْرًا) و (نُشْرًا) أو يمس بعض الكلمات – وهو قليل جدًّا جدًّا، فهو من الأحرف السبعة، نَزَل، وأقرأه النبيُّ ﷺ أو أقَرَّه وثبت عنه ﷺ بالرواية الصحيحة، وفَرَّقه كتّاب المصاحف العثمانية على المصاحف.

السؤال الثاني: هل هذا القرآن الذي بين أيدينا الآن هو ما قرأه رسول الله ﷺ على الصحابة؟

الجواب: نعم هو هو: فالنص الكريم هو صورة من المصاحف العثمانية المنقولة من صُحف أبي بكر التي كُتبت من العرائض التي أملاها النبي ﷺ على كتبته فور نزول الوحي عليه. أما هيئات القراءة فإن النبي ﷺ أذن للناس أن يقرءوا بلغاتهم أي بلهجاتهم؛ فكلُّ قراءة بلهجة عربية هي قراءةٌ للقرآن صحيحةٌ

تمامًا، لأن كل ما كان بلهجة عربية فهو عربيٌّ مبينٌ، يصدق عليه قوله تعالى ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾، والتفاوت هو في درجة الفصاحة فحسب. فما كان في هذه القراءات اللهجية من باب الأداء فإنه لا يغيِّر الكلام، وليس أحد من أهل العلم على وجه الأرض يقول إن الكلمة إذا نُطِقَتْ مُمالة فإنها تغاير نفس الكلمة إذا نُطِقت بغير إمالة. وكذلك سائر التغيرات اللهجية. وأما ما ليس من التغيرات اللهجية مثل (بُشْرا) و (نُشْرا) ومثل (فتثبتوا) (فتبينوا) فهو قرآن صَحّ به السند عن النبي ﷺ ووَزَّعه كتاب المصاحف العثمانية على تلك المصاحف، كما قلنا ذلك من قبل. الخلاصة مرة أخيرة أن القراءة التي أَصْلُها لهجةٌ عربية هي من عند الله لأن كل لهجة عربية فهي حجة وهي **عربية صحيحة**. وإنما يكون **التفاوت في درجة الفصاحة**. وما خرج من القراءات عن الصور اللهجية فهو من الأحرف السبعة التي ثبتت عن النبي ﷺ وشاهدُ صحتها السندُ الصحيح إلى رسول الله ﷺ والحمد لله رب العالمين.

السؤال الثالث: هل يجوز أن نقول إن القراءات مُنَزَّلَةٌ من عند الله؟

الجواب: نعم هي منزلة من عند الله **بالمعنى الأساسي الواسع** (أ) وهو أن القرآن (بلسان عربي مبين) وكل لهجة عربية فهي من اللسان العربي المبين. (ب) ثم إن النبي ﷺ أجاز القراءة بها، إذْ أجاز لكل قوم أن **يقرءوا بلغتهم أي لهجتهم**. (جـ) وهو ﷺ قرأ ببعض اللهجات أحيانًا (**قرأ يا يحيى بالإمالة**) ونزول القرآن بلغة قريش هو المعنى الخاص. وقد سبق هذا التفريق في كلمة سيدنا عمر وهي قوله «إن الله عز وجل أَنْزَلَ هذا القرآن فجعله عَربيًا، وأنزله بلغة قريش» فلا تناقض بين أن يكون عربيًّا وأن يكون نازلاً بلغة قريش. ولا بين

أن يكون نازلاً بلغة قريش وأن يُقْرأ بلغات عربية أخرى مادام القرآن نص على أنه نزل (بلسان عربي مبين)/ ولو كان القرآن نص على أنه نزل (بلسان قرشي) لما جاز أن يُقْرأ بأية لهجة عربية أخرى، لأن هذا تخصيص وتعيين لا يسوغ معه أن يحل خاصٌّ آخرُ محله.

السؤال الرابع: ماذا يترتب على كون بعض القراءات أصلُه لَهَجِيّ نشأ من أداء بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنه؟

الجواب: يترتب على هذا أمران:

الأمر الأول: جواز تفضيل قراءةٍ أو وَجْهٍ قِرَائِيٍّ على آخر، فإن التفضيل هنا مرده إلى درجة الفصاحة في القراءة أو الأداء، وهذا التفضيل هو حق القرآن، لأنه أُنْزِل بأفصح قراءة عربية وأفصح وجه عربي.

الأمر الثاني: أن الطعن في فصاحة قراءة إنما يوجَّهُ إلى اختيارها وإلى لهجتها. وحاشا لله أن يكون موجَّها إلى القرآن نفسه أو إلى الرسول ﷺ، ومن هنا وَجَدْنا كثيرًا من العلماء والأئمة المفسرين وأئمة القراءات، واللغويين يُضعِّفون بعض الأوجه القرائية، وذلك محافظةً منهم على رتبة فصاحة القرآن الكريم. وحاشا لله أن يُظَنّ بهم أنهم يوجِّهون التضعيف إلى القرآن نفسه أو إلى رسول الله ﷺ نزه الله شأنه عن كل عيب. فهم أئمة الإسلام الذائدون بالعلم والحق عن حماه.

السؤال الخامس: ما القراءة التي يتمثل فيها - أكثر من غيرها - أداءُ الرسول ﷺ؟ أيْ: أَيُّ الأئمة أداؤه أقرب إلى أداء رسول الله ﷺ؟

والإجابة: هي أن كل قراءة تخلو من المعالم اللهجية المخالفة للهجة قريش هي قراءة قريبة إلى أداء النبي ﷺ. وأكثر قراءة يتحقق فيها هذا الضابط هي

قراءة من وُصِف منهم بالفصاحة كالإمام حفص فإن قراءته تخلو من المعالم اللهجية الغريبة عن لهجة قريش ما عدا تحقيق الهمز، وقد عرفنا أن تحقيق الهمز نزل به جبريل عليه السلام. ومثل أداء حفص كل أداءٍ يتصف بالفصاحة ويكون أكثر خُلوًّا من المعالم اللهجية المخالفة للهجة قريش. ولعل الأدق أن نقول إن كلا من أئمة القراءات العشرة له أفضلية خاصة. وكلهم من أكارم هذه الأمة وأكابرها. نضّر الله وجوههم وجزاهم عن الأمة خير الجزاء.



٢

القرآن والقراءات

قال الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في كتابه الجليل «البرهان في علوم القرآن» «اعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان: فالقرآن هو الوحي المُنَزَّل على سيدنا محمد ﷺ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في (هيئة) [١] الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما[٢]».

ونلفت نحن إلى أمور في كلام الزركشي هذا.

أولها: أُسلوب الحَسْم والجَزم في العبارة «اعلم أن... » وهذا يعني أن الإمام ليس عنده أدنى شك في الحكم المذكور. وأنا -مؤلف هذا الكتاب محمد بن حسن حسن جبل أقول بقوله هذا، وبنفس الحسم والجزم، لما سيأتي بعد قليل.

ثانياً: نلحظ أنه أَتْبَعَ الحُكْم الذي صدّر به العبارة ببعض التفصيل الذي

---

(١) كلمة (هيئة) رسمها محقق الكتاب (كتبه) حسب اجتهاده في قراءة خط الإمام الزركشي، ولا شك عندي أنها محرفة، لأن الكتابة ليست مصدراً من مصادر القراءات، ولأن الزركشي «كان رديء الخط جدًّا، قَلَّ مَنْ يُحسن استخراجه» كما قال محقق الكتاب (١/ ٧ من ترقيم مقدمة المحقق). ويمكن أنيكون أصل الكلمة (كُنْه) بمعنى حقيقة الحرف، كما اختلفت القراءات في الياء والتاء، والباء والنون، والزاي والراء.

(٢) البرهان النوع الثاني والعشرون ١/ ٣١٨.

يؤكد الفرق بين القرآن والقراءات، إذ قال عن القرآن «فالقرآن هو الوحي المُنَزَّل على سيدنا محمد ﷺ للبيان والإعجاز» وقال عن القراءات إنها اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في (هيئة) الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما» والمقصود بهذا قطعاً هو كيفية نطقها والتلفظ بها».

ثالثها: أنه تناول فى هذا (النوع) الثانى والعشرين الذى فيه القرآن والقراءات –بعد الكلام الذى نقلناه عنه مباشرة– مسألة تواتر القراءات عامة، ومسألة تواتر الأداء فى المد والإمالة وتخفيف الهمز خاصة. وذكر فى المسألة الأولى أن القراءات متواترة عن الأئمة (السبعة) إلى من بعدهم، وأما من الأئمة إلى مولانا رسول الله ﷺ فهى منقولة آحاداً. وقد قال هذه الجزئية قبله الإمام أبوشامة [1] (ت٦٦٥هـ)، وذكر هو ذلك[2]، وقال عن المسألة الثانية: إن القَدْر المشترك وهو المد من حيث هو مد، والإمالة من حيث هى إمالة: متواتران (أى إن القَدْر الذى اختلف القراء فى الأخذ به أو تركه – من مدّ، أو إمالة، أو صِلَة أو غيرهن= هو غير متواتر). وقال عن الهمز إنه متواتر بأنواعه (الخمسة: التحقيق، والحذف مع نقل الحركة، والتسهيل، والقلب، والحذف بلا نقل).

وأقول إنه على الرغم من أن تناول هذه الأمور المذكورة فى الفقرة السابقة يدعم الفرق بين القرآن والقراءات (الأداء)، وأنى أؤيد ذلك، فإنى لا أتفق مع الشيخين أبي شامة والزركشي فى اكتفائهما بهذا الكلام الذى يوهم أن القرآن

---

(١) ينظر المرشد الوجيز له تحـ طيار آلتي ص١٧٨، ١٤٥.

(٢) ينظر البرهان ١/ ٣١٨.

نفسه غير متواتر من رسول الله ﷺ إلى الأئمة[١]. فإن برهان هذا التواتر قائمٌ وهو وَحْدَةُ النص الكريم عند الإئمة العشرة. أعنى أن كون مفردات النص وجُمَلَه عند الأئمة العشرة هى هى- دون أى اختلاف هو أمر يحقق تواترَ النص الكريم من رسول الله ﷺ إلى الأئمة العشرة تحقيقاً علميًّا لا نظير له: ونوضح ذلك بمَثَل هو أن القراء العشرة كلهم يبدءون الفاتحة بـ(الحمد لله رب العالمين) ولم يحدث أن بدأ أحد منهم تلك السورة بـ (الشكر لله رب الكون) مثلاً، ولا قرأ أحد (الرءوف الحنون) بدلاً من (الرحمن الرحيم). وهكذا الأمر في القرآن كله المفردات في عباراتها وجملها، والجمل والعبارات في آياتها والآيات في سورها: كل ذلك هو هو في كل القرآن، وبترتيبها تماماً عند الأئمة العشرة- بصرف النظر عن طريقة الأداء من إمالة وإدغام وتحقيق همز إلخ أو أضدادها. فهذا برهان عقلي[٢] لا مِرْية فيه على تمام يقينيّة إسناد تلقى النص الكريم عن سيدنا محمد ﷺ

---

(١) أضفت إلى معنى تواتر القرآن وصحة سنده اللذين ذكرهما القدماء تفصيلات تزيدهما قوة ووثاقة ومناسبة للقرآن، وذلك في صدر مبحث يقينية سند النص الكريم. فانظر هذا المبحث في كتابنا هذا.

(٢) معنى العقلية ما يقضي به العقل فإذا بلّغك أحد أن فلاناً قال «إن الوَحْشِيّ لا يصلح أُضْحيّة» مثلاً، وجاء أربعة آخرون -واحداً واحداً فأبلغوك أن فلاناً قال «إن الوَحْشىَّ لا يصلح أُضْحِية»- أي العبارة نفسها دون أي اختلاف فإن العقل يجزم أن هذه العبارة بعينها صدرت عن فلان ذاك حقيقة. فإذا زاد عدد المبلغين إلى سبعة زاد اليقين ورسخ، فإذا تطابق ذلك النص تمام المطابقة مع ما كُتِبَ بإملاء مَنْ تُلُقِّىَ عنه النص فإن وثاقة نسبة ذلك النص إلى المتلقَّى عنه تبلغ أقصى ما يبلغه العِلْم البشري من اليقين. أما إذا قال أحدهم إنه قال «إن الظبْىَ لا يَصْلح للأُضْحِية» أو قال آخر إنه قال «إن الوحشي لا يضحَّى به» مثلاً. فإن العقل لا يستطيع الجزْم ولا الاستيقان بأن الذي قاله فلان هو العبارة الفلانية بعينها، بل يخالجه الظن بأنه قال عبارة بهذا المعنى، وليست هذه بعينها ضرورة.

وهي اليقينية المقصودة بلفظ التواتر، أما الأداء فأمر آخر. وبعبارة أخرى فإن القول بآحادية سند القراءات من الأئمة العشرة إلى النبي ﷺ لا يعني آحادية سند القرآن نفسه. فإن القرآن هو كلام الله سبحانه أنزله على رسوله ﷺ فسُجِّل خطيًّا فورَ نزوله وحَفِظَه الصحابه. والقرآن الكريم كلمات وجُمل وآيات وسور. فهذه الكلمات والجمل والآيات والسور يقينية الثبوت عن النبي ﷺ بالتواتر بمعناه الاصطلاحي حسب ما وضحناه وأتممنا صورته، وبصحة السند حسب ما بيّنّا كليهما في مبحث يقينيه سند النص في كتابنا هذا، وذانك بالإضافة إلى ما هو أقوى منهما وهو وَحْدة النص حسب ما ذكرنا ومثلناه. أما أداؤها أي قراءتها بألفاظ منطوقة صوتيًّا فهذا أمر بشري يختلف ويتفاوت حسب اختلاف الأعضاء الصوتية للبشر القارئين مهما كان هذا الاختلاف ضئيلاً، وحسب تفاوتهم في دقة الأداء مهما كان هذا التفاوت محدوداً. فالكلمات والجمل والآيات والسور هي هي ولكن أداء هذا يختلف عن أداء ذاك... (هذا مدُّه أَوْ في أو أَطْوَلُ من مدّ ذاك، وكذا صلة هذا واختلاسه، وإدغامه، وإمالته، وتسهيله للهمزة وأداؤه للهمزتين بإدخال ألف بينهما وبغير إدخال، وتفخيمه للراءات والألفات والمستعليات، وإشمامه في باب قيل وباب ردّ إلخ كل هذه الأمور يختلف فيها القراء بعضهم عن بعض حتى الذين يقرءون لإمام واحد. ومن هنا فإن القراءات أي الأداء يختلف من شخص لآخر وليست فيه هيأة متواترة. أما النص الكريم نفسه بكلماته وجمله وآياته وسوره فهو ثابت ثبوتاً يقينيًّا بأقوى من التواتر.

تأييد المقررة التي ذكرها الزركشي:

١ – القرآن الكريم شيء واحد أنزله الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ وسُجِّل نصه الكريم فورَ نزوله عليه ﷺ في عرائض (حجرية أو عظْمية أو من أصول السَعَف أو من الجلد). ثم جُمِع من العرائض ومن المحفوظ المطابق لما فيها، في مصحفٍ في عهد أبي بكر –رضي الله عنه– ثم نُسِخ من مصحف أبي بكر في عدة مصاحف في عهد عثمان –رضي الله عنه–، أما القراءات فهي هيآت كثيرة لأداء القرآن الواحد الذي أُنزل على الرسول ﷺ.

٢ – القرآن الكريم نص مقدس تمام التقديس لا يعارَض ولا يناقَش ولا يُنْقَد. فإذا وُجِّهَ نَقْد إلى كلمةٍ منه من حيث هي كلمةٌ منزلة أو إلى حرف من حيث هو حرفٌ نزل به القرآن، أو إلى تركيب جملة من حيث هي جملة قرآنية منزلة: فإن إيمان ذلك الناقد يكون عرضة للتساؤل. وذلك في حين أن توجيه نقد إلى أَمْر أدائي في قراءة القرآن الكريم، كزيادة مد أو درجة إمالة أو درجة تسهيل أو إعراب بعينه أو حركة عين فعل أو نحو ذلك= فإن هذا وارد، ويُرْجَعُ لِتبيُّن الحق فيه إلى القواعد التي أقرتها الدراسات اللغوية والقرائية لهذه الأمور. أقول وبناء على هذا الفرق نَجِد كثيراً من أئمة التفسير كالطبري وابن عطية والزمخشري، وكذلك أئمة القراءات: ابن مجاهد ومن بعده، وأئمة اللغة سيبويه ومن بعده= قد نقدوا وجُوهاً قرائية بعينها فضعّفوها، وذلك بناء على مخالفة تلك الوجوه للأداء العربي الفصيح لكلام العرب– حسب القواعد اللغوية والأدائية التي استنبطها العلماء من كلام العرب. ولا شك أن هؤلاء الناقدين يؤمنون بأن القرآن كلام رب العالمين مُنَزَّهٌ، ويجب أن يُنَزَّه– عن الأوجه الضعيفة في اللغة

العربية. فهؤلاء العلماء دَفَعَتْهُم الغَيْرة على كتاب الله تعالى إلى هذا النقد، عِلْماً منهم بأن هذا الذي نقدوه من الأداء مصدره اختيارُ ذلك القارئ المؤدِّى أو اختيار شيخِهِ أداءً معيناً، فهو جهد بشري، وليس من عند الله ولا من عند رسوله ﷺ. نعم يستحيل أن يكون أيٌ من هؤلاء العلماء الناقدين يعتقد أن نقده موجه إلى نفس النازل من عند الله أو من عند رسوله، لأنهم يعلمون أن نقد ما أنزله الله أو بلّغه رسول الله ﷺ يُخْرِج الناقدَ من حظيرة الإيمان. فكل هؤلاء الناقدين بَنَوْا نقدَهم على أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، وعلى أن الأداء المخالف للمستوى الأدبي المثالي العامّ من اللغة العربية هو غيرُ متواتر. ونحن أيضاً يجب أن نعلم ذلك ونعتقده.

٣- تفصيلاً وتوضيحاً لبعض ما جاء في الفقرة السابقة (رقم ٢) نقول: إن الرسول ﷺ كان يقرأ القرآن بلغته القرشية، وهي اللغة التي تمثلت فيها العربية الأدبية العامة، وجمعت أحسن خصائص لغات العرب، وخَلَصت من الخصائص اللهجية التي تنحرف عن تلك الفصحى الأدبية العامة[١]، وكان الصحابة الكرام يتلقون منه ﷺ القرآن الكريم، وكان من الطبيعي جداً أن يؤديه كل منهم بلهجته الخاصة التي نشأ عليها، حيث إن ذلك هو الأصل أي أن يقرأ كلٌّ بلهجته، ولم يصح عنه ﷺ أبداً أنه مَنَع أحداً أن يقرأ بلهجة قبيلته، أو أنه أكره أحداً على القراءة بغير لهجته، بل الذي تكرر في المرشد الوجيز لأبي شامة (ت ٦٦٥هـ) أنه ﷺ أُمِرَ أن يُقْرِئَ كلَّ قوم بلغتهم[٢]. ولا حاجة إلى أن نحمل

---

(١) ينظر مبحث (نزول القرآن بلغة قريش) في كتابنا هذا.

(٢) ينظر المرشد الوجيز لأبي شامة ص٩٦-٩٧، ١٠٣، ١٢٩، ١٣٤، ١٥٠.

كلمة (يقرئ) هنا على غير الإقرار أو الإجازة، لأن قبائل العرب كثيرة تقارب المئة قبيلة، وهناك نحو ثلاثين صُقعًا لكل منها لهجته ومُحَال أن يشتغل النبي ﷺ بأداء القرآن بكل هذه اللهجات.

إن اتباع كل إنسان لهجتَه في القراءة هو أمر طَبعي فِطْري، والعرب كانت عندهم نخوة واعتزاز بخصائصهم، فلا يتأتي افتراض أنهم تركوا لهجاتهم الخاصة طوعاً، لأن هذا من المستحيلات، كما أنه لا يتأتي ولم يُذْكر في أي مرجع على الإطلاق أنه ﷺ أكره أحداً على ترك لهجته أو ألزمه بلهجة أخرى. كيف؟ وكلٌّ يعلم أنها كلَّها قبائلُ عربية، وأن لهجاتها هي من اللسان العربي، وهي وإن تفاوتت في الفصاحة فإنه من المقرر عند العلماء أن اللغات أي اللهجات العربية كلها حجة[1]، أي حجة في العربية، أي هي عربية صحيحة تُقْبل ويحتج بها وبمعانيها من حيث هي كلام عربي معبِّر عن تلك المعاني. وذلك بصرف النظر عن تفاوتها في الفصاحة.

*نعم، ولا يُتَوَقَّع أن تثير قراءة أي صحابي القرآن بلهجته استغراباً أو نكيراً، لأنهم في أدائهم اللهجي هذا لا يُغَيِّرُون حقيقة ما تلقَّوْه أدنى تغيير: الكلمات هي الكلمات، والجمل هي هي عينُها، بل والحروف هي هي وإن اختلف نطق بعضها أحياناً: كأن ينطق بعضهم القاف مهموسة لأن لهجته كذلك، أو ينطق الصاد مجهورة في مثل (يصدر الرعاء) وهكذا، لأن جمهور العرب يعرف أن هذه لهجتُه، وأن الحرف الذي نطقه مخالفاً للغة الأدبية العامة هو الحَرفُ اللَهَجِيّ المساوي للحرف الموجود في الأدبية العامة. ولا يَرِدُ علينا في

(١) ينظر: الخصائص – لابن جني (تحـ الشيخ محمد علي النجار ٢/ ١٠-١٢).

هذه الجزئية أن عمر – رضي الله عنه – نهى عبد الله بن مسعود أن يقرئ (عتى حين) (يوسف ٣٥) بالعين- حسب لهجة قبيلته هذيل، لأن النهي كان عن الإقراء لا القراءة، فالإقراء تعميم، والأَوْلى بالتعميم هو لهجة قريش.

٤ – مما احتج به القائلون بأن القرآن والقراءات حقيقة واحدة: أنه لا انفكاك بينهما، فكل من يقرأ بقراءة ما فإنه يصدق عليه أنه يقرأ القرآن. ونقول: نعم هو يقرأ القرآن، لكنه يقرأ حَسَبَ مذهب إمام معين في الأداء. وهناك أئمة آخرون لهم أداء مختلف، ومن هذا الأداء ملامح لهجية مهما قلّت. فالقرآن نزل بلغة الرسول ﷺ وهي اللغة القرشية[1] وهذه اللغة القرشية كانت لا تنطق الهمز إلا في أوائل الكلم، ولما نزل القرآن نزل بالهمز فاستوفت القرشية كل ملامح الفصحى الأدبية العامة التي يفهمها كل عربي «قال الإمام على كرم الله وجهه» نزل القرآن بلسان قريش، وليسوا بأصحاب نبر، ولولا أن جبرائيل –عليه السلام – نزل بالهمز على النبي ﷺ ما همزنا»[2] ويؤخذ من هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يحقق الهمز في قراءته القرآن، (وقد حققنا هذه المسألة في مبحث (نزول القرآن بلغة قريش) في كتابنا هذا.

فالقرآن نزل بالأداء القرشي، الممثل للعربية الأدبية العامة، الخالي من الملامح اللهجية الخاصة، لكنّ وَصْفَ الله تعالى كتابه بأنه (عربي) إحدى عشرة مرة دون تخصيص في أي منها- يؤخذ منه أن كل أداء من قبيلة عربية بلهجتها هو أداء للقرآن عربيٌّ صحيح جائز. وذلك بالإضافة إلى أن هذا هو الأمر

---

(١) ينظر مبحث (نزول القرآن بلغة قريش) في كتابنا هذا.

(٢) ينظر شرح الرضي شافية ابن الحاجب، تحـ الشيخ نور الحسن وصاحبيه ٣/ ٣٢.

الفطري، وهو الأصل، وإلى أن النبي ﷺ لم ينكره.

وكل أداء فيه مَعْلمٌ لَهَجي: إمالة أو تسهيل همز بأي صورة، أو إدغام جائز، أو ضبطٌ قَبَلي لعين المضارع إلخ فهو أداءٌ للقرآن أي قراءةٌ له حَسَب مذهب إمام معين، تَلَقَّاه بهذا الأداء اللهجي عن تابعي أو صحابي كانت لهجته كذلك، قرأ بها تبعاً لما أَقَرَّه النبي ﷺ أو أجازه. ثم إن الأئمة العشرة وفّقهم الله فثبتوا وتمسكوا بما تلقَّوْه ولم يَقْبلوا أي أداء لهجي لم يتلقوه، وتبعهم لقناؤهم (تلاميذهم)، فتوقف الأخذ بمزيد من اللهجات، وكان هذا من فضل الله وحفظه للقرآن. وهذه مأثُرةٌ للأئمة العشرة نسجلها لهم. والله يجزيهم عن القرآن وعنا خير الجزاء.

٥ - إن اللهجات العربية كثيرة كثرة بالغة.[1] ولو قلت إن مفردات الاختلافات اللهجية، تبلغ آلافاً، ويحتاج إحصاؤها إلى فريق عمل ما كنت مبالغاً. ثم أقول إن كثيراً جدًّا من هذه المعالم اللهجية قرئ به ولو شذوذاً، كما تحفل به كتب التفسير المتوسعة كالبحر المحيط، ومحال أن يكون النبي ﷺ قرأ القرآن بكل ذلك. قد يكون ﷺ نطق في القراءة مرة أو مرات بكلمة أو كلمات نطقًا لهجيًّا. لكن المهم أنه ﷺ أجاز أو أَقَرَّ أن يَقْرأ العربيُّ بلهجته- كما ذكرنا

(١) أجريت إحصاء سريعاً للهجات المنسوبة إلى قبائل فبلغت نحو تسعين، والمنسوبة إلى أصقاع فبلغت نحو أربعين. وقد أخذت هذا الإحصاء مما ذكره السيوطي في النوع ٣٧ في كتابه (الإتقان)، ومن أسماء القبائل التي وردت كلمات بلهجاتها في المعجم الدلالي لأخي العلامة د. الموافي الرفاعي البيلي. والرجوع إلى كتاب (اللهجات العربية في التراث) د. احمد علم الدين الجندي يضيف كثيراً للإحصاء الذي ذكرته.

ووثّقنا قبلاً. ومن ثم، فإن الأداء اللهجي ينسب لقارئيه، ويتأتى أن يُنْقَد، والنقد هنا موجَّه للأداء. وذلك في حين أن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين، وهو مُنزّه عن النقد، لأنه مُنزّه عن أن يكون نزل بلهجة ضعيفة صوتيًا أو صرفيًا أو نحويًا.

كما أن سيدنا محمداً رسول الله ﷺ وهو أَعْرَبُ الخَلْق وأَفْصَحُ الخلق[1] – منزه عن أن يكون قرأ القرآن بأية لهجة ضعيفة صوتيًا أو صرفيًا أو نحويًا. فالقرآن نفسه منزه عن كل الأوجه الضعيفة وكل نقد، والرسول ﷺ منزه عن القراءة بالأوجه الضعيفة، فليس موضعاً لأي نقد. وهذا الذي أقوله هو الذي ينبغي أن يكون في قلب كل مسلم عندما يقرأ نقداً من أحد أئمة القراءات أو التفسير أو اللغة لأية قراءة، ولا ينبغي أبداً أن يُفْتَرَض أن أيّ إمام من الناقدين كان يعتقد أن نقده موجه لما هو من عند الله أو إلى ما جرى على لسان رسول الله ﷺ.

وهذه نقطة أكررها لأنها من المقصود بهذه الفقرة عن اللهجات، وهي أن تلك اللهجات هي من الكثرة البالغة –كما ذكرنا– بحيث يستحيل أن يكون الرسول ﷺ قد قرأ القرآن بها، وليست هناك ضرورة لادعاء ذلك، فالرسول ﷺ كان يتعبد، ويقوم الليل، ويرعى أمور المسلمين جماعتهم وأفرادهم، وكان يرتب الجيوش، ويقودها في المعارك، ويوزع المغانم، ويؤم المصلين، ويخطب في الجُمَع وغيرها، ويجمع المسلمين ليعظهم ويبين لهم حكم الشرع في الأحداث التي تَجِدّ، ويبلّغ القرآن الكريم، وله بيوت وزوجات. فادعاء نسبة أمرٍ إليه تبرّعاً

---

(١) ينظر مبحث (نزول القرآن بلغة قريش) في كتابنا هذا.

بلا ضرورة ولا سَنَد ولا حاجة لنسبته إليه ﷺ هو من الحماس المبني على غير أساس، فهو ادعاء بغير علم. فالقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان: القرآن كلام الله بأداء الرسول، والقراءات أداء البشر بجهودهم وخصائصهم البشرية لكلام الله تعالى الذي سمعوه من النبي ﷺ.

٦ – بقيت كلمتان:

الأولى: أن أئمة القراءات أقدارهم عظيمة ومحفوظة، ولهم في عنقي وفي عنق كل مسلم دين عظيم لا يكافئهم عليه إلا الله سبحانه وتعالى، فلا ينبغي أن يظن أحد أنني أهون من شأنهم. معاذ الله، فهم من أئمة «أهل القرآن أهل الله وخاصته». ولكنهم بشر غير معصومين، وكل يؤخذ منه ويرد عليه إلا المعصوم ﷺ.

الثانية: الإمام شهاب الدين أبو شامة المقدسي (ت ٦٦٥) صاحب أشهر شرح للشاطبية، المسمى «إبراز المعاني من حرز الأماني»= عقد في كتابه المرشد الوجيز فصلاً عَرَض فيه لبعض المخالفات التي وقعت من بعض القراء في قراءتهم، ننقل بعضه لنضعه أمام أبنائنا ليتحققوا من صحة ما ذكرناه في هذا الفصل. ورأيت أن أنقله بحواشيه التي وضعها محقق (المرشد الوجيز) طيار آلتي حفظاً لحقه، ولما في تلك الحواشي من فوائد مكملة للمتن.

قال: «واعلم أن القراءات الصحيحة المعتبرة المجمع عليها، قد انتهت إلى السبعة القراء[1] المقدم ذكرهم، واشتهر نقلها عنهم لتصديهم لذلك وإجماع

---

(١) هكذا كان المشهور إلى زمنه، وأضاف ابن الجزري ثلاثة كانوا معروفين بكتبهم وعلمهم، لكن اختيار ابن مجاهد للسبعة كان يحجبهم.

الناس عليهم، فاشتهروا بها كما اشتهر في كل علم من الحديث والفقه والعربية أئمةٌ اقتُدِي بهم وعُوِّل فيه عليهم.

ونحن فإن قلنا: إن القراءات إليهم نسبت وعنهم نقلت، فلسنا ممن يقول: إن جميع ما روى عنهم يكون بهذه الصفة، بل قد روى عنهم ما يطلق عليه أنه ضعيف وشاذ، بخروجه عن الضابط المذكور باختلال بعض الأركان الثلاثة[1]، ولهذا ترى كتب المصنفين في القراءات السبع مختلفة في ذلك، ففي بعضها ذكرُ ما سقط في غيرها، والصحيح بالاعتبار الذي ذكرناه موجود في جميعها إن شاء الله تعالى».

«فلا ينبغي أن يُغْتَرَّ بكل قراءة تُعْزَى إلى واحد من هؤلاء الأئمة السبعة ويطلق عليها لفظ الصحة، وأنها هكذا أُنْزِلت، إلا إذا دخلت في ذلك الضابط، وحينئذ لا ينفرد بنقلها مصنِّفٌ عن غيره، ولا يختص ذلك بنقلها عنهم، بل إن نقلت عن غيرهم من القراء، فذلك لا يخرجها عن الصحة. فإن الاعتماد على استجماع تلك الأوصاف، لا عمن تنسب إليه».

فإن القراءات المنسوبة إلى كل قارئ من السبعة وغيرهم منقسمة إلى المجمع عليه والشاذ، غير أن هؤلاء السبعة لشهرتهم وكثرة الصحيح المجتمع عليه في قراءتهم تَرْكَنُ النفس إلى ما نُقِل عنهم، فوق ما يُنْقل عن غيرهم».

«فمما نسب إليهم وفيه إنكار لأهل اللغة وغيرهم:-



(١) المقصود: صحة السند، والوجه في العربية، وعدم مخالفة الرسم.

الجمع بين الساكنين في تاآت البزى[1]، وإدغام[2] أبى عمرو، وقراءة حمزة ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ ﴾[3]، وتسكين من أسكن «بارئكم» و «يأمركم»[4] ونحوه، و «سبأ»[5] و «يا بني»[6] و «ومكر السيء»[7] ، وإشباع الياء في «نرتعى»[8]

---

(١) والمراد من تاءاته أنه يشدد التاء التي تكون في أوائل الأفعال المستقبلة في حال الوصل في أحد وثلاثين موضعاً، نحو: ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، انظر: التيسير ص٨٣؛ والنشر ٢/ ٢٣٢. والبزى هو أحمد بن محمد بن عبد الله المكي، صاحب قراءة ابن كثير من السبعة، توفى سنة ٢٥٠هـ (غاية النهاية ١/ ١١٩؛ لسان الميزان ١/ ٢٨٣).

(٢) المثلان (والمتقاربان) إذا (تجاورا) من كلمتين فإن أبا عمرو كان يدغم الأول في الثاني منهما، وبعض ما أدغمه سكن ما قبله، نحو قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]، جمعاً بين ساكنين، و ﴿ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧]. انظر: التبسير، ص٢٠.

(٣) الكهف: ٩٧، قرأ حمزة في هذه الكلمة بتشديد الطاء، يريد (فما استطاعوا) فأدغم التاء في الطاء وجمع بين ساكنين وصلاً (انظر: التيسير ص١٤٦؛ والنشر ٢/ ٣١٦).

(٤) يشير المؤلف فيهما إلى قراءة أبي عمرو في سورة (البقرة: ٥٤) «بارئكم» باختلاس كسرة الهمزة وإسكانها، وكذلك باختلاس ضمة الراء من «يأمركم» و«ينصركم» و «يشعركم» حيث وقع في القرآن (انظر: التيسير ص٧٣؛ والنشر ٢/ ٢١٢.

(٥) والذي سكن الهمزة في «من سبأ» في سورة النمل: ٢٢، وفي «سبأ» في سورة سبأ: ١٥، هو قنبل بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي راوي ابن كثير المتوفي سنة ٢٩١ (انظر: التيسير ص١٦٧).

(٦) والمقصود منه قراءة ابن كثير «يا بني لا تشرك» في سورة لقمان: ١٣، بإسكان الياء، وقراءة قنبل «يا بني أقم الصلاة» في سورة لقمان: ١٧، بإسكان الياء أيضاً (انظر: التيسي ص١٧٦).

(٧) فاطر: ٤٣، والمقصود منه قراءة حمزة، بإسكان الهمزة في الوصل (انظر: التيسير ص١٨٢).

(٨) يوسف: ١٢، بإثبات الياء بعد العين، وهي قراءة قنبل صاحب قراءة ابن كثير، مخالفاً الباقين من الأئمة المشهورين (انظر: التيسير ص١٣٦).

و «يتقي ويصبر»[1] و «أفئدة من الناس»[2]، وقراءة «لَيْكَةَ»[3] بفتح الهاء، وهمز «سأقيها»[4]، وخفض «والأرحام»[5]، ونصب «كن فيكون»[6]، والفصل بين المضافين في [الأنعام][7]، وغير ذلك على ما نقلناه وبيناه بعون الله تعالى وتوفيقه

---

(١) يوسف: ٩٠، بإثبات الياء بعد القاف، وهي قراءة قنبل صاحب قراءة ابن كثير أيضاً كما سبق (أنظر: التيسير ص١٣١).

(٢) إبراهيم: ٣٧، بإثبات الياء بعد الهمزة من «أفئيدة»، وهي قراءة هشام- صاحب قراءة ابن عامر- المتوفي سنة ٢٤٥هـ، مخالفاً الباقين من القَرَأة المشهورين (أنظر: التيسير ص١٣٥).

(٣) في سورة الشعراء: ١٧٦ وفي ص: ١٣، بلام مفتوحة من غير همزة بعدها ولا ألف قبلها، وفتح التاء كما قرأ نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ الباقون من السبعة «الأيكة» بالألف واللام مع الهمزة وخفض التاء (انظر التيسير ص١٦٦؛ والنشر ٢/٣٣٦؛ وإتحاف فضلاء البشر ص٣٣٣). وكتبوا في كل المصاحف «أصحب ليكة» في هاتين السورتين بلام من غير ألف قبلها ولا بعدها (انظر: المقنع ص٢١).

(٤) النمل: ٤٤، والمقصود منه قراءة قنبل- راوي قراءة ابن كثير- بهمزة ساكنة بعد السين مكان الألف (انظر: النشر ٢/٣٣٨).

(٥) النساء: ١، هي قراءة حمزة، والباقون قرؤوا بنصبها (انظر: التيسير ص٩٣).

(٦) والذي قرأها بالنصب (في البقرة: ١١٧؛ وفي آل عمران: ٤٧؛ وفي النحل: ٤٠؛ وفي مريم: ٣٥؛ وفي يس: ٨٢؛ وفي غافر: ٦٨) هو ابن عامر من السبعة؛ تابعه الكسائي في النحل ويس فقط (انظر: التيسير ص٧٦).

(٧) يشير المؤلف هنا إلى قراءة ابن عامر أيضاً في الآية: ﴿ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ (الأنعام: ١٣٧)، لأنه قرأ فيها بضم الزاي وكسر الياء من «زين»، ورفع لام «قتل»، ونصب دال «أولادهم»، وخفض همزة «شركائهم» بإضافة «قتل» إليه، وقد فصل بين المضاف- وهو «قتل» -والمضاف إليه- وهو «شركائهم»- (انظر: النشر ٢/٢٦٣).

في شرح قصيدة الشيخ الشاطبي رحمه الله»[1].

«فكل هذا محمول على قلة ضبط الرواة فيه على ما أشار إليه كلام ابن مجاهد المنقول في أول هذا الباب».

«وإن صح فيه النقل فهو من بقايا الأحرف السبعة التي كانت القراءة مباحة عليها، على ما هو جائز في العربية، فصيحاً كان أو دون ذلك».

«وأما بعد كتابة المصاحف على اللفظ المنزل، فلا ينبغي قراءة ذلك اللفظ إلا على اللغة الفصحى من لغة قريش وما ناسبها، حملاً لقراءة النبي ﷺ والسادة من أصحابه على ما هو اللائق بهم، فإنهم كما كتبوه على لسان قريش، فهكذا قراءتهم له». انتهى كلام أبي شامة.

٧ - وننبه إلى أمور:

أ - أن الذي ذكر بعض المواضع التي نُقِدَت القراءات فيها هذه هو الإمام أبو شامة شارح الشاطبية.

ب - أنه نسب المخالفات القرائية التي لُحِظَتْ في المواضع التي ذكرها إلى قلة ضبط الرواة. وقد ذكر ذلك قبله سيبويه وابنُ مجاهد وغيرُهم. وأما قوله إنها -إن صح النقل فيها تكون من الأحرف السبعة- فهو غير متوجه.

ج - أنه يكاد يتحلل من الالتزام بالرواية في تلك المواضع، فيقول «فلا ينبغي قراءة ذلك اللفظ (يعني الذي وقعت فيه المخالفة) إلا على اللغة الفصحى من لغة قريش وما ناسبها، حملاً لقراءة النبي ﷺ والسادة من أصحابه على ما هو اللائق بهم، فإنهم كما كتبوه على لسان قريش، فهكذا قراءتهم له».

(١) هو «إبراز المعاني من حرز الأماني» لأبي شامة.

د-ونحن لا ندعو إلى هذا الذي ذكره الإمام أبو شامة في الفقرة (ج) -على الرغم من وجاهته، وإنما ندعو إلى المحافظة على الروايات- مع تحقيق نسبتها إلى الأئمة، ومع التخلي عن نصب المتاريس من أجل تقديس ما وقع من مخالفات بل نَدْرُسُها، ونعلم ما فيها، ونسأل الله المغفرة لنا ولهم، والقبول منا ومنهم.

٨ - الخلاصة:

أ - القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان.

ب - بعض أوجه الأداء في القراءات ضعيف في العربية.

ج - البحث العلمي الدقيق المجرد من العواطف يحكم باستحالة نسبة هذه الأوجه الضعيفة إلى مولانا رسول الله ﷺ.

د-فهي إما من قلة ضبط الرواة، أو من وقوع الاختيار على ما ليس عالي الفصاحة. ومن شاء أن يجتزئ بأن لها وجهاً في العربية وإن كان ضعيفاً فهذا حقُّهُ، لكن دون أن ينسبها إلى النبي ﷺ.

* * *

٩ - بعد الفراغ من هذه المسألة، أمدنى أخ فاضل بمقال يتصل بما تناولناه هنا. والمقال عبارة عن فصل من كتاب (المعيار المُعْرِب، والجامع المُغْرِب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمَغْرب) تأليف أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ) الجزء ١٢ نشر وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بالمملكة المغربية، والفصل المذكور بعنوان (مسألة في بيان تواتر القرآن والفرق بين القرآن والقراءات لمحمد الكناني المعروف بالقيجاطي) واسمه كاملاً محمد ابن على القيجاطي، اخترت من كلام القيجاطي) في هذه المسألة سطوره الأولى-

بعد أن تخطيت سطوراً قَدَّم فيها للمسألة. ونص ما اخترته ما يلي «والقرآن المتواتر عند علماء الإسلام غيرُ القراءات. ومن وقف تواتر القرآن على تواتر القراءات فهو جاهل بالقرآن وبالقراءات وبما أجمع عليه العلماء. ويلزمه عدم تواتر القرآن لزوما لا انفكاك له عنه، لإجماع أئمة المسلمين على أن طرق نقل القراءات إنما هي الأسانيد الصحيحة من طرق الآحاد الثقات العلماء المتصلة أسانيدهم بالرسول ﷺ مع موافقة مصحف من المصاحف التي وجهها عثمان – رضي الله عنه– إلى البلدان، ومن ادعى زيادة على هذا وزعم أن القراءات لا تقبل إلا إذا تواتر نقلها فقد افترى على الله وعلى رسوله وعلى أئمة المسلمين وخالف إجماعهم».

«قال الإمام أبو بكر بن العربي في كتابه المسمى بالرحلة الصغرى: وقد نُقِل القرآن نقل تواتر يوجب العلم ويقطع العذر. وقراءاته نُقِلَت نقل آحاد، وقد بينا ذلك في تفسير قوله ﷺ «أنزل القرآن على سبعة أحرف» اهـ وقال الأستاذ أبو على الزبيدي في كتابه المسمى بإبداء الخفي في سقطات ابن القرطبي: وقد ثبت أن القرآن منقول تواتراً وأن القراءات منقولة آحاداً، ولا ارتباط بينهما في حكم النقل، والقراءات فروع تتعلق بالقرآن، فلم يلزم في القرآن أن يكون منقولاً نقل آحاد، وإن كانت القراءات المتعلقة منقولة نقل آحاد. انتهى».

وأكتفي بهذا القدر. فإن الفصل كله متاح في الكتاب. ولكني أشير إلى أن سائر الكلام تداخل فيه موضوع تواتر القرآن لا القراءات بموضوع الأحرف السبعة، وبموضوع خَلْق القرآن، وبموضوع أن القراءات ليست أبعاضاً للقرآن، وغير ذلك –مع استعمال (المنطق) في المناقشة. فمن أراد ذلك فليطلبه في الفصل المذكور من كتاب المعيار المُعْرِب. وبالله التوفيق.

٣

يقينية صحة سند القرآن

من النبي ﷺ إلى أمته

الذي أثار هذا المبحث هو اختلاف علماء مجال القرآن والقراءات في التعبير عن يقينية كون النص الكريم منقولاً نقلاً صحيحاً عن النبي صلى نفسه أي بسلسلة رواية وثيقة، بين قائلين بتواتر نقل النص الكريم من النبي ﷺ إلى أمته طبقة بعد طبقة، وقائلين بأن الأدق والأولى في التعبير عن اليقينية المذكورة هو التعبير **بصحة سند** نقل النص الكريم من رسول الله ﷺ إلى أمته.

ونحن نقول أولاً: إن سند النص القرآني الكريم من رسول الله ﷺ إلى أمته أقوى كثيراً من التواتر حسب المعنى الاصطلاحي للتواتر، وأقوى كثيراً من صحة السند حسب المعنى الاصطلاحي لصحة السند.

كذلك فإنني أشارك في إثارة هذه المشكلة وحلّها بإضافتين: الأولى هي بيان السر الداعي إلى التخلي عن مصطلح التواتر، وهو أمور أولها أن مصطلح التواتر دخيل على مجال القراءات فهو أصلاً من مصطلحات الأصوليين، ولعل أول من استعمله في مجال القرآن الكريم وقراءاته هو الإمام الأصولي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه: الانتصار للقرآن [1]، فالتواتر من مبحث مدارك اليقين

---

(١) ينظر: الانتصار للقرآن للباقلاني (تحـ عمر القيام) ١/ ١٥، ٥٥ مثلاً، والتلقي والأداء. د. محمد حسن حسن جبل ٦٧.

عندهم[1]. وثاني الأمور هو ضعف مصطلح التواتر في مجال نقل القرآن والقراءات. ومن ضعفه أن معناه في الاصطلاح مختلف اختلافاً واسعاً عن معناه في اللغة، فإن أصل معناه في اللغة رواية فرد عن فرد عن فرد إلخ، مع مسافة بين كل فرد والآخر. في حين أن المعنى الاصطلاحي للتواتر هو رواية جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب عن جماعة يؤمن تواطؤهم على الكذب أيضاً هكذا من أول السلسلة إلى آخرها- مع اتصال الطبقات. فالأهم في المعنى الاصطلاحي للتواتر عند مبتكريه الأصوليين هو كثرة ناقلي الخبر كثرة يؤمن معها التواطؤ على الكذب[2]، وكون ذلك في طبقات، وكون هذه الطبقات متصلة.

وقد اختلف الأصوليون في اشتراط العدالة والإسلام في رواة الخبر المتواتر، لأنهم يتحدثون عن أمور عظيمة الشهرة عند عامة الناس، ولو كانوا من غير أهل العلم، كالعلم بالملوك الخالية في الأزمنة الماضية، وكالعلم بوجود مكة والمدينة والقاهرة... ونقول: إنه يخلص من كلامهم عن التواتر ١)أن مادته خبر مقول. ٢)يتحدث عن وجود أشياء عظيمة يفترض أنها لا تُجهل. ولنا على كلامهم عن التواتر من حيث هو (سبب) للعلم ملحظ خلاصته غموض الأمر

---

(١) ينظر: رسالة العقائد النسفية للإمام عمر بن محمد نجم الدين النسفي ت ٥٣٧هـ). من خلال شرح سعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ) مكتبة ومطبعة محمد على صبيح ط٢، ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م)، ص٩٩، ١١٣، ١٢١، ١٢٢، ١٢٨، ١٢٩ حيث قال عمر نجم الدين النسفي «وأسباب العلم للخَلْق ثلاثةٌ: الحواسُّ السليمة، والخبر الصادق، والعقلُ.. والخبر الصادق على نوعين أحدهما الخبرُ المتواتر. والثاني خبر الرسول المؤيد بالمعجزة».

(٢) ينظر: في تركيز تعريفات التواتر على كون الرواة جمعا- تلك التعريفات في (دراسات أصولية في السنة النبوية) د. محمد إبراهيم الحفناوي. ص١٤٠.

بشأن ١)شموله الأمور الدقيقة سواء كانت دقيقة في ذاتها أو تفاصيل لأشياء عظيمة. ولا يخفى أن هذه الدقائق مهمة في كل ما هو موضوع لعلم أو معرفة، ٢)رجوع أولى حلقات الخبر إلى عيان أو غيره من سبل المعرفة الحسية الضرورية. والمهم أنه بسبب تركيز أئمة الأصوليين على معنى (الجمع الكثير)، وتطبيقهم موضوعه على الأمور العامة التي يلحظها جماهير الخلق صعُب اشتراط العدالة، وكذلك الإسلام في أفراد كل من تلك الطبقات. فاختلف الأصوليون. فمنهم من اشترط الأمرين، ومنهم من لم يشترط[1].

ويترجح لي أن هذا الذي قلناه في السطور السابقة (أن موضوع الخبر أمور عظيمة، وكون المعلومة منقولة بواسطة جمهور لا ينضبط حالهم..) هو سر تخلي بعض أئمة القراءات -كالإمام ابن الجزري[2]- عن مصطلح التواتر إلى صحة السند مع الاستفاضة. وعدّ آخرون نقل القرآن من الأئمة العشرة إلى من بعدهم متواتراً، ونقله من النبي ﷺ إلى الأئمة العشرة آحادياً[3].

وإنني لأرجو أن يكون في ما كشفتُه من غموض حقيقة التواتر، وفي ما استدركته- في كتاب (الوثاقة) من الصحابة المعيّنين الذين عَرَضوا القرآن على النبي ﷺ جَبْرٌ لما عاب صورة التواتر من غموض، وكون نقلة الخبر جمهوراً غير منضبط العدد والحال، وذلك ببيان أنّ نَقَلَةَ النص الكريم عَرْضاً ذَوُو كثرة مؤكدة ومُحكَمة (عشرة فأكثر)، وإبراز كونهم مُعَيَّنِي الأشخاص، معروفي الحال

---

(١) ينظر: السابق (دراسات أصولية .. د. الحفناوي) ص١٤٩.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر لابن الجزري. تحـ على محمد الضباع ١/ ١٣.

(٣) ينظر: المرشد الوجيز، لأبي شامة تحـ طيار آلتي ١٧٨.

أنهم أهل صلاح وثقة، واللفت إلى كون المادة المنقولة (القرآن الكريم) عِلْمية: أعني متاحة مقروءة محفوظة في الأذهان بالاستظهار، وفي الأعيان بالكتابة[1]، فأكون قد زدت الحكم بتواتر إسناد القرآن إلى النبي ﷺ توثيقاً ووضوحاً.

نعم أرجو أن يكون ما قدمته محققاً للتواتر بصورة أقرب إلى العِلْمية، بخلوصها من الشوائب التي ذكرناها من قبل، ومحققاً لصحة السند من باب أولى.

فإن صحة السند تتمثل في أن يكون نَقَلَةُ النص الكريم:

١ – اثنين فأكثر.

٢ – متصفَين بالإسلام – ولابد، وبالضبط والعدالة.

٣ – مع استفاضة ذلك المتمثلة في إقرار جماعة المسلمين بذلك الذي نُقِل، أنه من القرآن الكريم. وبذلك تتوافر شروط صحة السند من حيث إن (نصاب الشهادة اثنان فأكثر، والضبط والعدالة، والإسلام، لأن الذي ينقل القرآن مسلم بداهة)، مع الاستفاضة المتمثلة في علم جماعة المسلمين وإقرارهم بأن ذلك قرآن. ومراجعة السطور قبل السابقة تبين أن ما ذكرناه فيها هو أقوى من شروط صحة السند.

وأما الإضافة الثانية من مشاركتي في مسألة التواتر وصحة السند فهي اللفت إلى أن الناظر إلى النص الكريم نفسه، يجد أن مادته المقروءة واحدة أي متماثلة التفاصيل: (السور والآيات والكلمات بأعيانها وترتيبها) على ألسنة مئات

---

(١) ينظر كتاب (وثاقة نقل النص القرآني الكريم من رسول الله ﷺ إلى أمته) د. محمد حسن حسن جبل ص٢٧-٦٢، ١٨٦-٢٦٨.

الملايين من المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها -منذ نزل إلى الآن- وذلك عدا كلمات معدودة رصدها علماؤنا.

لقد ادعى بعض أعداء الإسلام أن النص القرآني الكريم مختلف بعضه مع بعض[1]. وتمثل ما يدّعونه في نوعين: الأول ما ادعوه من تناقض واختلاف بين معاني آيات أو عبارات قرآنية ومعاني آيات أو عبارات قرآنية أُخْرى. وهذا النوع عُقِدت له- من قديم دراسات وردود تحت عنوان (موهم الاختلاف والتناقص)[2]. وليس هذا هو المقصود هنا. والنوع الآخر يتمثل في القراءات المتغايرة التي تُقْرأ بها كلمة أو عبارة قرآنية. وهذا النوع هو موضوع هذه الدراسة.

إننا إذا نظرنا في القراءات (المختلفة) سنجد أن (الاختلافات) المقصودة صنفان:

أ) اختلافات أدائية أي نطقية كالنصب والإمالة، وتحقيق الهمز وتسهيله، والفك والإدغام إلخ، وكذلك اختلاف ضبط عين الفعل المضارع، واختلاف حرف المضارعة أحياناً بين الخطاب والغيبة. فهذا النوع لا يُعَدّ اختلافاً حقيقة، إذ هو مجرد أداء الكلمة بنطقين مختلفين حسب لهجة القارئ، أو حسب ما قرأ الصحابي متلقياً أو مُجازاً من النبي ﷺ، ولا فرق في المعنى على الإطلاق. واعتقد أن كل أهل العلم- ولو كانوا غير مسلمين- لا ينازعون في هذا، لأنه من المتعالَم

---

(١) ينظر مقدمة كتاب مذاهب التفسير الإسلامي تأليف اجنتس جولد تسيهر ترجمة د. عبد الحليم النجار ص ١ - ٧٠.

(٢) ينظر الإتقان للسيوطي: النوع ٤٨.

تماماً أن كل إنسان ينطق بلهجته، فإذا كان الكلام المنطوق واحداً، فإنه يعد واحداً مهما تعددت صور نطقه.

ب) الصنف الثاني من الاختلافات النطقية هو اختلافات يتغير بها المعنى تغيّراً طفيفاً، قريبَ المعنى إلى معنى النطق الآخر، بحيث قد لا يحتاج تفسيراً يبين وجه التلاقي بينه وبين القراءة الأخرى. وهنا درست أنا هذه الاختلافات فوجدت مجموعها نحو أربع مئة كلمة وعبارة[1]، وبالدراسة المتأنية لهذه الكلمات ميَّزْت أكثر من ثلاث مئة كلمة هي أوضح من أن تحتاج إلى دراسة خاصة. وبقيت تسعون كلمة أو نحوها من القراءات المختلفة، حَلَّلْتُ ما جاء في كل منها عند أئمة القراءات العشرة الذين اعتَمَدَت الأمة قراءتهم، فبينتُ وجه تلاقي معاني القراءتين أو الأكثر في كل من تلك الكلمات. وبهذا الذي صنعته تبين تمامَ التبيُّن وَحْدَةُ النص الكريم، بمعنى أن القراءات المعترَف بها فيه لا تمثل اختلافاً حقيقيًّا في معنى النص.

ثم إن هذه الوحدة تقدم لنا يقينية لسند النص إلى رسول الله ﷺ لا يجادل فيها ذو عقلية عِلْمية منصف. إن نسبة (س) من الناس صدور جملة كلامية (بلّغَها إليك) إلى (ص) هو خبر يحتمل الصدق والكذب، ومجئ هذه الجملة بعينها على لسان مبعوث آخر إليك ينسب صدورها إلى ذلك الـ (ص) نفسه هو أمر يقلل درجة الشك في كونها بعينها صادرة عن ذلك الـ (ص) الذي يبعث الأفراد بها إليك. أما مجئ ثالث ورابع وخامس.. وعاشر ليبلغك الجملة بعينها

---

(١) جمعتها من: الميسر في القراءات الأربعة عشر تأليف محمد فهد خاروف، دار الكلم الطيب: دمشق- بيروت.

ناسباً إياها إلى (ص) نفسه، فهو أمر يستحيل معه الشك في أن هذه الجملة بعينها صدرت من ذلك الـ (ص). والأمر هنا كذلك. القرآن الكريم مكون من آلاف الجمل، المكون كل منها من كلمات معينة، وهذه الجمل محتواة بترتيب معين في آلاف الآيات، وهذه الآيات محتواة بترتيب معين في سور القرآن. وهذا كله وفقاً لما رواه القُرّاء العشرة، بل لما رواه الأربعة عشر (ويمكن إضافة قراء آخرين)، لم يُخِلّ أحد منهم بعين كلمة أو بترتيبها في آية، ولا بعين آية أو ترتيبها في سورة فهل يوجد -مع هذا كله- عقل بشريٌّ سليم يشك أو يشكك في صحة تلقي هذا القرآن الكريم عن النبي محمد ﷺ؟! يستحيل هذا ثم يستحيل.

ربما يحتاج الأمر إلى توضيح آخر. إنه منذ نزول القرآن الكريم على النبي محمد ﷺ وقراء القرآن المعتمَدون يبدءون قراءة سورة الفاتحة بقوله تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ﴾. فهل أُثِر في أية رواية أو مصدر موثوق أن أحدا من القراء المعتمدين قرأ هذه الآية الأولى من سورة الفاتحة بـ «الشكر لله رب العالمين» أو بـ «الحمد لله خالق العالمين» أو «الحمد لله رب الخلق أو رب المخلوقات جميعا أو رب الكون»؟ لم يوجد ولن يوجد. وما صدق في أول آية من سورة الفاتحة يصدق في كل آية في القرآن الكريم المكون من أكثر من ستة آلاف ومئتي آية[1].

لقد واجهتُ الكلمات التي قُرئت بصور مختلفة، حَسَب ما ذكرتُ من قبل، وبينتُ أن هذه الصور المختلفة تئول في كل كلمة إلى معنى واحد، أو كالواحد،

(١) ينظر عن عدد آيات القرآن: الإتقان النوع ١٩ (عالم الكتب) ١/ ٦٦.

أعني أن المعنى لا يختلف من قراءة لأخرى اختلافًا ذا بال. وبهذا تتبين وحدة النص الكريم. بل إنني أزيد أنه حتى إذا لم يقتنع باحث ما بالتحليل الذي بينتُ به أن اختلاف قراءة كل من الكلمتين حصيلته معنى واحد أو كالواحد، فإن وحدة النص ستظل قائمة، لأن مجموع هذه الكلمات هو تسعون كلمة منها كلمات مكررة. وأهل الدراسة العلمية يعلمون أن الاختلاف في تسعين كلمة لا يمكن أن يؤثر في وحدة نص مكون من نحو ثمانية وسبعين ألف كلمة. بل وأقول إن أهل الدراسة العلمية يَعْلَمون أن اختلاف قراءة أربع مئة كلمة لا يمكن أن يُؤَثّر في وحدة نص مكون من نحو ثمانية وسبعين ألف كلمة (٧٧٩٣٤ كلمة)[1]. ثم إنه لا يوجد في القرآن الكريم كلمات اختُلف في قراءتها اختلافاً يمس المعنى أدنى مس أكثر من أربع مئة كلمة. فلا حاجة لإضافة أي توثيق علمي. والحمد لله رب العالمين.

وبهذه الكلمات التي قلتها في السطور الأخيرة من كلامي يتبين أن وحدة النص الكريم متحققة حتى لو صُرِف النظر عن التقاء معاني كَلِم القرآن المختلفة القراءات. ولكن المعالجة العلمية لا تكتفي بالادعاءات والمرسلات، ولذا قررت معالجة تلك الكلمات التسعين معالجة واقعية.

وقبل أن أعرض معالجتي لمعاني التسعين كلمة، أحب أن أذكّر بأننا قدّمنا هذا المبحث لبيان وثاقة إسناد النص الكريم إلى سيدنا محمد رسول الله ﷺ وثاقةً تضاف إلى وثاقة ذلك بالتواتر وصحة السند، وبالتدوين الخطيّ. أما صحة إسناد النص من رسول الله ﷺ إلى موحيه سبحانه وتعالى- فحجته ودليله هو

(١) السابق نفسه (عالم الكتب) ١/ ٧٠.

الإعجاز، بمعنى عجز البشر والجن عن أن يأتوا بمثله، أو بمثل عشر سور من سوَره، أو بمثل سورة واحدة من سُوَره. لقد تحدّى القرآن العربَ أهلَ البيان والفصاحة تحدّياً صريحاً مباشراً، أن يأتوا بأي مما ذكُر فلم يستطيعوا. ولو كانوا يستطيعون ما تورطوا في مواجهات قُتِل فيها أبناؤهم وآباؤهم وسُبِيت فيها بعض رجالهم ونسائهم، ثم افتدَوهم بأموال هي نفيسة عليهم. ولو كانوا يستطيعون أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل سورة منه لأَتَوْا، ولما أوقعوا أنفسهم في ذلك كله، ولكنهم لم يستطيعوا وعجزوا، فتبين لهم ولغيرهم أن القرآن كلام الله تعالى، أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ، وبلغه رسوله ﷺ إلى الأمة بوثاقة ذات صور عدة منها التدوين الخطي للقرآن الكريم فورَ نزول الوحي به، ومنها الصورتان المشهورتان: التواتر، وصحة السند، ومنها هذه الصورة التي نضيفها، وهي وحدة النص الكريم، المسند بعشر روايات إلى رسول الله سيدنا محمد ﷺ.

ونكتفي هنا من حلقة إسناد النص الكريم إلى الوحي من رب العالمين بذكر آيات التحدي والإعجاز، لأن هذه الحلقة موضوع مستقل.

قال الله تعالى:

١ – أ) ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سورة الطور]. (المقصود بـ(حديث) هنا هو القرآن نفسه، لأن الآية السابقة تذكر أنهم يقولون إن محمداً (تقوله) أي هو (حديث) منه نَسَبه إلى الله عز وجل.

ب) ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [الإسراء ٨٨].

٢ - ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [هود: ١٣].

٣ - ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣].

* * *

والآن، نعود إلى بيان المواضع التسعين التي ذكرنا أننا حلّلناها، لنثبت أن معاني الكلمات المختلفة القراءة في كل منها: مُلْتقية، ولا تخرج بها إلى اختلاف حقيقي.

(هذا بيان بالكلمات القرآنية التي وقعت فيها قراءات للقراء العشرة، ويُتَوَهم أن بينها فرقاً في المعنى لافتاً أو مهماً وسأذكر العبارة القرآنية، وبجانبها رقم آيتها، ثم الكلمة التي فيها القراءة الثانية مكتوبة أو مضبوطة حسب القراءة الثانية).

سورة الفاتحة:

١ - ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾ (بألف بعد ميم ملك) القراءة الأخرى ﴿ مَلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ ﴾: (دون ألف بعد ميم ملك) القراءتان أَصْلُ لفظيهما المَلْك بمعنى القبض والإمساك بالشيء. و(مالكِ) من المِلك بالكسر، وهو أن يكون الشيء في حوزتك بحق، وأنت صاحب الحق التام في ذاته وفي كل تصرف فيه من أدنى تصرف إلى نَقْلِه إلى حوزة أخرى بالبيع أو الهبة. و(مَلِك) من المُلْك- بالضم، وهو أن يكون لك السلطة على الأشخاص وعلى تصرفاتهم في

الأشياء التي يملكونها، وعلى الأشياء التي في حيز مُلْكك أيضاً، وهي سلطة تتيح التصرف في الأشياء كتصرف المُلاّك. والزَمَن (يوم الدين) وإن كان عَرَضاً فإن الله -عز وجل- يَمْلك ذاته من حيث إقامتُه وتوقيته، ويملك كل تصرف فيه مِلْكاً حقيقياً، فهو -سبحانه- مَالِكٌ حقاً، وهو أيضاً مَلِكٌ حقًّا يملك كل تصرف في كل شيء في ذلك اليوم. فالحقُّ في الذات متحقق هنا للمالك والمَلِك، والتصرف حقٌّ للمالك وللمَلِك، وكل ما في يوم الدين تصريفٌ منه عز وجل. فالقراءتان ملتقيتان.

سورة البقرة:

٢ - ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ [٩] (وما يخادعون) المنافقون يُخْفون كفرَهم ويُخْفون ما يريدون من الشر للمسلمين، فهذا هو الخَدْع. ومن أغراض الخَدْع والمخادعة التخفي وإلحاق الضُرّ بجند الله المؤمنين وكسب النفع إن كان. وبما أن المخادعة موجهة إلى من لا تخفي عليه خافية سبحانه وتعالى، وإلى جنده المؤمنين سبحانه وتعالى، فإن ما يخفيه المنافقون- خَدْعاً أو مخادعة من جانبهم حسب ظنهم- هو غيرُ خاف على الله. فالخَدْع والمُخَادعة اللذين أرادوهما لم يتحققا. ثم إن ما أرادوه من الضَرر بالمؤمنين انقلب عليهم هم، إذ ضيعوا فرصة أن يكونوا مؤمنين، واستحقوا ما يوقع الله بهم من عقاب. فهم ما خدعوا ولا خادعوا إلا أنفسهم، إذ كان أمرهم مكشوفاً لله ولعباده المؤمنين، كما أنهم ألحقوا الضرر بأنفسهم -لا بالمؤمنين- بمحاولتهم الخدع والمخادعة، فالقراءتان ملتقيتان.

٣ - «ولهم عذاب أليم بما كانوا يَكْذِبون» [١٠] (يُكَذِّبون): هذا من ختام

آية عن المنافقين الذين يقولون «آمنا بالله وباليوم الآخر» فقال الله «وما هم بمؤمنين» فهم (يكْذبون) (بفتح الياء وسكون الكاف) في ادعائهم أنهم مؤمنون، وهم في الحقيقة كافرون بالله، إذ هم يُكَذِّبون (بضم الياء وفتح الكاف وتشديد الذال) بدعوة محمد ﷺ إياهم إلى الإيمان بالله إلاهاً واحداً لا شريك له وبمحمد ﷺ رسولاً من الله عز وجل إليهم وإلى الناس كافة، وبكل ما اشتملت عليه الدعوة المحمدية، فهم (يَكْذبون) و (يُكَذّبون) في نفس الحال. والقراءتان ملتقيتان.

٤ – ﴿ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (تَرْجِعون): المعنى واحد من حيث إن الرجوع إلى الله –عز وجل– بعد الموت هو رجوع قَهْريّ ليس بإرادة الراجع. فالقراءة الأولى (بالمبني للمجهول) كالنص في هذا، والثانية قريبة منها باعتبار القهرية. وكذا كل (تُرْجَعون) و(تَرْجِعون) بالغيبة أو الخطاب في القرآن الكريم، إذا كان مقصوداً بها الرجوع إلى الله –عز وجل– (بالبعث والحشر والحساب.. إلخ) فالمعنى فيهما كالواحد، إذ هو فيهما بإرجاع الله إياهم.

٥ – ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا ﴾ [٣٦] (فأزالهما..): معنى أَزَلَّهما أَزْلَقَهما، والمراد: أبعدهما عن امتثال قَوْلةِ الله تعالى لهما ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ ﴾ أي جعلهما ينصرفان ويتخلّيان عن التمسك بها، وهو نفسه معنى (فَأَزالهما الشيطان عنها) أي نَحَّاهما ودفعهما عن امتثال تلك القَوْلة أي عن التمسك بها. فالمعنيان ملتقيان.

٦ – ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾ [٣٧] «فتلقى آدمَ من ربه كلماتٌ»: معنى (تلقى آدم كلماتٍ): استقبلها وأخذها، تلقُّنًا أو إلهاماً. والمراد:

فقالها فتاب الله عليه. وعلى القراءة الأخرى: استقبلته الكلمات أي تداركته وتَكَفَّلَتْ به لَمَّا قالها، فتاب الله عليه. وليس في أي من القراءتين تصريح بمصدر تلك الكلمات، لكنها لا تكون هنا إلا إلهاماً من الله الرب الرحيم، لأنه (تلقاها)، فمصدر الكلمات واحد سبحانه، وأثرها واحد هو التوبة على آدم ﷺ على نبينا وعليه- والمغفرةُ لنا وله. فحصيلة التعبيرين كالواحدة.

٧ - ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ ﴾ [١٠٦] «ما نُنْسِخ»: القراءة الثانية من أَنْسَخَ، ومعناها كالأولى: الإزالة. وفي البحر (الكتب العلمية ١/ ٥١٢) أوّل أبو عليّ القراءة الثانية «بوجود الآية منسوخة»[1]، وليس وجودها منسوخة إلا بأن تُنْسَخ. فتتفق القراءتان في المعنى «وأن اختلفتا في اللفظ» اهـ، وأَوَّلها الزمخشري بأن الهمزة فيها للتعدية، بأن يأمر سبحانه وتعالى جبريلَ بأن يَنْسَخَها أي يُزِيلها لا ينزلها من اللوح المحفوظ[2]، فيكون عدم إنزالها كنسخها، فالمعنى واحد. وأوّلَ ابنُ عطية العبارة القرآنية إلى: ما نأمر بكتابته نَسْخاً من اللوح المحفوظ أو نَتْركه فيه أَيَّ ذلك فَعَلْنَا فإنا نأتي بخير من المؤَخَّر المتروك (ينظر البحر ١/ ٥١٢). لكن الإنساخ في عبارة أبي على والزمخشري معناه الترك، وبه يلتقي معنى القراءتين. وفي كلام ابن عطية معناه الأمر بالكتابة، أو إتاحتها.

٨ - ﴿ أَوْ نُنسِهَا ﴾ [١٠٦] (أو نَنْسَأها): النسيان يفسَّر بضد الذكر، وبالترك. والنَسْءُ: التأخير. والتأخير سبيل إلى الترك، والمراد في الآية التَرْك. فالتقى الإنساء (من أَنْسى) والإنساء (من أنسأ) على معنى الترْك. والتقت القراءتان.

---

(١) أي كما تقول العرب: أَبْخَلَه: وجده بخيلاً، فكذلك أنسخه: وجده مَنْسوخاً.

(٢) فيكون معنى ينسخها هنا يُجنِّبُها ويُنَحِّيها مما قُدِّرَ إنزاله من اللوح المحفوظ.

٩ – ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ «قالوا... »: على القراءتين هو عطف. وعدم الواو للاكتفاء بالضمير والربط به عن الربط بالواو (بحر ١/ ٥٣٢) ووجود ذلك من روايتين صحيحتين عن النبي ﷺ ألجأ لجنة كتابة المصاحف في عهد عثمان –رضي الله عنه– إلى توزيعهما على المصاحف العثمانية عند كتابتها.

١٠ – ﴿ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (١١٩) «ولا تَسْأَلْ..»: لا تُسْأل عنهم فهم يَحْمِلون أوزارَهم وسَيُلاقون شرَّ مصير، وساحتك بريئة، فإنك قد بَلّغْت، وما على الرسول إلا البلاغ. وأما (ولا تَسْأل) بالنهي، فهي كناية عن أنهم في شر حال وأفظعه (بالمعنى من بحر ١/ ٥٣٨). فكأن القراءة بأسلوب النهي لبيان شِدّة سوء مصيرهم، وبالنفي تُبيّن إفرادَهم بحمل جَزاء جُرْمهم الجحيم، والسياق يُجْمِل أنه شديد. فالقراءتان كأن معناهما واحد.

١١ – ﴿ وَٱتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [١٢٥] «واتَّخَذوا..»: الأمر بمعنى وقلنا للناس اتخِذوا، وهو مُوَجَّه لسيدنا محمد ﷺ وأمته. والسياق من أول الآية (١٢٤) ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ ...﴾ هو لأمتنا من أول جَدَّيْنا إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام، والناس هم ناس هذه الأمة ومن انضم إليها. والصيغة الماضوية هي أيضاً عن هذه الأمة (ينظر بحر ١/ ٥٥٢). وهم لم يتخذوا من تلقاء أنفسهم، لأنه عبادة، فهم أُمِروا– ولابد. فالتقت القراءتان.

١٢ – ﴿ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ﴾ [١٦٤] (وتصريف الرِيح): «القراءة بالإفراد يراد بها الجِنْس فهي كقراءة الجمع» (البحر ١/ ٦٤١). أقول وكذا الأمر في كل ما قُرِئ بالوجهين (الرياح. الريح).

١٣ - ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ﴾ [١٤٨] (هو مُوَلّاهَا): المراد بالوجهة القِبلة، والضمير (هو) عائد على (كُلّ) أو على المضاف إليه المحذوف (صاحب مِلَّةٍ) أو (مُتَّبع مِلّة). والمعنى: ولكلٍّ من أهل الأديان المعْنِيَّة في السياق (اليهودية والنصرانية والإسلام) قِبْلَةٌ يُوَلِّي وجهَه إليها. فعلى القراءة الأولى مفعول (موليها) محذوف، أي موليها وجهه، والقراءة الثانية معناها هو مُوَلًّى إليها: أي ولاه مُوَلٍّ إلى تلك القبلة هو دينه أو نَظَرُه. فحصيلة القراءتين واحدة. وأما لازم هذا المعنى فهو: فلا سبيل إلى اجتماعكم على قِبْلَةٍ واحدة، أو فلا تَشْغَلُوا أنفسكم أيها المسلمون بخِلافهم، واسْتَبِقوا الخيرات في قبلتكم الكعبة. (ينظر البحر ١/ ٦١١ -٦١٢، التحرير والتنوير جـ٢/ ٤٢-٤٣).

١٤ - ﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ﴾ (٢٥٩) «نُنْشِرُها»: (ننشزها) من الإنشاز وهو الإقامة والرَفْع. والمراد هيكل العظام مركَّباً بعضه في بعض قائماً كما يكون في بدن الحَيِّ. و(نُنْشرها) من الإنشار وهو بَعْث المَيْتِ وإحياؤه (ينظر البحر ٢/ ٣٠٥)، وأوضح صور ذلك الإنشار أن يكون قائماً لا راقداً. فالتقى معنيا القراءتين.

١٥ - ﴿ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ «قال اعلَمْ»: على القراءة الأولى (أَعْلَمُ) القائل هو المارّ «قال ذلك على سبيل الاعتبار». وعلى قراءة (اعْلَمْ) القائل هو المارّ أيضاً، وهو يوجه الأمر في (اعلمْ) إلى نَفْسه «نَزَّلَ نفسه مَنْزِلة المخاطَب». (ينظر البحر ٢/ ٣٠٧ -٣٠٨) فالتقت القراءتان على أن مُحَصِّل العِلم في هذه الآية هو المارّ على القرية.

١٦ - ﴿ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ [٢٨٥] (وكتابه):

بالجمع لكل ما أنزله الله على رُسُله كصحف إبراهيم وتوارة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى عليهم السلام، وكذا القرآن الكريم على سيدنا محمد ﷺ. و(كتابه) بالإفراد المراد به كل كتاب لله، كقوله تعالى ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤] أي نِعَمَ الله فـ(كتاب) يراد به الجنس، وهو بهذا بمعنى الجمع (كُتُب). (ينظر البحر ٢/ ٣٧٩) فالتقت القراءتان.

سورة آل عمران:

١٧ – «ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس» [٢١] (ويُقاتِلون): أما (يَقْتلون) فواضح، والمضارع يفيد التجدد وهذا يعني التكثير، وأما (يقاتلون) فيفيد هنا المبالغة في القتل (التحرير والتنوير ٣/ ٢٠٧) وأصل ذلك أن صيغة (فاعَلَ) قد تأتي بمعنى (فَعَّل) أي تكون للتكثير كفَعَّل (شرح الرضى شافية ابن الحاجب ١/ ٩٩) وأضيف أن من صور التكثير المطاولة والاستمرار، وهذا واضح في صيغة (فاعل). فالتقى معنيا القراءتين على (التكثير).

١٨ – ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [٣٦] (بما وَضَعْتُ): ضمير الغائبة الذي أُسند إليه الفِعْل في القراءة الأولى يعود على امرأة عمران التي وَلَدت (مريم). والجملة اعتراضية لبيان أن الله سبحانه وتعالى لم يكن يغيب عنه –سبحانه وتعالى– أنها وَضَعَتْ أنثى. والقراءة استمرار لما حكاه الله تعالى من قصة امرأة عمران، وفيها إشعار بالمواساة والتقوية، ووَعْدٌ ضِمْنِيٌّ بخير، فإن الكريم القادر إذا عَلِم بخَلَّة أَسْعَفَ بجَبْرها. وفي القراءة الأخرى– تستمر امرأة عمران في الإخبار عن نفسها فتقول (والله أعلم بما وَضَعْتُ)، وفي ذلك رفع للشكوى

واستنزال لفضل يَجْبُر خَلَّتَها هذه، ويَجْبُر انكسارَ خاطرها بتخلّف ما توقَّعَتْ، وهو أن يكون المولود ذَكَراً. والرفع إلى الكريم القادر يأتي بالإسعاف ولابد. فالتقت القراءتان على الإسعاف بالجبر، وَعْداً مُحَقَّقَ الوقوع على القراءة الأولى، ورَجَاءً مُحَقَّقَ الوقوع على القراءة الأخرى. (ينظر البحر ٢/ ٤٥٧ والتحرير والتنوير ٣/ ٢٣٣ -٢٣٤).

١٩ - ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [٣٧] (وكَفَلَها). القراءة الأولى تَعْنى أن الله -عز وجل- كَلَّف زكريا -عليه السلام- أن يَكْفُلَ مَرْيَم. وزكريا نبي لابد أن ينفذ ما كُلِّفَ به. والقراءة الأخرى تُخْبِر أن زكريا كَفَل مريم. وزكريا نبي ما كان يتصرف إلا بما أوحي الله إليه أو ألهمه بدرجة ما. فالقراءة تعني أن ما أُمِرَ به زكريا وَقَع ونُفِّذ. فالتقت القراءتان على كفالة زكريا لمريم عليهما السلام تكليفاً يقع/ لا محالة/ على القراءة الأولى، وواقعاً بتكليف -لا محالة- على القراءة الأخرى.

٢٠ - ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ [٧٩] (تَعْلَمُونَ). القراءة الأولى بضم التاء والتضعيف، أي تُعَلِّمُون غيركم الكتاب، وكلمة (الناس) في أول هذه الآية تعبِّر عن أتباع الأنبياء الذين علّمهم الأنبياءُ كُتُبَ الله، وجلالَ قَدْرِ الله، وأنه الذي خَلَق كل شيء، وبيده مَلَكُوت كل شيء، ولا يتأتي أن يكون له شريك من خلقه، فلا يتأتي أن يقولَ لهم أَيُّ نَبِيّ (كونوا عبادا لي من دون الله)، وإنما الذي يقول لهم النبي على القراءة الأولى «كونوا ربانيين» عَمَلاً بما عَلَّمْنَاكم من الكتاب حتى بَلَغْتُم أَنْ صِرْتُم تُعَلِّمُون غيرَكم. وعلى القراءة الأخرى «كونوا ربانيين» عَمَلاً بما عَلِمْتُم من الكتاب أي بِتَعْلِيمنَا إياكم. ا هـ. وأقول إنه لا يكون غيرُ

هذا، لأن أولئك الأتباع ما عَلِمُوا بالبحث بأنفسهم، وإنما بالتَلَقِّي من أنبيائهم. «ومعنى كونوا (ربانيين) أي كونوا مَنْسُوبين للرَبّ وهو الله سبحانه، ومعنى ذلك كونوا مخلصين لله دون غيره» (ينظر التحرير والتنوير جـ ٣/ ٢٩٥). وهذا هو المعنى الصحيح في هذا السياق. وكلمة (ربانيين) واسعة المعنى وهذا أقربها. وفي (البحر ٢/ ٥٢٩ -٥٣٠) حكى ستة عشر معنى لكلمة (ربانيّ) ليس منها ما يناسب السياق كالذي نقلناه عن التحرير. وكلمة (ربانِيّ) كأنها الأنسب من وجه آخر، هو أن النسب إلى (الله) -عز وجل- هو (إلهي)، ولفظ (الإلاهي) أوسع مدلولاً من لفظ الجلالة، وكلمة (الرب) - بلام العهد - تعني (الله) -عز وجل- خاصة، فالنسب إليها بالصيغة المذكورة سائغ ومخصص.

٢١ - ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ ﴾ [١٣٣] (سارعوا): القراءة بالواو لعطف هذه الجملة الآمرة بالمسارعة إلى المغفرة على الجملة السابقة ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾، لأن الأمَر بالمسارعة إلى الجنة كأنه أَمْرٌ بالأعمال الصالحة المؤدية إليها، فناسب العطف. وأما عدم العطف فلأَنَّ جملة (سارعوا...) بمنزلة البيان أو بدل الاشتمال للجملة السابقة (وأطيعوا الله...) لأن طاعة الله والرسول مسارَعةٌ إلى الجنة، فلذا فُصِلت. (التحرير والتنوير جـ ٤/ ٨٨) فالتقت القراءتان، ووجود الواو وعدمها روايتان ثابتتان عن النبي ﷺ فوُزِّعَتا على المصاحف العثمانية.

٢٢ - ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ ﴾ [١٤٦] (قُتِل معه): على قراءة (قاتل) فالقتل الواقع على مَنْ هو ضِمْن الربيين لازمٌ توقّعاً من تَقاتُل الطرفين، ومرادٌ بقرينة السياق والمقام، لأن الآية توجه المؤمنين إلى الموقف الذي

ينبغي أن يتخذوه إزاء الإرجاف بقتل النبي ﷺ في وقعة أحد، وهو ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾. وفي القراءة الأخرى وقوع القتل على الرِبِّيين صريح، والتوجيه المراد واحد، فالتقت القراءتان. (ينظر البحر ٣/ ٧٩، والتحرير جـ٤/ ١١٨).

٢٣ – ﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ ﴾ [١٩٥] (وقُتِلُوا وقاتَلوا): القراءة الأولى تَذْكُر المقاتلة أولاً ثم مَنْ وقع عليه القتل. والقراءة الأخرى تذكر أولاً مَنْ وَقع عليه القتل، فتشمل من قُتِل في غير قِتال كالسيدة أم ياسر، كما تشمل من قُتِل في قِتال، لأن وقوع القَتْل لازم لوقوع القِتال لزوماً عاديًا، فإن القرآن يتحدث عن القتال لا عن المصارعة. ثم إن السياق سياقُ مثوبة عظيمة لمن خاطر بنفسه في قتال المشركين، سواء قُتِل فِعلاً أو لم يقتل. كذلك فإن القراءة الأولى تشمل من قُتِل في غير معركة كأم ياسر، لأن العبارة القرآنية تقول (وقُتِلوا) ولا تقول (فقتلوا) فَتقْصرَ وقوع القتل على المؤمن المشارك في القتال. فالتقت القراءتان. (ينظر التحرير جـ٤/ ٢٠٥، والبحر ٣/ ١٥٢).

سورة النساء:

٢٤ – ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾ [١٩] (كُرْها): نصرف النظر عن القول بأن (كرها) بضم الكاف وفتحها لغتان، ونقول إن الأصل هو الفَرْق، ثم إن الكلمة بالفتح مصدرٌ معناها إكراهاً وغَصْباً، وبالضم معناها على كراهة وعدم رضا. والآية تُحرِّم أن يتخذ أولياء الميت

أرملته ميراثاً -كما كان الحال في الجاهلية- بأن يتزوّجوها أو يزوجوها غيرَهم وهي كارهة، كما تُحرِّم عليهم عَضْل المرأة أي مَنْعَها من الحياة الزوجية- إذا كانت تريدها، حرصاً منهم على الاستحواذ على مالها (ينظر التفصيل في التحرير جـ ٤/ ٢٨٣).

وواضح أن هناك جامعاً بين معنيي: كَرهاً وهو الإكراه، وكُرها- وهو عدم الرضا- أعني إجراءَ الأمر ضدَّ رغبة المرأة في الحالتين. فالتقت القراءتان.

٢٥ - ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ ﴾. «تَلُوا أو تُعْرِضوا»: الآية تتناول الشهادة في الخصومات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ فالآية تنهي عن الانحراف بالشهادة، حتى لو كان المرء يشهد على نفسه أو أقربائه، ومهما كان الخصم المشهود في مواجهته غنيًّا أو فقيراً. وباختصار لا يحل أن ينحرف الشاهد عن الحق من أجل علاقة قرابة أو نحوها، أو من أجل ظروف اجتماعية لأحد الخصمين. والقراءة الأُولى (تَلْوُوا) فيها أن أصل اللَّيّ الفَتْل، والفَتْل إدارة كل من قُوى الحَبْلين حَوْل الآخر، ففيه معنى الانحراف عن جانب إلى آخر، بالإضافة إلى معنى الالتواء. والفعل (تَلْوُوا) «صالح لتقدير متعلَّقه المحذوف مجروراً بحرف (عن)، أو مجروراً بحرف (على)، فيشمل معاني العدول عن الحق في الحكم، والعدول عن الصدق في الشهادة. والقراءة الأخرى (وإن تَلُوا» الوجه فيها أن تكون تخفيف (تَلْوُوا) نُقِلَت حركة الواو إلى الساكن قبلها، فالتقى واوان ساكنان، فحذف أحدهما، ويكون معنى القراءتين واحداً» (التحرير جـ ٥/ ٢٢٨ والبحر ٣/ ٣٨٦). والحمد لله رب العالمين.

سورة المائدة:

٢٦ - ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ۝ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [٥٢] (يقولَ..): القراءة بالواو مع رَفْع (يقول) عطفٌ على (فعسى الله)، ومع نصب (يقول) عطفٌ على (أن يأتى) (فيصبحوا... ويقولَ الذين آمنوا...) والقراءة بلا واو استئناف بياني جواباً لسؤال من يسأل: ماذا يقول الذين آمنوا (التحرير جـ٦/ ٢٩٣) فالقراءتان لبيان ما يقول المؤمنون حين رَأَوْا تعاطف المنافقين مع اليهود، لمّا أُجْلِي بنو النضير وأوقع الله بيهود قريظة: ﴿ أَهَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴾ [المائدة آية ٥٣] المشار إليه هم المنافقون الذين تعاطفوا مع اليهود (وانظر البحر ٣/ ٥٢١).

٢٧ - ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ ﴾ [١٠٧] (الأَوَّلِين): القراءة الأولى (الأَوْلَيان) مثنى (أَوْلَى) أي أَوْلَى بأن يقوم بالشهادة، والثانية بصيغة الجمع وهم أهل الميت وورثته يشهد اثنان منهم، فالقراءة الأولى لبيان أن الشاهدَيْن ذَوَا أَوْلَوية، والقراءة الثانية تبين أنهما من ذوي الميت، وهم الأولى حقيقة. فالتقت القراءتان (ينظر: أبو السعود ٣/ ٩١ ثم راجع التحرير ٧/ ٩٢-٩٥ والبحر ٤/ ٤٨-٥١).

٢٨ - ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝ ﴾ (إلا ساحر): في القراءة الأولى الإشارة إلى ما جاء به عيسى من البيّنات، والقراءة الثانية إشارة إلى عيسى نفسه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام (البحر

٥٦/٤) فالقراءتان مآل معنييهما واحد، لأن السحر لا يقع إلا من ساحر، والساحر في موقف خروج عن المعتاد يكون هو الذي صنع السحر. وكذا يقال في كل ما يقرأ بهذين الوجهين (سحر/ ساحر).

٢٩ – ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ [١١٢] «هل تستطيع ربك»: على القراءة الأولى ليس السؤال شكاً وإلا لكانوا كفاراً، في حين أنهم حواريون أي من أخلص أتباع عيسى وأصدقهم إيماناً. وإنما هذه صيغة للتلطف في طلب ما يُسْتَيْقَنُ أن المسئول يستطيعه. وهذا أسلوب شائع جار. والقراءة الأخرى معناها: أتبلغ منزلتك عنده تعالى أن يفعل؟ أي إذا سألتَ أنتَ؟ (وفيها دفع خفي منهم ليسأل) والمعلوم أن دعاء الأنبياء مستجاب. فالقراءتان تدوران على معنى التلطف في سؤال الله تعالى إنزال مائدة من السماء سؤالاً منهم على القراءة الأولى، ومن عيسى –عليه السلام– على القراءة الثانية. فالقراءتان ملتقيتان. ينظر في بعض ذلك التحرير ٧/ ١٠٦ والبحر ٤/ ٥٧).

سوة الأنعام:

٣٠ – ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ (لا يُكْذِبونك): القراءتان (بفتح الكاف وتشديد الذال، وبإسكان الكاف وكسر الذال غير مشددة وياء المضارعة مضمومة فيهما) تلتقيان على معنى أن تكذيبهم –في هذا السياق– غير موجه إلى النبي ﷺ، فهو ﷺ كان معروفاً فيهم بالصدق، وإنما هو موجَّه إلى آيات الله جحداً لها مهما عظُمَتْ.

٣١ – ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يَقْضِ

الحق): القراءة الأولى يَقُصُّ بالصاد المهملة هي من القَصص: الاتّباع. وقَصُّ الحق هو اتباع الحق، أي تحَرّيه وإجراؤه عند الحكم في الأمر. وهذه العبارات التي قلناها في التفسير (اتباع، تحَرِّى، إجراء) لا تناسب الكلام عن جناب المولى -عز وجل-، ولكنا نذكرها تفسيراً لنفهم نحن البشر، كما ذكر المولى -عز وجل- أصلَها مخاطبة لنا على قدر عقولنا، وليذلل سبحانه نفوسنا لاتباع الحق وقَفْوِه. والقراءة الأخرى (يَقْض الحق): التعبير فيها معتاد. وخلاصة المعنى في القراءتين أن الله -عز وجل- يقضي بالحق. وهذا تقرير لأمر عَقَدى، أي لا يتحمل ما تتحمله الأخبار من تصديق وتكذيب. فتسرب معنى التكذيب إلى هذا التقرير ينقل صاحبه إلى فريق الكفار، والعياذ بالله. (ينظر أبو السعود ٣/ ١٤٢، البحر ٤/ ١٤٦، والتحرير ٧/ ٢٦٨).

٣٢ - ﴿ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ [٩٤] (لقد تقطع بينكم): كلمة (بين) هي للمسافة التي تفصل مكانَىْ الشيئين، فهي تُعامَل ظرف مكان، كما يقال وقفت أمامَه، وتُعامَل على أصلها اسماً لتلك المسافة كما يقال أمامُك ماءٌ، وخلفُك حجارة. فعلى ظرفيه (بين) (لقد تقطع بينكم) يَئُول المعنى إلى «لم يبق اتصالٌ بينكم وبين ما كنتم تزعمون أنهم شركاءُ فعبدتموهم» (البحر ٤/ ١٨٦). وعلى القراءة بالرفع تكون (بين) اسماً للوُصْلة التي كانت بينهم، وتكون الآية أخبرت بتقطع هذه الوُصْلة. فالمراد بالقراءتين واحد، والحمد لله (ينظر البحر ٤/ ١٨٦، والتحرير ٧/ ٣٨٦).

٣٣ - ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [١١٥] (لَكِلمتَه): الكَلِمَة والكلمات مراد بكل منهما القرآن: فعلى الإفراد باعتبار أنه

كتاب من عند الله فهو من كلامه وقوله. والعرب يطلقون (الكلمة) على الخطبة الجامعة وعلى القصيدة العظيمة الطُول كالمعلقات فيقال (كلمة) زهير أو النابغة يعنون المعلقة. وقد أطلق القرآن الكريم الكلمات على الكتب السماوية ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ [الأعراف ١٥٨] أي كتبه. وعلى الجمع فالأمر واضح. فإطلاقها على القرآن باعتبار ما يشتمل عليه من الجمل والآيات، أو باعتبار أنواع أغراضه من أمر ونهي وإنذار إلخ، أو باعتبار موضوعاته التي تناولها... قصص الأنبياء والتعاليم كالميراث، وأحكام الأسرة والحدود الخ. فالتقت القراءتان على أن المراد بالكلمة وبالكلمات واحد هو القرآن الكريم (ينظر التحرير ٩/ ١٨).

٣٤ - ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾[١١٩] (لَيَضِلُّون): القراءة بضم ياء يُضِلون تعني أنهم يُضللون غيرهم. والجاري العامّ هو أن مَنْ يفعل ذلك هو ضالّ في نفسه، لأنه هو متبع لهواه بغير علم أصلاً. والقراءة بفتح الياء معناها أنه هو ضَالّ. والواقع الجاري أيضاً أن الضالّ في باب الديانات لا يستريح إلا إذا أضل غيره استجابة لحاجة في نفسه أن يكون معه مثله ﴿ وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء ٨٩] فالتقى معنيا القراءتين على أن أولئك الكثيرين ضالُّون مُضِلون».

٣٥ - ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ﴾ [١٥٩] (فارَقوا): تفريق الدِين هو تفريق أصوله. فإن كانت الآية في أهل الكتابين فالمراد اختلافهم حيث بعّضوه وتَمَسَّكَ بكل بعضٍ منه فِرقةٌ (أبو السعود) ٣/ ٢٠٦)

ومن أمثلتها في أمة محمد ﷺ الذين جحدوا الزكاة -بعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى -فقال أبو بكر- رضي الله عنه- لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة. (التحرير ٨/ ١٩٤) وفي العصر الحديث أثير أمر الحدود والجِزْية في سياق استنكارها. ولا شك أن جَحْد ما هو مجمع عليه من أركان الدين هو مفارقة للدين أي كفر. وبذا يلتقي معنى (فَرَّقوا) مع معنى (فارقوا) الذي هو صريح في المفارقة بمعنى التخلي والترك إلى دين آخر أو إلى غير دين. فالقراءتان ملتقيتان (وكذا يقال في آية الروم ٣٢).

سورة الأعراف:

٣٦ - ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [٥٧] (نُشْرا): المراد بالقراءة الأولى أن الله تعالى يجعل الرياح مبشرة بقدوم الرحمة وهي المطر ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (الأنبياء ٣٠)، وهذا وإن كان أكثر وضوحاً في الصحراء، لكون المطر هو المصدر الأظهر للماء، فهو حقيقي عند الإطلاق أيضاً، لأن ماء الأنهار هو من المطر أيضاً. وعلى القراءة الثانية فإن (نُشْراً) جمع نَشُور أي أن الرياح «تنشر السحاب أي تبثه وتكثره في الجو. تجئ مرة من الجنوب ومرة من الشَمال وتتفرق في الجهات حتى ينشأ بها السحاب ويتعدد سحابات مبثوثة» (التحرير ٨/ ١٧٩). والسُحُب تحمل ماء المطر، فالرياح الممتن بها مقرونةٌ بالمطر: مبشرةٌ به حسب القراءة الأولى، وجالبةٌ له حسب القراءة الثانية. فالتقت القراءتان. (وكذلك ما في الفرقان ٤٨ والنمل ٦٣).

٣٧ - ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ [١٤١] (وإذ أنجاكم): السياق

في قصة موسى -عليه السلام- وقولهم لموسى في الآيات السابقة- لما أَتَوْا على قوم يعكفون على أصنام لهم أي يؤدون لها طقوس عبادة: (اجْعل لنا إلاها كما لهم آلهة)، فجهَّلَهم موسى وقال لهم، تفنيداً لعبادة الأصنام: (إنّ هؤلاء مُتَبَّرٌ ما هُمْ فيه وبَاطل ما كانوا يعملون). ثم قال تذكيراً لهم بنعم الله ومعجزاته ﴿ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَـٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ ثم قال ﴿ وَإِذْ أَنجَيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ أي اذكروا إذ أنجاكم الله. وهذا حسب القراءة الثانية، وهي متسقة مع السياق بلا حاجة إلى تأويل. وأما على القراءة الأولى (أنجيناكم) فإن موسى هو رسول الله إليهم، أي المتحدث باسم الله إليهم، فهو الممثل لجانب عبادة الله -عز وجل-، وهو يتحدث باسم هذا الجانب. فقال (أنجيناكم) أي أنتم إنما أُنْجِيتُم بإتباع هذا الجانب الذي أنا أتحدث باسمه. والمُنْجِى في كل الحالات هو الله - عز وجل- وليس لموسى -عليه السلام- إلا الدعاء والاستغاثة بالله - عز وجل، فليس بين المراد بالقراءتين فرق في حقيقة الذي أنجاهم. وقد قلنا في اختلاف القراءات اختلافاً غير لهجي كهذا إنه روايات صحت عن النبي ﷺ فوُزِّعَت على المصاحف العثمانية.

٣٨ - ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ [١٧٢] (ذرياتهم): الذرية اسم جمع لما يتولد من الإنسان، ولما يتولد مما يتولد منه، هكذا إلى ما شاء الله. فلفظ الذرية بالإفراد يشمل كل ما يتناسل من الأصل، (أولاد كل من الأبناء والبنات ذرية، وكذلك أولاد كل من أولاد الأبناء وأولاد البنات ذرية- كما احتج لذلك بكون مريم من ذرية نوح (ينظر آيات آل عمران ٣٣ -٣٥، مريم ٤١ -٥٨). ويكون الجمع لتعدد أنواع التفرع.

فالتقى قراءتا الجمع والإفراد. وقد عَرَض (التحرير والتنوير ٩/ ١٦٦) لكون الآية لم تَذْكر الذرية المخرَجين من ظهر آدم نفسه عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، فذكر أن هؤلاء مشمولون بدلالة الفحوى أي (من باب أولى).

٣٩ - ﴿ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَـٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ ﴾ ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَـٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾ [١٩٠] (جعلا له شِرْكاً): (شركاء جمع شريك والمقصود الأصنام. والمفعول الثاني لفعل (جعلا) محذوف للعلم به أي جعلا له الأصنام شركاء، وقراءة شِرْكاً معناها «اشتراكا مع الله (أي بعبادة الأصنام) والقراءتان متحدتا المعنى» (التحرير ٩/ ٢١٤- ٢١٥).

سورة التوبة:

٤٠ - ﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ ﴾ [١٢] (لا إيمان لهم): القراءة بفتح همزة (أَيمان) التي في آخر الآية في سياق النَفْى: نَفْى للماهية الحق لليمين، وهي قَصْد تعظيم (المحلوف عليه) والوفاء بما حلف به من أجله. فلما لم يُوفوا بأيمانهم نُزِّلَت أَيمانُهم منزلَة العدم، لفقدان أخص خواصها، وهو العمل بما اقتضته (التحرير جـ١٠/ ١٣٠). وقراءة (لا إيمان لهم) بكسر الهمزة تلتقي مع القراءة الأولى، لأن من لا إيمان له لا أَيمان ولا عَهْد له، لانتفاء الوازع». (التحرير ١٠/ ١٣٠) فإذا حلف بالله من لا يؤمن بالله فلا قيمة ليمينه، لأنه لا تعظيم في قلبه للمحلوف به عزّ وجَلّ، فكيف يراعي حرمة اليمين به؟! فالتقت القراءتان.

٤١ - ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ﴾ [١٧] (مَسْجِد الله): فَسَّر الطاهر (في التحرير جـ ١٠/ ١٤٠) القراءة الأولى (مساجد) بأنها مواضع العبادة بالسجود والركوع، والمراد المسجد الحرام وما يتبعه من المسعى، وعَرَفة، والمشعر الحرام، والجمرات، والمنحر من منى» اهـ وذِكْرُ الأَخِيرَيْن سَهْو منه لأنه لا صلاة فيهما. وقراءة (مَسْجد الله) بالإفراد تعم كل مسجد لله، وأوَّلها المسجدُ الحرام، و(مساجد الله) أولها المسجد الحرام أيضاً (ينظر البحر ٥/ ٢٠). وعمارة المساجد تكون بالصلاة فيها، وقيل رَفْعُ بنائها ورَمُّها، وقيل التعبدُ فيها (بحر ٥/ ٢٠). (أي بأي صورة ولو بغير صلاة) والمشركون لا يؤمنون بالله حقَّ الإيمان، وهو الإيمان به وحده لا شريك له. فلا حَظَّ لهم في عمارة مساجد الله، ولا يتأتي لهم أن يعمروا مساجده.

٤٢ - ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [١٩] (سُقاة الحاج وعَمَرَةَ المسجد الحرام) سقاية الحاج هي تقديم الماء المحلي بالزبيب إلى الحجاج. وعمارة المسجد الحرام المقصود بها هنا السدانة، وهي الحجابة. (الرعاية للمبنى وحَرَمِه والتحكم في باب البيت الكريم) وقد ذكر الطاهر أن الإيمان بالله غير داخل في الموازنة هنا، وأن الموازنة إنما هي بين الجهاد من ناحية وسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام من ناحية أخرى (التحرير ١٠/ ١٤٥ -١٤٦) المهم أن القراءة الأولى تجعل الموازنة بين الفعل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام) وبين المؤمنين المجاهدين. فتؤول إلى: ذوي السقاية إلخ والمؤمنين. والقراءة الأخرى توازن بين ذوي السقاية إلخ وذوي الإيمان، فتلتقي القراءتان. (وانظر عن الاحتباك هنا التحرير ١٠/ ١٤٦).

٤٣ - ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [٣٧] (يَضِلُّ) القراءتان متقاربتان جداً فخلاصة القراءتين أن الكافرين يزدادون كفرا بالنسء، ويزيدون به زَيْغاً عن سبيل الرَشَد، سواء نُسِبَتْ الإزاغة -حسب مقتضى القراءة الأولى بالمبنى للمجهول- إلى الذين كانوا يزينون لهم ذلك بطول مدة الأشهر الحرم الثلاثة التي يتوقفون فيها عن الإغارات والعُدْوان بسبب كونها أشهراً حُرُماً -وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، أو كان الزيغ متولِّداً عندهم من أنفسهم- حسب القراءة الثانية- أي أن أنفسَهم زَيَّنت لهم ذلك ولم ياتهم تزيين الزيغ من غيرهم- بسبب طول مدة الأشهر الحرم عليهم. فالقراءتان متفقتان في كونهم واَقِعين في الضلال.

٤٤ - ﴿ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ ﴾ (٩٠) (المُعْذِرون) القراءة الأولى تعني الذين يبدون أعذارهم وهم المُعْتَذِرون، وهؤلاء الذين يبدون أعذاراً تحتمل الصيغة أن تكون لهم أعذارٌ حقيقية فيكون اعتذارهم صادقاً، وأن يكونوا خالين من الأعذار الحقيقية وهم كاذبون في ادعائهم الأعذار. لكن السياق -أعني قوله تعالى بعد ذلك مباشرة (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) يقضي (بنسبة عظيمة) بأن المراد أنهم أصحاب أعذار حقيقية. والقراءة الأخرى (المُعْذِرون) معناها أصحاب الأعذار -أي أصحاب الأعذار حقيقة. وبذا يلتقي معنيا القراءتين. (ينظر البحر ٥/ ٨٦. وفيه كلامٌ عن قراءة لَمسْلَمة غيرُ محكم، والتحرير جـ ١٠/ ٢٩٢).

٤٥ - ﴿ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١١٠) (إلى أن تَقَطّع قلوبُهم): القراءة الأولى (إلا أن تقطع قلوبهم) قال عنها

الطاهر «استثناء تهكمي، وهو من قبيل استثناء الشيء بما يشبه ضده كقوله تعالى ﴿ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ ﴾ [الأعراف ٤٠] أي يبقى ريبة (في قلوبهم) أبداً إلا أن تَقَطّع قلوبهم منهم وما هي بمُقَطَّعة. ا هـ (التحرير ١١/ ٣٦) وفي البحر ٥/ ١٠٤ -١٠٥) قول خلاصته أن تقطع القلوب كنايةٌ عن الأَسَف والندامة توبةً صادقة. وأقول إن هذا أشبهُ برحمة الله عز وجل. والقراءتان تلتقيان على تقطع القلوب إما حقيقة بالموت ونحوه، أو يكون التقطع كناية عن التوبة. والاستثناء في القراءة الأولى بمعنى الغاية- على الحقيقة والمجاز أيضاً، فيلتقي مع القراءة بإلى، لأنها للغاية.

٤٦ - ﴿ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَ ﴾ (١١١) (فيُقْتلون ويَقْتلون): قال أبو حيان: (البحر ٥/ ١٠٦): و«المعنى واحد، إذ الغرض أن المؤمنين يقاتِلون... فمنهم من يُقْتل، ومنهم من يَقْتُل، ومنهم من يجتمع له الأمران، ومنهم من لا يقع له واحد منهما، بل تحصل منهم المقاتلة» (فحسب). فالقراءتان ملتقيتان في أن شأن جماعة المسلمين المجاهدين أن يقاتِلوا، فمنهم من يُسْتَشْهَد قبل أن يقتل أحدا. إلخ عبارة أبي حيان. فالتقديم والتأخير بحسب الحالات لا بحسب منطقية تقدم القاتلية على المقتولية أو العكس. فالتقت القراءتان.

سورة يونس:

٤٧ - ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ ﴾ (٢٢) (ينشركم): القراءة الأولى (يُسَيّركم) والسير معروف وهو الانتقال من مكان إلى مكان بالمشي ونحوه.

فالتسيير تمكين من السير وإقدار عليه وإيقاع له حقيقة، ويلزمه الإبعاد أو الابتعاد هنا وهنا. (وينشركم) من النشر البث وهو تفريقٌ هنا وهنا، وذلك أيضاً بتمكين الله وإقداره وإيقاعه هذا الانتشار والتباعد منهم: فالقراءتان ملتقيتان معنى. (ينظر البحر ٥/ ١٤١، والتحرير ١١/ ١٣٥ -١٣٦).

٤٨ - ﴿ هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ ﴾ (٣٠) (هنالك تتلو): القراءة الأولى (تبلو) خلاصة معناها: تَعْلم. ففي (البحر ٥/ ١٥٥) تبلو أي تختبر ما أسلفت من العمل، فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن، أنافع أم ضار، أمقبول أم مردود، كما يتعرف الرجل الشيء باختباره. ويلزم ذلك الجزاء وذوق ما شاء الله منه. والقراءة الأخيرة (تتلو) معناها: تتبع وتطلب ما أسلفت من أعمالها (لترى مصيرها)» فهي أيضاً خلاصتها معرفة الأعمال ثم ذوق ثمرتها، لأن معرفة الأعمال في (تبلو) والوقوف عليها في (تتلو) ليست للمذاكرة. وهذا المعنى مذكور في (التحرير جـ ١١/ ١٥٣). أيضاً. فالقراءتان ملتقيتان في المعنى.

سورة يوسف:

٤٩ - ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ (١٢) (نَرْتَعِي ونلعب): في (التحرير ١٢/ ٢٢٨- ٢٢٩) أن الأُولى (بكسر عين (نرتعِ) وحرف المضارعة ياء أو نون) مضارع ارْتَعَى)، وهو افتعال من الرَعْى للمبالغة فيه. وهو حقيقة في أكل المواشي والبهائم، واستعير في كلامهم للأكل الكثير، لأن الناس إذا خرجوا إلى الرياض والأرياف للَّعِب والسبق تقوى شهوة الأكل فيهم... وإنما ذكروا ذلك لأنه يَسُرّ أباهم أن يكونوا فرحين. وعلى القراءة الثانية (سكون عين نرتْعْ وحرف

المضارعة ياء أو نون) مضارع (رتع) إذا أقام في خِصْب وسَعَة من الطعام. وهو مستعار (أيضاً) من رَتَعَت الدابةُ إذا أكلت في المرعى حتى شَبِعت. فمفاد المعنى (في القراءتين) واحد» ا هـ.

٥٠ – ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ بفتح اللام (٢٤) (المخلِصين) بكسر اللام: قال في (التحرير ١٢/ ٢٥٥) في قراءة فتح اللام «أي الذين أخصلهم الله واصطفاهم». وفي قراءة كسر اللام «أي المخلِصين دينهم لله. ومعنى التعليل على القراءتين واحد» ا هـ. فالمخلَص المصطفَى لا يكون إلا مُخْلِصًا، قلبُه سليم لله ولدينه، والمخلِص لله في عبادته وأعماله هو من أحرى عباد الله بالقرب منه سبحانه. فكل من القراءتين تؤدي إلى معنى القراءة الأخرى. وما قيل عن المخلَصين والمخلِصين هنا يقال عنهما في (الحجر ٣٣، مريم ١٥ إلخ).

٥١ - ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا ﴾ (١١٠) (قد كُذِّبوا): القراءة الأولى معناها: وظنّ المرسَلُ إليهم أن الرسلَ قد كَذَبُوا عليهم في ما ادّعَوْه من النبوّة، وفي ما أَوْعَدُوا به مَنْ لم يؤمن مِن العذاب. والقراءة الثانية معناها: وظن الرسُلُ أن الذين آمنوا من أقوامهم كذّبوهم لمّا استبطئوا نزول العذاب الذي كان الرسُلُ أَوْعَدوُا به مَن لَمْ يؤمن. ولا يخفي أن المعنى واحد تقريباً وهو الظن بـأن أقوام الرسل كَذّبوهم. إلا أن الظن واقع من المرسل إليهم على القراءة الأولى، ومن الرُسُلِ على القراءة الثانية (وينظر البحر ٥/ ٣٤٧).



سورة إبراهيم:

٥٢ – ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (٣٠) (لِيَضِلُّوا): القراءة الأولى معناها ليُضلّوا غيرهم. ولا شك أنهم هم في ضلال مبين ما داموا قد جعلوا لله أنداداً. سواء أضَلُّوا غيرهم أم لم يُضِلُّوا. والقراءة الثانية تقصر الضلال على أنفُسهم، وهو الجزء اللازم من معنى القراءة الأولى. أما الإضلال فهو كاللازم للجزء المشترك بين القراءتين، لأن دأب الكفار أن يحاولوا إضلالَ غيرهم (ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء). (النساء ٨٩). فالقراءتان ملتقيتان.

سورة النحل:

٥٣ – ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٦٢) (مُفْرِطُون) كلا القراءتين من (أفرط) بمعنى تَقَدَّم إلى الشيء. والمعنى متقدمون في المعاصي متجاوزون الحد فيها، أو متقدمون إلى النار مبالغون في الأخذ منها مسرِعُون إليها استعارة تهكمية، على القراءة الأولى أو مسرَعٌ بهم إليها على القراءة الثانية. فالمعنى المراد في القراءتين واحد أو كالواحد (ينظر البحر ٥/ ٤٩٠-٤٩١، التحرير جـ ١٤/ ١٩٣).

سورة الإسراء:

٥٤ – ﴿ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ ﴾ (٦٩) (من الرِياح) القراءة بالإفراد (الريح) اسم جنس. فهو يصلح للجمع، فيلتقي مع قراءة (الرياح). وكذلك الأمر في مثل هذا في (الكهف ٤٥، الأنبياء ٨١، الحج ٣١ الخ).

٥٥ – ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴿٩٣﴾ ﴾ (٩٣) (قال سبحان ربي): القراءة الأولى (قُلْ) أَمْر بما يقوله جواباً تعجيبيًّا من اقتراحاتهم وطلباتهم التي لا يقدر عليها إلا إلاه هو الله –عز وجل– بأن يقول: سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً. والقراءة الثانية بصيغة الماضي (قال) هي أيضاً الجواب عن اقتراحاتهم وطلباتهم على طريقة الالتفات. فكلا القراءتين تعبير عما واجه به النبي ﷺ طلباتهم ومسائلهم. أي أن كلا القراءتين داخلة على مقول. وكذا الأمر في كل ما ترددت فيه القراءة بين (قال)، (قل) مثل ما في سورة (المؤمنون ١١٤).

سورة الكهف:

٥٦ – ﴿ لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿٩٣﴾ ﴾ (٩٣) (يُفْقِهُون): معنى القراءة الأولى «أنهم لا يفهمون شيئاً من كلام غيرهم، فلغتهم مخالفة للغات الأمم المعروفة بحيث لا يعرفها (ذو القرنين ولا تراجمة ذي القرنين...) فلا يوجد من يستطيع إفهامهم مراد الملك. والقراءة الأخرى معناها أنهم لا يستطيعون إفهام غيرهم قولهم. والمعنيان متلازمان» (التحرير ١٦/ ٣٢)، لأن من لغته غريبة عن لغات غيره: لا يَفْهَم هو قول غيره، ولا يستطيع هو أن يُفْهِم الآخرين قوله. فالقراءتان ملتقيتان.

سورة طه:

٥٧ – ﴿ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا ﴾ (٨٧) (بِمُلكنا): في (البحر ٦/ ٢٤٩) أن القراءتين قد تكونان مع غيرهما مجرد لغات بمعنى واحد، ومن قال بالفرق قال إن معنييهما يئولان إلى تَنَصُّل القوم من القدرة والسلطان فيما وقع من

عبادتهم العجل، فإنما وقع ذلك بنظر أَدَّى إليه ما فعل السامريُّ، أو بأن غلبتنا أنفسنا (أي بتزيين السامري أيضاً) فوقعنا في ذلك. فهم يعترفون بالخطأ. وبأن السامري غَرَّهم بحِيَله. (وانظر أيضاً التحرير ١٦/ ٢٨٤).

٥٨ - ﴿ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴾ (٩٧) (لَنَحرُقنه) القراءتان تعنيان بَرْدَ العجل الذهبي بالمِبْرد. فهما ملتقيتان على هذا. أما على تفسير القراءة الأولى بالإحراق بالنار فالتقاؤهما أن المعنى فيهما إزالة تماسك مادة ذلك العجل الذهبي إذابة على القراءة الأولى، وبَرْداً وتفتيتا على القراءة الثانية. والتفتيت والإذابة من باب واحد، لأن كليهما يحول الشيء إلى مادة رقيقة.

سورة الأنبياء:

٥٩ - ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ (٣٠) (أَلَمْ يَرَ): القراءة بالواو (أو لم) قال عنها الطاهر إنها عطف «للاستدلال على الخلق الثاني بالخلق الأول وما (كان) فيه من العجائب». (التحرير ١٧/ ٥٢) وهذا الكلام غير بين. وإنما السورة من بدايتها تَدَفُّقٌ في الإنذار، ومواجهة مواقف الكفار (أي صُدُودهم عن رسل الله إليهم) بالمناقشة والتفنيد، مع مزج ذلك كله بعرض تجليات عظمة المَوْلى -عز وجل- في الخَلْق، وبالدعوة إلى دينه، وبالتهديد والتحدي أن يأتوا ببراهين إن كان عندهم براهين على عقائدهم ومقولاتهم الفاسدة. ثم جاءت الآية (أو لم ير) بالواو عطفاً على ما سبق من تجليات الخلق، وبغير الواو سرداً وموالاة لتلك التجليات، وهذا سائغ في العربية. وكل من القراءتين ثابتة بالرواية الصحيحة، فوزعتا على المصاحف العثمانية (ينظر: التحرير).

سورة المؤمنون:

٦٠ - ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ ﴾ (٨، ٩) (لأمانتهم... على صلاتهم): المفرد هنا يصدق على كل ما هو أمانة، وكل ما هو صلاة، فهو بمعنى الجنس يصدق على الجمع. والمراد على القراءتين كل أمانة وكل صلاة.

٦١ - وكذلك الأمر في قوله تعالى ﴿ فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ﴾ (١٤) (عَظْماً.. العَظْمَ): المفرد اسم للجنس فيصدق على كل عظم فهو كالجمع، ومعنى القراءتين واحد.

٦٢ - ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَـٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا ﴾ (٢١) (نَسقيكم): نُسقيكم بضم النون من أَسْقاه، وبفتح النون من سَقاه، يقال سَقاه وأسقاه بمعنًى «أي واحد» (التحرير ١٨/ ٤٠) لكن هناكَ من قال إن سَقاه معناه في الأصل رفع له الكوب إلى فمه ليشرب منه، وإن أَسْقاه معناها في الأصل جعل له سُقْيا، بأن أَعَدّ له ما يشربه أو يشرب منه إذا احتاج، ولا يخفي أن المعنيين ملتقيان، فكلاهما تزويد وإعداد لما يُشْرَب أي جَعْلُ الشُّرْب متاحاً له. وهذا واضح، وقراءة أبي جعفر بالتاء بدل النون واضحة في أنها إتاحة للشرب كالقراءتين.

٦٣ - ﴿ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۝ ﴾ (٨٢) (إذا.. إنا/ أئذا.. إنا): القراءات الثلاث استفهام. وعلى القراءة الأولى الاستفهام في (أئنا) تأكيد للاستفهام في (أئذا)، وعلى القراءة الثانية الاستفهام مقدّر في جملة

(إنا)، وعلى القراءة الثالثة وجود همزة الاستفهام داخلة على الشرط كاف في إفادة الاستفهام في جوابه (التحرير ١٨/ ١٠٧). فالقراءات الثلاثة ملتقية في المعنى.

٦٤ – ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ ﴾ [٨٦] ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ (٨٧) (سيقولون الله): سيقولون لله «حكاية لجوابهم المتوقع بمعناه لا بلفظه، إذ الجواب حسب اللفظ يقتضي تعيين اسم ذات المسئول عنه وهو (الله)، لكن عُدِل عن ذلك في القراءة الأولى (لإتاحة) التعريض باقتصارهم على الإقرار بأن السموات مُلك لله، لأن ذلك لا يبطل أوهام شركهم من أصلها، إذ هم يعتقدون أن لله شركاءَ: الملائكة. ففي حكاية جوابهم بهذا اللفظ تعريض باعتقادهم هذا. ولذا أنكر عليهم انتفاء اتقائهم في ختام هذه الآية (قل أفلا تتقون). والقراءة بلفظ الجلالة (سيقولون الله) حكاية للجواب المباشر. وهو مآل القراءة الأولى.

٦٥ – ﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٨٨). ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (٨٩) (سيقولون الله...): الكلام هنا مثل الكلام في الآية السابقة وخلاصته أن الرد بـ (لله) يتيح الإشارة إلى اعتقادهم الشرك من حيث إن لام الملكية الداخلة على لفظ الجلالة كأنها لا تعطي القصر التام، فهي تتيح الإشارة إلى شركهم (ينظر في هذا وفي ما قبله: التحرير ١٨/ ١١٠).

سورة الفرقان:

٦٦ – ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾

(١٨) (أن نُتَّخَذ): القراءة الأولى معناها: ما كان يتأتى لنا أن نُوالي غيرك، فأنت ولينا ومولانا وربُّنا لا شريك لك ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [البقرة ٢٥٧] (فكيف ندعو عبادك أن يعبدونا ونحن لا يمكن أن نرتكب أقل من ذلك وهو التفريط في موالاتك). والحصيلة هي: براءة المعبودات من موالاةعابديها، بمعنى رفض المعبودات وإنكارها كل علاقة لها بهم، وأنها ما طَلَبَتْ ولا عَلِمت ولا رَضِيَتْ أن يعبدها المشركون. وعلى القراء الأخيرة (بالبناء للمفعول) تتبرأ المعبودات من الذين عبدوها فتقول المعبودات إننا –حجارة أو نجوماً أو ملائكة أيًا كُنّا– فإننا عباد لله مربوبون ومملوكون له –عز وجل– وهؤلاء الكفار لا يُمَيِّزون، فاتخذونا من جهلهم أرباباً لهم. فهم المسئولون ولا علاقة لنا بهم. وحساب اتخاذهم إيانا شركاء لله هو عليهم وحدهم. فالتقت القراءتان.

سورة الشعراء:

٦٧ – ﴿ قَالُواْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (١٣٦) ﴿ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ (١٣٧) (إن هذا إلا خَلْقُ الأولين): القراءة الأولى (خُلُق) بضمتين معناها: إن الذي نحن عليه وهو المشار إليه المذكور في الآيات ١٢٨–١٣٠ ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ هذا المذكور في الآيات هو خُلُق أَوَّلينا/ طَبْعُ أَوَّلينا/ ما كان عليه آباؤنا وما وجدنا عليه آباءنا. كما قالوا ﴿ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٢] أي لن نترك ما نحن عليه. وأردفوا في تحدٍّ (وما نحن

بمعذَّبين). والقراءة الأخيرة (إن هذا إلا خَلْقُ الأولين) معناها: تأسيس الأولين/ وما أَصَّلوه وجَرَوْا عليه. فهي بمعنى القراءة الأولى، ويجوز أن يكون الخُلُق بمعنى الطَبْع أي ما طُبع عليه الأولون، أي ولن نفارقه. فهي بمعنى القراءة الأولى (وينظر التحرير ١٩/ ١٧١- ١٧٣).

٦٨ - ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ (١٨٧) (كِسْفا): القراءة الأولى جمع كِسْف بمعنى القطعة. والقراءة الثانية قال الزمخشري إنها جمع (أيضاً) مثل قِطْع وسِدْر. (التحرير ١٩/ ١٨٧) فالتقت القراءتان. وكذا القول في (كِسَف) و(كِسْف) حيث قرئ بهما.

سورة الروم:

٦٩ - ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٢٢) (...للعالَمين). القراءة الأولى (بكسر لام عالمين) معناها: لأُولي العلم واقعا، أو لمن يتأتى منهم العلم، والقراءة الأخرى (بفتح لام عالَمين) أي للإنس والجن- وهم سُمُّوا بذلك -أخذاً من العِلْم أيضاً (ينظر البحر/ الكتب العلمية ١/ ١٣٠ مع التعليق رقم ٤) فالقراءتان ملتقيتان على أن تلك الآيات يدركها أُولُو العلم.

سورة سبأ:

٧٠ - ﴿ وَهَلْ نُجَـٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ ﴾ (١٧) (وهل يُجازَى إلا الكفور): قال (في البحر ٧/ ٢٦١) وأكثر ما يستعمل الجزاء في الخير، والمجازاة في الشر، لكن في تقييدهما قد يقع كل واحد منهما موقع الآخر» اهـ والقراءتان معناهما

كالواحد، لأن المُجازِى في كلتيهما هو الله -عز وجل- وقد ذُكِرَ جزاء أهل سبأ في الآية السابقة لهذه (فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العَرِم وبَدَّلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل).

٧١ - ﴿ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ﴾ (١٩) (ربُّنا باعَدَ) القراءة الأولى طلب (دعاء) ومثلها قراءة (ربَّنا بعِّدْ). وكلتاهما من البطر وسوء احتمال النعمة، ولا يتحتم أن يكون الدعاء باللسان. وإنما يمكن أن يكون ذلك إحساساً عامًّا إزاء نعمة القرب والإخلاء من تجشم الأسفار. والقراءة الأخرى شكوى من بعد أسفارهم. فهم في الحالتين مُتْرَفُون، ولا يتحتم أن يكون المطلوب مباعدته، والمشكو من قُرْبِه واحداً فقد يكون الأول الأقارب والثاني المَسَارح أو العكس، لأن البَطِر لا يُرْضيه شيء. فهم على القراءتين بَطِرون ظالمون لأنفسهم.

سورة يس:

٧٢ - ﴿ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ﴾ (٣٥) (وما عملت) قراءتان ثابتتا السند وُزِّعَتا على المصاحف العثمانية والمعنى واحد تماماً، لأن الضمير المذكور في الأولى مقدر في الثانية.

سورة الصافات:

٧٣ - ﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢ ﴾ (١٢) (عجبتُ): القراءة الأولى أُسْند فيها العَجَب إلى المخاطَب وهو النبي ﷺ والمراد «أن حالهم حَرِيّة بالتعجب، كقوله تعالى ﴿ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾

[الرعد ٥] (التحرير جـ ٢٣/ ٩٦). والقراءة الأخرى بضم التاء مسندة إلى الله - عز وجل - وهو سبحانه منزه عن التعجب الحقيقي الذي قوامه المفاجأة بأمر غير مترقب، بل المراد الكناية عن التعجيب، فالكناية أبلغ من التصريح (ينظر التحرير) فالتقت القراءتان على معنى أن حالهم حرية بالتعجب.

٧٤ - ﴿ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴾ (يُنْزِفون): القراءة الأولى (بالبناء للمفعول) يقال نُزِف الشاربُ فهو منزوف ونَزِيف: ذهب عقله بسبب شرب الخمر، والقراءة الأخيرة بضم ياء المضارعة وكسر الزاي من أنزف الشارب: إذا ذهب عقله (أيضاً). فالقراءتان بمعنى (ينظر التحرير ٢٣/ ١١٤) وكذا يقال في آية (الواقعة ١٩).

سورة غافر:

٧٥ - ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ (٢٦) (وأن يَظْهَر) القراءتان ثابتتان، ووزعتا على المصاحف العثمانية. والقراءة الأولى (أو أن) للترديد أي لا يخلو سعي موسى عن حصول أحد هذين، وذلك في تقدير فرعون. والقراءة الأخرى (وأن) هي بنفس المعنى لأن ظهور الفساد أو إظهاره يتمثل عندهم في ظهور دعوة موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، وترك دين فرعون، وما فرضه من فساد حقيقي. فالمعنى واحد على القراءتين.

سورة الزخرف:

٧٦ - ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ (١٩) (عند الرحمن): القراءة الأولى (عباد الرحمن) فيها تشريف للملائكة عظيم، وذلك

بجانب معنى العبودية الذي يشترك فيه جميع المخلوقات (إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً) -وذلك التشريف كما قيل في قوله تعالى ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ إنها «إضافة تشريف»، وإنه «لو كان للنبي ﷺ اسم أشرفُ منه لسماه الله به في تلك الحالة» (البحر ٦/ ٦)، (وينظر التحرير ٢٥/ ١٨٣). والقراءة الأخرى (عند الرحمن) العندية فيها «عندية تشريف، أي الذين هم معدودون في حضرة القُدس المقدسة بتقديس الله -عز وجل- فهم يتلقون الأمر من الله بدون وساطة، وهم دائبون على عبادته فهم في حضرة الله -عز وجل- (التحرير ٢٥/ ١٨٢) فالتقت القراءتان على أن العبدية والعندية كلتيهما هنا للتشريف.

٧٧ - ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَـٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ ﴾ (٣٨) (جاءانا): القراءة الأولى (جاءنا) بصيغة المفرد، والضمير المستتر في (قال) عائد إلى (من يعشو عن ذكر الرحمان) أي قال أحدهما وهو الذي يعشو موجهاً كلامه إلى قرينه الذي جاء معه أيضاً، بدليل مخاطبة صاحبه له. والقراءة الأخرى (جاءانا) بألف ضمير المثنى عائداً على من يعشو عن ذكر الرحمن وقرينه أي شيطانه. فالجائي كلاهما على القراءتين وأفرد ضمير (قال) لرجوعه إلى من يعشو عن ذكر الرحمن خاصة. فالمعنى على القراءتين واحد» (التحرير ٢٥/ ٢١٢-٢١٣ بتصرف في ترتيب العبارة).

سورة الأحقاف:

٧٨ - ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ﴾ (١٥) (كَرها): القراءة الأولى بضم الكاف، والثانية بفتحها والمقام يقضي أن

المراد من الكَره بفتح الكاف هو الكراهة المتمثلة في تعب الحمل وإرهاقه للأم، وكذلك تعب الولادة، وليس المراد الإكراه لا في الحمل ولا في الولادة. ومعنى (الكُره) بالضم هو هذا بعينه: تعب الحمل ومشكلاته الصحية للأم، وكذا تعب الولادة. فالمتاعب الصحية كلها مكروهة. فالمعنى المراد على القراءتين واحد.

سورة محمد ﷺ:

٧٩ – ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝ ﴾ (٤) (قاتلوا) القراءة الأولى (قُتِلوا) بيان بجزاء الشهداء وأن الله لن يضيع أجورهم. والقراءة الأخرى وعد كريم للمجاهدين بأن الله لن يضيع أجرهم. والقراءتان تجتمعان على وعد للمجاهدين بأن الله لن يُضيع أجورهم من عاش منهم مع قتاله ومن استشهد، كما تجتمعان في أن الاستشهاد من لوازم المقاتلة ملازمة توقُّعيّه. فاجتمعت القراءتان.

سورة الحجرات:

٨٠ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (٦) (فتثبتوا) القراءة الأولى (فتبينوا). والتبين تطلب البيان، وهو ظهور حقيقة الأمر، والقراءة الثانية (فتثبتوا) والتثبت: التحري وتطلب الثابت، وهو الصدق. ومآل القراءتين واحد» (التحرير ٢٦/ ٢٣١ –٢٣٢). هو تبين الحقيقة. والقراءتان ثابتتا السند صحيحتاه، فوزعتا على المصاحف.



سورة ق:

٨١ – ﴿ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ۝ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ۝ ﴾ [٣٩] (وإِدبارَ السجود): ذكر الأوقات الثلاثة يقضي أن المراد الصلوات قبل طلوع الشمس (الفجر)، وقبل الغروب (الظهر والعصر)، ومن الليل (المغرب والعشاء)، وقلنا مقتضى السياق، لأن التسبيح بمعنى ذكر الله وقول (سبحان الله) ليس موزعا على الأوقات هكذا. ثم يكون (أدبار السجود) أدبار الصلوات أي بعقبها، وكذلك (إدبار السجود) تحديداً لوقت خاص بالتسبيح وهو هنا بمعنى ذكر الله وقول سبحان الله: عند انقضاء الصلوات والانصراف منها فالتقى معنيا القراءتين. (ينظر التحرير ٢٦/ ٣٢٧-٣٢٨).

سورة الطور:

٨٢ – ﴿ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ (٢١) (وما لِتناهم) القراءة الأولى من ألته يالته (من باب ضرب أو من باب سمع) بمعنى نَقَصه، والقراءة الأخرى من لاته يليته (كباعه يبيعه) وهي أيضاً بمعنى نقصه (البحر ٨) فالقراءتان بمعنى واحد. والقراءتان ثابتتا السند فوزعتا على المصاحف العثمانية.

سورة النجم:

٨٣ – ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ ﴾ (١٢) (أفتَمْرونه) القراءة الأُولى من المماراة المجادلة، والمجادلة يلزمها الجحد والإنكار، بمعنى أن المجادل لا يجادل إلا إذا كان غير مسلِّم بما يقال له، والقراءة الثانية من مَرَاه يمريه إذا جَحَده. فالقراءتان ملتقيتان. وانظر (التحرير ٢٧/ ٩٩-١٠٠).

سورة الرحمن:

٨٤ – ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾ (٧٨) (ذو الجلال) على القراءة الأولى الوصف للرب في قوله تعالى «اسم ربك»، وعلى القراءة بالرفع الوصف للاسم (اسمُ ربك) لقصد المبالغة في وصفه تعالى بصفة البركة على طريقة الكناية، فإنه إذا كان اسمه قد تبارك فإن ذاته تباركت لا محالة (التحرير ٢٧/ ٢٧٦)، لأن الاسم معبر عن المسمى، فما يحق للمسمى يحق للاسم. وهذا الأسلوب ما زال جارياً في حياتنا عند استعمال الصفة أو اللقب الخاص: المحافظ، الأمير، الرئيس إلخ، فالقراءتان ملتقيتان على وصف ذاته –عز وجل– بالبركة. فكل بركة في الأرض والسماء فهي منه –عز وجل– ولثبوت القراءتين وزعتا على المصاحف.

سورة الحديد:

٨٥ – ﴿ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ (١٠) (وكلٌّ وَعَدَ اللهُ الحسنى) القراءة الأولى بالنصب على أن (كلا) مفعول أول مقدم على فِعْله على طريقة الاشتغال بالضمير المحذوف اختصاراً. والقراءة الثانية (بالرفع) على الابتداء، وهما وجهان في الاشتغال متساويان وثابتان عن العرب، وفي هذه العبارة القرآنية عن رسول الله ﷺ، فوزعتا على المصاحف العثمانية.

سورة المنافقون:

٨٦ – ﴿ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (١٠) (فأصدقَ وأكونَ) القراءة الأولى بجزم (أَكُنْ) عطفاً على

محل فأصدقَ، لأن (لولا) أسلوب تحضيض وهو من باب الطلب، ولولا دخول الفاء في (فأصدق) لجزم في جواب الطلب، فلما دخلت الفاء نُصِب (فأصدق) بأن بعد فاء السببية، ثم صرف النظر عن دخول الفاء فعُدَّ الفعل مجزوماً وعطف عليه (أكن) بالجزم جمعا بين الطلب والسببية، فهو عطف على التوهم. والقراءة الثانية لا غموض فيها، لأن (أكونَ) معطوفة على (أصدقَ) وهذا العطف يأتي معه بمعنى السببية فالقراءة الأخيرة فيها معنى السببية، كما أن الأولى كذلك فالتقت القراءتان. ووزع المرسوم بالروايتين الثابتتين على المصاحف (ينظر البحر/ الفكر ٨/ ٢٧٥، التحرير ٢٩/ ٢٥٤).

سورة التحريم:

٨٧ – ﴿ فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾

(٣) (عَرَف بعضه): القراءة الأولى معناها: عرّف النبي ﷺ زوجه الكريمة أمنا السيدة حفصة بعض ما أفشته من سر زوجها ﷺ «ليوقفها على مخالفتها واجبَ الأدب من حفظ سر زوجها« أي أَعْلَمَ به وأنَّبَ عليه»، والقراءة الأخرى مقصود بها أيضاً لازم المعرفة وهو العتاب أي جازى بالعَتْب واللوم- كما تقول لمن يؤذيك: لأعرفن لك ذلك، أي لأجازينك (البحر/ الفكر ٨/ ٢٩٠، التحرير ٢٨/ ٣٥٣، ٣٥٥).

سورة النازعات:

٨٨ – ﴿ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝ ﴾

(أئنا.. إذا) و(إنا.. أئذا): يلحظ أولا أن المراد –على القراءات الثلاث- واحد.

وهو أن هؤلاء الكفار الذين تحكى الآيتان قولهم ينكرون أشد الإنكار أن يُبْعَثُوا أي يُعادوا إلى الحياة بعد أن بَليت أجسادهم حتى لم يبق منهم إلا عظامٌ نخرة بالية تخترق أثناءها الريح وتتفتت إذا ضُغِطَت أهونَ ضغط.

ثم نلحظ أن إنكارهم مركب، لأنه متوجه إلى أمرين: الأول إنكار البعث أصلا. وهذا هو الذي عبرت عنه الآية الأولى ﴿ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴾ أي عائدون من حيث ذهبنا أي عائدون إلى الحياة مرة أخرى. الأمر الثاني هو إنكارهم أن يقع هذا البعث- على فرض إمكان وقوعه- بعد أن يصيروا عظاماً نخرة. وهم لا يسلمون بأنهم يمكن أن يبعثوا قبل أن يصيروا عظاماً نخرة، وإنما يقصدون تحقيق إنكارهم وتعظيمه من حيث إن الواقع الذي يرونه أن كل من يموت يصير عظاماً نخرة ولابد. والذي يصير إلى هذا تزداد استحالة عودته إلى الحياة مرة أخرى. وهذا مؤدَّى قولهم. ومن هنا يتضح أن كلا من القراءات الثلاث مكون من استفهامين إنكاريين مصرح بهما في القراءة الأولى (أئنا.. أئذا)، ومستغنى عن الثاني بالأول في القراءة الثانية (أئنا.. إذا)، ومستغنى عن الأول بالثاني في القراءة الثالثة (إنا.. أئذا) (ينظر التحرير ٣٠/ ٦٨-٦٩، والقرطبي ١٩/ ١٩٦-١٩٧).

سورة التكوير:

٨٩ - ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴾ (٢٤) (بظنين): الغيب: القرآن وخبر السماء. والقراءة الأولى معناها: لا يَضِن أي لا يبخل عليكم بما يعلم أي لا يكتم ولا يُخفي شيئاً. ومعنى القراءة الأخرى أنه أمين ليس بمتهم لا يخفي أو

يكتم ولا يُغير، فتلتقي القراءتان على معنى عدم الإخفاء والكتمان، ثم إنهما تلتقيان على معنى عدم التغيير أيضاً، لأن من صُوَر الضن الواقعية أن ينفَس الشخص بالشيء أي يضن به فيكتمه ويبذل غيره بدلاً منه. وهذا تغيير مع كون أصله الضن. ومعالجة القراءتين في (البحر/ الفكر/ ٨/ ٤٢٦، والتحرير ٣٠/ ١٦٠- ١٦٣).

سورة الانشقاق:

٩٠ - ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ (١٩) (لتركبَن) بفتح الباء: الآية الكريمة جاءت بعد قوله تعالى مخاطباً الإنسان ﴿ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ ﴾ فالآية جاءت إنذاراً ووعيداً مُقْسَماً على وقوعه بما سيعانون من شدائد الحَوْر الذي ظنوا أنه لنْ يقع: البعث والحشر والحساب ثم الجنة أو النار. والخطاب للناس أي للأمة التي يدعوها سيدنا محمد ﷺ. وضم الباء لضمير الجمع المحذوف لمعنى هذه الأمة المخاطبة. وقراءة الفتح موجهة إلى الإنسان الذي هو مخاطب في أول السورة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ ﴾ والمراد بالإنسان الجنس. وهو الناس أيضاً. فالقراءتان ملتقيتان (ينظر البحر / الفكر/ ٨/ ٤٤٠ والتحرير ٣٠/ ٢٢٩).

* * *

هكذا تبين أن النص الكريم واحد أي هو هو في كل موضع وردت فيه قراءتان أو أكثر، ومن ثم ثبتت يقينية إسناده إلى النبي ﷺ باتفاق القراء العشرة

على روايته عنه ﷺ. وبذا صارت سبل وثاقة إسناده إلى النبي ﷺ ثلاثة: التواتر، وصحة السند، ووحدة النص الكريم المسند إليه ﷺ برواية العشرة، مع استحضار ما نبهنا إليه من أن إسناد النص الكريم من رسول الله ﷺ إلى الله –عز وجل- بالوحي ثابت بإعجازه أي إعجاز النص الكريم البشرَ عن أن يأتوا بمثل أقصر سورة من سوره.



٤

معارضة جبريل النبيَّ ﷺ بالقرآن

وماذا كان يقع فيها

(أ) جاء في صحيح البخاري[1] «عن عائشة عن فاطمة عليهما السلام: أسر إليّ النبي ﷺ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة، وإنه عارضني العامَ مرتين، ولا أُراهُ إلا حَضَر أجلي».

(ب)وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وأجود ما يكون في شهر رمضان، لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله ﷺ القرآن، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة».

(ج)وعن أبي هريرة قال كان يَعْرِض على النبي ﷺ القرآنَ كل عام مَرّةً فعَرَضَ عليه مرتين في العام الذي قُبِضَ...».

معنى هذه المعارضة أن كلا من سيدنا جبريل ومولانا رسول الله عليهما صلاة الله وسلامه كان يَعِرض القرآن، أي يقرؤه أمام صاحبه. فتارة كان النبي ﷺ يقرأ وجبريل –عليه السلام– يستمع– وهذا صريح في حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وتارة كان جبريل –عليه السلام– يقرأ والنبي ﷺ يستمع–

---

(١) كتاب فضائل القرآن باب ٧ رقم ٤٩٩٧ (أميرية ٦/ ١٨٦).

وهذا كالصريح في حديث أبي هريرة. والمعنيان معاً تكفلت بهما صيغة (المعارضة) - بما تعبر عنه من معنى المشاركة - في حديث سيدتنا الكريمة فاطمة الذي روته عنها أمنا الكريمة السيدة عائشة عليهما سلام الله ورحمته وبركاته.

وإلى هنا والأمر واضح إنما الغموض والسؤال هو عن الغرض من هذه المعارضة.

وسأعرض هنا إن شاء الله تعالى أقوال من تَسنَّى معرفة قوله من العلماء.

١ - قول التابعي الجليل عامر بن شراحيل الشعبي:

روى أبو عبيد أن داود بن أبي هند قال للشعبي: قوله تعالى (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن) [البقرة ١٨٥]: أَمَا نَزَل عليه القرآن إلا في شهر رمضان؟ قال: بلى، ولكن جبريل كان يعارض محمداً -بما ينزل عليه سائر السنة في شهر رمضان. زاد الثعلبي في تفسيره:

-فيُحْكم الله ما يشاء.

-ويُثبت ما يشاء.

-ويمحو ما يشاء.

-وينسيه ما يشاء».

وزاد غير الثعلبي: فلما كان في العام الذي قبض فيه عرضه عرضتين فاستقر ما نُسخ منه وما بُدِّل»[١].

٢ - قول أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) (من حيث إن ... إيراده قولاً اقتصر عليه يعني أنه يتبناه).

---

(١) المرشد الوجيز ٢١-٢٢.

(نَعُدُّ الرواية السابقة قولاً لأبي عبيد أيضاً)، وقد أشار إليها أبو شامة في موضع آخر[1] وأضاف أبو شامة:-

وكأنه نُزِّلَ عرضُه وإحكامُه في رمضان من كل سنة منزلة إنزالِه فيه، مع أنه قد لا ينفك من:

- إحداث إنزال ما لم يَنْزل.
- أو تغيير بعض ما نَزَل بنسخ،
- أو إباحة تغيير بعض ألفاظه. على ما سيأتي.

٣ – وقال أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في ما يعد بياناً لغرض هذه المعارضة.

- فيحدث الله إليه من ذلك ما يشاء»..
- وينسخ ما يشاء».
- وييسر على عباده ما يشاء»[2]. (ثم ذكر من التيسير إجازة قراءة العربي بلهجته).

٤ – قول الإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ):

وجاء في جامع البيان في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني.

«ووجه هذا الاختلاف في القراءة أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل عليه الصلاة والسلام في كل عام عَرْضة، فلما كان في العام الذي توفى فيه عرضه عليه عرضتين.

---

(١) ص٦٩.

(٢) (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة تحـ السيد صقر ص٣٨-٣٩.

-فكان جبريل عليه الصلاة والسلام يأخذ عليه في كل عرضة بوجه وقراءة من هذه الأوجه والقراءات المختلفة.

ولذلك قال ﷺ إن القرآن أنزل عليها، وإنها كلها شاف كاف، وأباح للأمة القراءة بها شاءت منها، مع الإيمان بجميعها والإقرار بكلها»[1].

٥ - قول الإمام (الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ):

«أظهر الأقاويل وأصحها وأشبهها بظاهر الحديث (حديث الأحرف السبعة) أن المراد من هذه الحروف اللغات، وهو أن يقرأ كلُّ قوم من العرب بلغتهم وما جرت عليه عادتهم من الإدغام والإظهار والإمالة والتفخيم والإشمام والإتمام والهمز والتليين وغير ذلك من وجوه اللغات إلى سبعة أوجه منها في الكلمة الواحدة»...[2].

ثم قال «ولا يكون هذا الاختلاف داخلاً تحت قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾ [النساء: ٨٢]، إذ ليس معنى هذه الحروف أن يقرأ كل فريق بما شاء مما يوافق لغته من غير توقيف، بل كل هذه الحروف منصوصة، وكلها كلام الله عز وجل نزل بها الروح الأمين على النبي ﷺ يدل عليه قوله ﷺ «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» فجعل الأحرف كلها منزلة. وكان رسول الله ﷺ يعارض جبريل -عليه السلام- في كل شهر رمضان بما يجتمع عنده من القرآن:

-يحدث الله فيه ما يشاء».

---

(١) جامع البيان للداني تح الطرهوني وصاحبه ١/ ١١٥.

(٢) ينظر (شرح السنة) للإمام الحسين بن مسعود البغوي ت ٥١٦هـ تحـ (شعيب الأرناؤط ومحمد زهير الشاويش ٤/ ٥٠٧-٥٠٨هـ ط دار المكتب الإسلامي ط١/ ١٤٠٠هـ ط٢/ ١٤٠٣هـ.

-وينسخ ما يشاء.

- وكان يعرض عليه في كل عرضة وجهاً من الوجوه التي أباح الله له أن يقرأ القرآن بها، وكان يجوز لرسول الله ﷺ بأمر الله تعالى أن يقرأ ويقرئ بجميع ذلك، وهي كلها متفقة المعاني وإن اختلف بعض حروفها»[1].

٦ – الإمام أبو محمد عبد الحق بن عطية (ت٥٤١هـ/ ٥٤٦هـ) في تفسيره (المحرر الوجيز)[2]:

«فأباح الله تعالى لنبيه ﷺ هذه الحروف السبعة.

-وعارضه بها جبريل في عرضاته، على الوجه الذي فيه الإعجاز وجودة الرصف.

-ولم تقع الإباحة في قوله ﷺ (فاقرءوا ما تيسر منه» بأن يكون كل واحد من الصحابة إذا أراد أن يبدل اللفظة من بعض هذه اللغات جعلها من تلقاء نفسه، ولو كان هذا لذهب إعجاز القرآن، وكان مُعَرَّضاً أن يبدَّل هذا وهذا، حتى يكون غير الذي نزل من عند الله[3]، وإنما وقعت الإباحة في الحروف السبعة للنبي ﷺ ليوسع بها على أمته: فقرأ مرة لأبي بما عارضه به جبريل صلوات الله عليهما، ومرة لابن مسعود بما عارضه به أيضاً. وفي صحيح

(١) نفسه ٥٠٩-٥١٠.

(٢) (ط. قطر) ١/ ٤٥-٤٦.

(٣) غاب عن الإمام ابن عطية أن القرآن كان يكتب فور نزوله بإملاء النبي ﷺ في عرائض من العسب واللخاف إلخ. فالمعارضة كانت تقع بهذا الذي كتب، وهو الذي جمعه أبو بكر ونسخه عثمان رضي الله عنهما في سبع مصاحف. فالذي أنزل لم يبدل ولم يذهب إعجازه برخصة الأحرف السبعة.

البخاري عن النبي ﷺ أقرأني جبريل على حرف فراجعته. فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» وعلى هذا تجئ قراءة عمر بن الخطاب لسورة الفرقان، وقراءة هشام بن حكيم لها، وإلا فكيف يستقيم أن يقول النبي ﷺ في كل قراءة منهما، وقد اختلفتا «هكذا أقرأني جبريل»؟ هل ذلك إلا لأنه أقرأه بهذه مرة وبهذه مرة. وعلى هذا يحمل قول أنس بن مالك حين قرأ (إن ناشئة الليل هي أشد وَطْأً وأصوب قيلا) (المزمل ٦) فقيل له: إنما نقرأ (وأقوم) فقال أنس «أقوم وأصوب وأهيأ واحد». فإنما معنى هذه أنها مروية عن النبي ﷺ وإلا فلو كان هذا لأحد من الناس أن يضعه لبطل معنى قول الله عز وجل

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر: ٩].

٧ – وجاء في المرشد الوجيز لأبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٥هـ) (في الكلام عن أن القرآن أنزل من اللوح المحفوظة إلى بيت العزة في السماء الدنيا ليلة القدر، ثم نَجَّمه جبريل على النبي ﷺ في عشرين سنة. إذ روى داود بن أبي هند عن الشعبي أن جبريل كان يعارض النبي ﷺ بما أنزل عليه في سائر السنة في شهر رمضان. (قال أبو شامة: وكأنه نزل عرضه وإحكامه في رمضان من كل سنة منزلة إنزاله فيه، مع أنه قد لا ينفك من:

-إحداث إنزال ما لم ينزل.

-أو تغيير بعض ما نزل بنسخ.

-أو إباحة تغيير بعض ألفاظه على ما سيأتي.

* وإن ضم إلى ذلك كون ابتداء، نزوله في شهر رمضان ظهرت قوته»[1] .

---

(١) المرشد الوجيز (تحـ طيار آلتي) ٢٤.

وروى في موضع آخر أن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل.

*وهي التي بين فيها ما نسخ وما بقى»[1].

٨ – قول الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ):

جاء في البرهان في علوم القرآن للإمام الزركشي «وقد يشكل هذا القول على بعض الناس فيقول، هل كان جبريل يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات؟ فيقال له: إنما يلزمنا هذا إن قلنا إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد»، «ونحن قلنا»:

* كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمر سبعة»[2].

٩ – وجاء في شرح الطيبي (شرف الدين الحسين بن عبد الله (ت ٧٤٣هـ):

«كان يُعْرَض على النبي ﷺ القرآنُ كلَّ عام مرة، فعُرِض مرتين في العام الذي قبض فيه«.

«كان يعرض» (مظ) [3] يعني يأتيه جبريل –عليه السلام–، ويقرأ القرآن عليه من أوله إلى آخره.

-«لتجديد اللفظ».

-«وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها»،

---

(١) نفسه ٦٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن تحـ محمد أبي الفضل إبراهيم ١/ ٢٣٠.

(٣) هذا رمز لأحد الشراح الذين استمد منهم الإمام الطيبي.

-وليكون سنة في حق الأمة. لتجدد التلامذة على الشيوخ قراءتهم»[1].

(ثم قال الطيبي ما خلاصته أن تحقيق هذه الأغراض لا يتأتى إلا إذا كانت الصيغة أن النبي كان يَعْرِض على جبريل، ثم أخذها من شرح رواية تؤخذ منها الأغراض المذكورة هي أن زيد بن ثابت قرأ على الرسول في العام الذي قبض فيه مرتين، وما رواه أن زيد بن ثابت شهد العرضة الأخيرة التي عرضها رسول الله على جبريل، وأن قراءة زيد بن ثابت هي القراءة التي قرأها رسول الله على جبريل في العام الذي قبض فيه مرتين[2].

١٠ – وفي فضائل القرآن للإمام أبي الفداء إسماعيل بن عمر (بن كثير) (ت ٧٧٤هـ): «والمراد من معارضته له بالقرآن كل سنة مقابلته على ما أوحاه إليه عن الله تعالى:

أ – «ليبقى ما بقىَ».

ب – «ويذهب ما نُسِخ».

ج – توكيداً واستثباتاً وحفظاً».

ولهذا عرضه في السنة الأخيرة من عمر النبي ﷺ على جبريل مرتين، وعارضه به جبريل كذلك، ولهذا فَهِم عليه الصلاة والسلام اقترابَ أجله»[3].

١١ – ١٢ -الإمام محمد بن يوسف الكرماني (ت٧٨٦هـ)، والإمام بدر الدين محمود بن أحمد (العيني) (ت ٨٥٥هـ):

---

(١) ينظر شرح الطيبي (تحـ. عبد الحميد هنداوي وزميله). نزار الباز ٥/ ١٦٢٩.

(٢) نفسه.

(٣) فضائل القرآن لابن كثير (تح الحويني) ١٥٠-١٥١.

قال الإمام العيني في عمدة القارئ[1]:

«ومنها ما قيل: ما الحكمة في مدارسته القرآن في رمضان؟ وأجيب بأنها كانت:

-«لتجديد العهد واليقين».

وقال الكرماني:

-وفائدة درس جبريل تعليم الرسول ﷺ تجويد لفظه، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها».

-وليكون سنة في هذه الأمة كتجويد التلاميذ على الشيوخ قراءتهم».

-وقيل الحكمة في المدارسة أن الله تعالى ضمن لنبيه أن لا ينساه فأقره بها».

١٣- كلام الإمام محمد بن عبد الدايم البرماوي (ت ٨٣١هـ) جاء في لطائف الإشارات لفنون القراءات[2] لشهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣هـ): «وفي شرح البخاري للبرماوي في معنى مدارسة جبريل للنبي ﷺ أن معناه:

-تعلم مخارج الحروف، وكيفية النطق بها. وكذلك قال الكرماني وعبارته: وفائدة درس جبريل تعليم الرسول تجويد لفظه، وتصحيح إخراج الحروف من مخارجها.

-وليكون سنة في حق الأمة لتجويد التلامذة على الشيوخ قراءاتهم» اهـ.

-قال القسطلاني- في ما يعد موافقة للبرماوي: «ولا مِرْية أنه كما يُتعبد

---

(١) عمدة القارئ ١/ ٧٦.

(٢) بتحقيق الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين ١/ ٢٠٩.

بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده يتعبد بتصحيح ألفاظه، وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة [عن أئمة القراء، ومشايخ الإقراء، المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا يجوز مخالفتها، ولا العدول عنها..».

١٤ - قول الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حَجَر العسقلاني (ت٩٥٢هـ):

في شرحه لحديث للبخاري حديث معارضة جبريل النبي عليهما الصلاة والسلام بالقرآن قال ابن حجر: إن الكلام عن المعارضة طَرَفٌ من حديث وصله بتمامه في علامات النبوة، وتقدم شرحه في باب الوفاة النبوية من آخر المغازي، وتقدم بيان فائدة المعارضة في الباب الذي قبله»[1] اهـ ولم أجد فائدة المعارضة في الباب الذي أشار إليه ابن حجر. وهو باب مرض النبي ﷺ ووفاته[2] كما لم أجدها عند الكلام عن (المدارسة) في حديث بدء الوحي[3] لكني وجدت في هذا الموضع الأخير ما يلي «فإن قيل:

-«المقصود (أي من المدارسة) تجويد الحفظ. قلنا الحفظ كان حاصلاً، والزيادة فيه تحصل ببعض المجالس» إلخ.

كما وجدت في «باب كان جبريل يعرض القرآن» من كتاب «فضائل القرآن»، في نسبة حضور العرضة الأخيرة إلى ابن مسعود.

-فعلم (أي ابن مسعود) ما نُسِخَ من ذلك وما بُدِّل».

---

(١) فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٤١٩.

(٢) ينظر السابق ٩/ ١٩٣ و٢٠١.

(٣) ينظر السابق ١/ ٣٤.

وقال ابن حجر بعد ذلك:

«واختُلف في العَرْضة الأخيرة هل كانت بجميع الأحرف المأذون في قراءتها أو بحرف واحد منها، وعلى الثاني فهل هو الحرف الذي جمع عليه عثمان جميع الناس أو غيره. وقد روى أحمد وابن أبي داود والطبري من طريق عَبيدة بن عمرو السلماني أن الذي جَمَع عليه عثمانُ الناسَ يوافق العرضة الأخيرة [ثم ذكر قول ابن سيرين كان جبريل يعارض النبي ﷺ بالقرآن... وفي آخره قول ابن سيرين «فيُرَوْن أن قراءتنا أحدثُ القراءات عهداً بالعرْضة الأخيرة». وعنه الحاكم نحوه من حديث سَمُرة وإسناده حسن، وقد صححه هو، ولفظه: «عُرِضَ القرآن على رسول الله ﷺ عَرَضات، ويقولون إن قراءتنا هذه هي العَرْضة الأخيرة. (ثم الكلام عن أن قراءة ابن مسعود هي القراءة الأخيرة وأنه حضر العرضة الأخيرة)»[1].

١٥ - وفي (لطائف الإشارات لفنون القراءات) لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد القَسْطَلاّني المصري (ت٩٢٣هـ).

«وفي معارضة جبريل النبي ﷺ بالقرآن في شهر رمضان حكمتان:

-«إحداهما تعاهده».

-«والثانية: تبقية ما لم ينسخ منه ورفع ما نسخ».

فكان رمضان ظرفاً لإنزاله جملةً، وعَرْضاً وإحكاماً»[2].

---

(١) فتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٤١٩-٤٢٠.

(٢) لطائف الإشارات للقسطلاني تحـ الشيخ عامر السيد عثمان، د. عبد الصبور شاهين ص٢٣.

١٦ – وقال العلامة محمد الخضر الجكني الشنقيطي (ت١٣٥٤) في كتابه (كوثر المعاني الدراري)[1] وهو شرح للبخاري:

«وإنما دارسه القرآن:

-لكي يتقرر عنده ويرسخ أتم رسوخ، فلا ينساه أبداً. وهذا إنجاز لما وُعِدَ به رسول الله ﷺ حيث قال سبحانه ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾.

تجميع:

وبتجميع ما قال أولئك الأئمة المتقدمون في فائدة معارضة جبريل النبي عليهما السلام بالقرآن نجد أن ما قيل في ذلك هو:

١ – إحكام الله سبحانه ما يشاء من القرآن –كما في عبارة الشعبي وما تبناه أبو عبيد بروايته عبارة الشعبي وحدها.

٢ – تثبيت ما يشاء سبحانه وتعالى –كما في كلام الشعبي، ورواية أبي عبيد، والزركشي وعبارته: تجديد اللفظ، وابن كثير وعبارته: ليبقى ما بقى توكيداً واستثباتاً وحفظاً، والعيني وعبارته: تجديد العهد واليقين، وابن حجر وعبارته: تجويد الحفظ، والقسطلاني وعبارته: تعاهده وتبقية ما لم ينسخ، والجكني وعبارته: لكي يتقرر عنده ويرسخ أتم رسوخ،

٣ – محو ما يشاء سبحانه وتعالى. قال بذلك الشعبي، وأبو عبيد، والقسطلاني.

٤ – إنساؤه سبحانه نبيه ﷺ ما شاء كما قال الشعبي وأبو عبيد.

---

(١) كوثر المعاني الدراري ١/ ٣٠٩.

٥ - ينسخ ما يشاء سبحانه وتعالى -كما قال ابن قتيبة، والبغوي، وأبو شامة، وابن كثير، وابن حجر.

٦ - يحدث الله من ذلك ما يشاء كما قال ابن قتيبة، والبغوي، وأبو شامة.

٧ - ييسر الله على عباده ما يشاء- كما قال ابن قتيبة.

٨ - كان جبريل يأخذ عليه ﷺ في كل عرضة بوجه من وجوه القراءة- قال ذلك الداني، والبغوي، والزركشي، وابن عطية، وتردد ابن حجر في العرضة الأخيرة أكانت بالأحرف كلها أم بحرف واحد منها.

٩ - تصحيح جبريل للنبي عليهما السلام إخراج الحروف من مخارجها. قال بذلك البرماوي والكرماني وعبارتهما «تعلم مخارج الحروف وكيفية النطق بها، وجاء في شرح الطيبي منسوباً لأحد روافده وقاله العيني منسوباً للكرماني.

وتلخيصاً لكلام أولئك الأئمة: نقول:

١ - إن الإحكام هنا لا يفسر إلا بما يقابل النسخ ونحوه، وهذا هو الذي لا يتصور غيره، فلم يُرْوَ أبداً أن آية قدمت أو أخرت عن مكانها الذي أقرت فيه عندما أُوحِيَ بها، كما لم يُرْوَ أبداً أن كلمة غُيِّرَتْ بعد أن أنزلت، وأما قراءة أُبَيّ (مروا فيه) وقراءة ابن مسعود (مَضَوْا فيه)- والمنزل ﴿ مَّشَوۡاْ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢٠][1] وما هو من هذا القبيل، فهذا كان من الأخذ برخصة الأحرف السبعة، ونُسخ، واستقرت القراءة على المنزل الذي كتب بين يدي النبي ﷺ فورَ نزوله. فالمقصود بالإحكام هنا الإقرار بمعنى التثبيت. وهو يشمل أمرين.

أ - تثبيت حفظ النص الكريم، وهو ما عبروا عنه بتجويد الحفظ، وتجديد

---

(١) ينظر (البحر العلمية ١/ ٢٢٨).

العهد، والتعاهد إلخ.

ب – إقرار النص بمعنى بقائه غير منسوخ.

٢ – محو ما يشاء الله نسخه أو إنساءه، والثلاثة (المحو والنسخ والإنساء) خلاصة ما يقصد بها واحدة.

٣ – إحداث ما يشاء الله. المقصود بها –بعد ما ذكرناه آنفاً في (١): إضافة وحي جديد.

٤ – التيسير بوجوه من القراءة كما قيل عن القراءة في كل عرضة بوجه.

٥ – تصحيح نطق النبي ﷺ للقرآن (تجويد النطق).

مناقشة:

نظراً إلى أن معارضة جبريل النبي –عليهما السلام– بالقرآن أمر غيبي، بمعنى أنه لم يرد أن هناك من حضر هذه المعارضة وحكى لنا بنفسه أنه حدث فيها كذا وكذا، وإنما وردت روايات تقول إن زيد بن ثابت (وقيل عبد الله بن مسعود) حضر هذه المعارضة وعلم ما نُسِخ وما لم يُنْسخ. نقول نظراً لذلك فإن ما أوردناه آنفا من كلام الأئمة منذ الشعبي إلى الجكني هو اجتهادات منهم من حق العلم أن نناقشها. وسنتبع الترتيب الذي أوردناه في التلخيص.

١ – تثبيت حفظ النص أو تجويد الحفظ: تجويد الحفظ أمر من المعتاد تماماً وقوعُه بكثرة الترديد –كما يتمثل هنا في المعارضة– مع استحضار جلالة قدر القرآن وقدر النبي ﷺ وخصائصه الشريفة، ومع التكرار اليومي من النبي ﷺ في ورده، وفي صلواته ﷺ وخُطبه، وتلاوته القرآن في دعوته ﷺ الناسَ إلى دين الله، وعلى ذلك فلا غرابة في وقوع تجويد الحفظ أو تثبيته سواء أكان ذلك

مستهدفاً أو تبعاً لغرض آخر.

٢ - النسخ. والمقصود هنا نسخ التلاوة أي رفع الآية من المصحف، وهو أمر لا يقرره إلا مولانا رسول الله ﷺ أو صحابي سمعه منه ﷺ أو اجتهاد عند وجود تعارض مقطوع به مع علم التاريخ.

إن المسلم المثقف يقرأ قوله تعالى: ﴿ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ﴾ فيعلم أن من القرآن ناسخاً ومنسوخاً، ويسمع أو يطلع على ما قيل عن آية الرجم التي كانت في سورة البقرة، وما قيل عن تحديد قرآني كان لعدد الرضعات المحرِّمة، وعدة أمور أخرى[1] يسمع أنها كانت في القرآن ولا يجدها في المصحف، وهنا إذا كانت الثقة كاملة بصحة الأخبار عن تلك الأمور فإنه يصدّق بالخبر أو الاجتهاد الصحيحين أنها مما نُسخ من القرآن، والظرف المناسب تماماً لوقوع ذلك النسخ هو زمن المعارضة، لأن أحد طرفيها هو المَلَك الذي تَلَقّىَ القرآن من رب العالمين، فهو سبحانه الذي يَنسخ ما يشاء ويُبْقي ما يشاء.

جاء في الإتقان «قال ابن الحصار: إنما يُرْجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ، أو عن صحابي يقول آية كذا نَسخت كذا. قال: وقد يُحكم به عند وجود التعارض المقطوع به (يعني بين عين المعنى في آية وعينه في آية أخرى) مع علم التاريخ ليُعرف المتقدم والمتأخر. قال: ولا يُعْتمد في النسخ قول عوامّ المفسرين، بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا تعارض بين، لأن النسخ رَفْعُ حكم وإثبات حُكم تقرر في عهده ﷺ والمعتمد فيه النقل والتأريخ

---

(١) ينظر الإتقان للسيوطي النوع ٤٧ الضرب الثالث (عالم الكتب ٢/ ٢٤-٢٥).

دون الرأي والاجتهاد»[1].

وأقول إنه يكفي – بالنسبة للآية المقول بأنها نُسخت– أن تكون غير موجودة في المصحف، فإذا ثبت ثبوتاً علميًّا أنها كانت تُقْرأ من قبل، فإن عدم وجودها في المصحف هو الشاهد على أنها نُسخت، ويكون ذلك النسخ قد تم في أثناء المعارضة.

فالقول بأن من فوائد معارضة جبريل النبي عليهما السلام بالقرآن: بيانَ ما نُسخ من القرآن= هو أجدر الأقوال في فوائد المعارضة بالصحة، لأن المعارضة هي أنسب الظروف لوقوع ذلك، بل ليس بين أيدينا أوثُق منها لبيان ذلك. ولا يخفى أن المحو مقصود به النسخ، وكذلك الإنساء.

٣ – «إحداث ما شاء الله أن يحدثه في النص الكريم». ولا يكون هذا الإحداث بعد ما أسلفناه– إلا النسخ، أو الإتيان بوحي جديد. فالنسخ ذكرناه. والإتيان بوحي جديد في المعارضة يبعده أنها (معارضة) بين ما هو موجود –قَبْلاً– عند النبي ﷺ من القرآن، وما يقرؤه جبريل –عليه السلام–. لكن الاحتمال قائم. ولم يمُرّ بي أن قرآنا أنزل في أثناء المعارضة.

٤ – التيسير إما بإباحة أن يقرأ العرب القرآنَ كلٌّ بلغته كما قال ابن قتيبة، أو ما قيل عن القراءة في كل عرضة بوجه. وهذه الفائدة من فوائد المعارضة= فرض سبق إليه الإمام أبو عمرو الداني[2]، أو ربما الإمام أبو بكر الباقلاني قبله–

---

(١) الإتقان للسيوطي: النوع ٤٧ (عالم الكتب ٢/ ٢٤).

(٢) ينظر جامع البيان في القراءات السبع للإمام أبي عمرو الداني (تحـ الطرهوني وصاحبه ١/ ١١٥).

للتخلص من مأزق كيفية ذكر الكلمة سبع مرات في المعارضة بناء على رأيهم في المراد بالأحرف السبعة.

وأبرز ما جاء له هذا الافتراض الذي عدُّوه كأنه حقيقة هو القول بأن المقصود هو الإباحة للعرب أن يقرءوا القرآن بلغاتهم «التي جرت عادتهم باستعمالها على اختلافهم في الألفاظ والإعراب، ولم يكلَّف أحدٌ منهم الانتقال عن لغته إلى لغة أخرى، للمشقة، ولِمَا كان فيهم من الحَمِيّة، ولِطلب تسهيل فهم المراد» وأضاف بعض القائلين بهذا الرأي أن «الإباحة المذكورة لم تقع بالتشهي، بأن يغير كل أحد الكلمة بمرادفها في لغته، بل المراعى في ذلك السماع من النبي ﷺ»، قال السيوطي: «واستشكل بعضهم هذا بأنه يلزم عليه أن جبريل كان يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات. وأجيب بأنه يلزم هذا لو اجتمعت الأحرف السبعة فى لفظ واحد. ونحن قلنا كان جبريل يأتى في كل عرضة بحرف إلى أن تمت سبعة»[1].

أ - إباحة الله سبحانه وتعالى- للعرب أن يقرأ كل بلغته جاءت إشارات إليها كثيرة[2] ، لكن لم يرد بها خبر قوى يعتمد عليه، ولم يذكر أحد أن تنفيذ ذلك على فرض صحته- وقع فى أثناء المعارضة. وبهذا تستبعد من أن تكون هى المقصود بالتيسير فى أثناء المعارضة.

وأقول هنا إن قراءة العربى –فى ذلك الوقت- القرآن بلغته (:بلهجته) هو أمر طبعي، لأنه الأصل، ولأنه لم يُذْكر أنه وقع اختلاف بشأن هذا الأمر، ولو

---

(١) ينظر الإتقان النوع ١٦/ المسألة الثالثة (عالم الكتب ١/ ٤٥).

(٢) ينظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص٣٩، (المرشد الوجيز) لأبي شامة ٩٦-٩٧، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين النيسابوري (تحـ زكريا عميران) ١/ ٢٤.

كان هناك إلزام في ذلك الزمن (أعني زمن صَدْر الدعوة في حياة الرسول ﷺ) بأن يقرءوا بلغة قريش مثلاً لجاءت آثار بذلك عن شكاوي أو معاناة مثلاً[1]. بل أقول إن الأثر الذي جاء بإباحة القراءة باللهجات ليس حاسماً. وحصيلته ثابتة دونه، بأن هذا هو الأصل والمتبادر- أعني أن يقرأ كلٌّ بلغته.

ب – قراءة جبريل مع النبي عليهما السلام في كل عرضة بوجه أمر لم يرد به أي أثر. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فهو أمر يمنعه العقل من عدة جوانب: أحدها أن التيسير رخصة للناس أن يقرءوا «كما تيسير» لهم. ولا يسوغ أن يقال ذلك لهم ثم يُعَيَّن لهم، ما يتيسر، ويُلْزَموا به بمقتضى المعارضة، فتكون النتيجة: إما أن تقرأ الكلمة كذا أو كذا دون أي شيء آخر. إن التيسير يتمثل في أن يقرأ القارئ بدل الكلمة القرآنية التي ذَهِل عنها أَيَّةَ كلمة يختارها هو بشرط أن تكون بمعنى التي ذهل عنها أو قريبة منه. أما تعيين الكلمات البديلة فهو تكليف لمن شاء التيسير بحفظ الكلمات البديلة. أي أنه بدلاً من حفظ كلمة أصبح عليه أن يحفظ اثنتين أو ثلاثاً «إلى سبع»؟

ثانيها: أن الكلمات أو العبارات المستصعبة لكونها من غير لغة القارئ، أو لأنه نسيها أو لا يعقلها= تختلف من شخص لآخر، وهذا أمر لا يحاط به.

ثالثها: أن البدائل الميسرة للكلمات المستصعبة تختلف أيضاً من شخص إلى آخر، وهذا أمر لا يحاط به أيضاً.

فبأيٍّ من هذه الأمور التي لا يحاط بها تقع المعارضة!!

---

(١) حتى مع ما جاء في المرشد ٩٦-٩٧ فإني أرجح أن الأمر كان يقتضي معاناة وشكوى تظهر بأكثر مما تعبر عنه هذه الرواية التي تحتاج تخريجاً وتوثيقاً.

إن القول بأن المعارضة كانت تقع كل مرة بوجه من وجوه القراءة هو تبرع جزافي مبني على تصور غير محدد للأحرف السبعة. فهذه الفائدة من فوائد المعارضة= غير مسلمة.

٥ - تصحيح نطق النبي ﷺ للقرآن (=تعليم جبريل النبي ﷺ تجويد نطق القرآن). هذا الزعم خطيئة كبيرة. فالتجويد ليس إلا نطقَ القرآن الكريم كما ينطقه العرب الفصحاء، والنبي ﷺ «أَعْرَبُ العَرَب»، و«أفصحُ العَرَبِ» وهاتان عبارتان من حديثين شريفين[1]. وجاء في مقدمة تاج العروس المقصد الخامس في بيان الأفصح. قال أبو الفضل: أفصح الخلق على الإطلاق سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ. قال ﷺ «أنا أفصح العرب» رواه أصحاب الغريب، ورووه أيضاً بلفظ «أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أني من قريش» وإن تُكُلّم في الحديث» اهـ. ونُقِل عن أبي الخطاب بن دِحْية: اعلم أن الله تعالى لما وضع رسوله الله ﷺ موضع البَلاغ من وَحْيه، ونَصَبه مَنْصِبَ البيان لدينه، اختار له من اللغات أَعْرَبَها، ومن الألسن أفصحها وأبينها، ثم أمده بجوامع الكلم» اهـ وأُحيلُ إلى فصل مختصر عقده القاضي عياض عن فصاحته ﷺ[2]. إن تبليغ رسالة الله عز

(١) قال ﷺ «أنا أعرب العرب: ولدتني قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر، فأنَّى يأتيني اللحن» الجامع الصغير (أنا)، ورمزه (طب عن أبي سعيد ضن) وفي رواية أخرى «أنا أعربكم: أنا من قريش، ولساني لسان بني سعد بن بكر»: الجامع الصغير (أنا) ورمزه (ابن سعد عن يحيى بن يزيد السعدي مرسلاً ح/ح) وهناك ثالث «أنا أفصح العرب بيد أني من قريش، ونشأت في بني سعد» (تاج العروس ولسان العرب/ بيد) وهناك قوله ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي» وهو حديث صحيح. والتأديب ينصب أصلاً على تعليم اللغة.

(٢) ينظر (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) للقاضي عياض (تحـ على البجاوي) الفصل الخامس من الباب الثاني من القسم الأول (ط بعناية الشيخ محمد البطاوي ص٩٥).

وجل المعبَّر عن مُجْملها وأكثر تفاصيلها بالقرآن الكريم يستلزم ضرورة أن يكون مُبَلِّغ هذه الرسالة ﷺ هو أَقْدَر وأَوْعَى مَنْ يُحِيط ويَسْتَشْعِر كلَّ ما تحمله كلماتُ القرآن وعباراتُه من معان. والعربية خاصة لغة تعبيرية يرتبط استشعار كمال معانيها بكمال فصاحة أدائها. وما جاء من قوله سبحانه ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً ﴾ هو توجيه مرتبط تماماً بقوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ ﴾ من حيث إن حالة الوحي حالة فريدة، وبخاصة في ظروف بدء هذا التكليف الأسنى والأعظم من كل تكليف وقع لبشر على هذه الأرض. وهل كان محمد ﷺ أعجمياً حتى يُعَلَّمَ مخارج الحروف. إن هذه القولة التي اقترن القول بها بعبارات فيها جفاء وتزيد، ردّدها البرماوي والكرماني تستحق الاستغفار لكلّ من قال بها.

فالقول بأن تصحيح نطق النبي ﷺ كان غرضاً من أغراض المعارضة قول مردود تماماً، لأنه لا يليق بمقام مولانا رسول الله ﷺ: أعرب الخلق، وأفصح الخلق بإجماع العلماء ﷺ. وهذا القول تبرع من صاحبه لا أصل له. وإنما أراد أن يحسن فأساء. غفر الله لنا وله.



(خلاصة):

وبما تقدم يتبين أن ما يمكن التسليم بأنه كان من أغراض المعارضة مما قاله الأئمة هو:

١ – تثبيت الحفظ، والتعاهد. وما إلى ذلك.

٢ – إقرار ما هو غير منسوخ من النص الكريم.

٣ – بيان ما نسخت تلاوته من النص الكريم.

٤ – قد يكون هناك إضافة وحي جديد.

٥ – جواز قراءة كل عربي بلهجته ... قلنا إنها الأصل ولا تحتاج تشريعا. لكن إذا ثبت التشريع لها بإبلاغ جبريل النبي ﷺ[1] فإن زمن المعارضة مناسب لها كغيره من الأزمان.

كما تبين أن ما قيل من أن أغراض المعارضة تضمنت:

١ – الإتيان في كل عرضة بوجه.

٢ – تعليم النبي (ﷺ ونزه الله كل شأنه عن كل عيب) تجويد قراءة القرآن الكريم.

فإن كلا (الغرضين) تبرع من قائليه لا أصل له، بل الأول تسور على أمر غيبي بلا أدنى بينة، والثاني كذلك ويضاف إليه الجفاء الحادّ المقتضى للاستغفار. غفر الله لنا ولهم.

---

(١) أ – ينظر (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة ص٣٩، و ص ١٦٢ هامش (٢) في كتابنا هذا.

ب – ثم ينظر ص ٥٩ وما بعدها في هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

٥

تصويب آراء للإمام الداني رحمه الله تعالىٰ

جاء في جامع البيان للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت٤٤٤هـ):

«قال أبو عمرو: وجملة ما نعتقده من هذا الباب وغيره من إنزال القرآن [١]. وكتابته وجمعه وتأليفه وقراءته ووجوهه ونذهب إليه ونختاره: أن القرآن منزَل على سبعة أحرف كلها شاف كاف وحقٌّ وصوابٌ، وأن الله تعالى قد خيّر القراء في جميعها وصوّبهم إذا قرءوا بشيء منها، وأن هذه الأحرف السبعة المختلِف معانيها تارة وألفاظها تارة مع اتفاق المعنى= ليس فيها تضادٌّ ولا تنافٍ للمعنى ولا إحالة ولا فساد[٢].

وجاء في جامع البيان أيضاً:

أ - «أن رسول الله ﷺ كان يعرض القرآن على جبريل -عليه الصلاة والسلام- في كل عام عرضة، فلما كان في العام الذي توفى فيه عرضه عليه عرضتين،فكان جبريل -عليه السلام- يأخذ عليه في كل عرضة بوجه وقراءة من هذه الأوجه والقراءات المختلفة، ولذلك قال ﷺ إن القرآن أنزل عليها،

---

(١) كلمة (القرآن مكتوبة (القراء) تحريفاً.

(٢) جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحـ عبد الرحيم الطرهوني وزميله ١/ ١١.

وإنها كلها شاف كاف»[1]. وجاء فيه بعد ذلك «وأنا لا ندري حقيقة أي هذه السبعة الأحرف كان آخر العرض، أو آخر العرض كان ببعضها دون جميعها»[2].

ب - «وإن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطتها الأمة على اختلافها عنه وتلقتها منه. ولم يكن شيء فيها مشكوكاً فيه ولا حرف بآية»[3].

ج - «وأن أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- ومن بالحضرة من جميع الصحابة قد أثبتوا جميع تلك الأحرف في المصاحف، وأخبروا بصحتها، وأعلموا بثبوتها، وخيروا الناس فيها كما كان صنع رسول الله ﷺ»[4] اهـ.

* * *

* الإمام الداني ذو قدر بالغ الجلالة، إذ تكاد تكون مؤلفاته هي محور مجال القراءات من حيث قراءات الأئمة السبعة، والوقف والابتداء، ورسم المصحف.

*وتصحيحنا لكلامه -رضي الله عنه- ينصب على النقاط الثلاث التي ميزناها في الفقرات الأخيرة في كلامه:

فقوله في عبارتي (أ) «إن جبريل كان يأخذ عن النبي ﷺ في كل عرضة بوجه

(١) السابق نفسه ١/ ٥١١.

(٢) نفسه ١/ ١٢٢.

(٣) نفسه.

(٤) نفسه.

وقراءة من هذه الأوجه والقراءات المختلفة»، وكذا قوله «وأنا لا ندري حقيقة أي هذه السبعة الأحرف كان آخر العرض، أو أن آخر العرض كان ببعضها دون جميعها» هو كلام مبني على رأيه في معنى الأحرف السبعة في الحديث المشهور «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف».

ورأيه فيه متردد بين أمرين: إما أن المراد بها سبعة أوجه من اللغات[1]، وإما أنها تغيرات في نطق كلم القرآن سُمِّيَتْ أحرفاً «على طريق السعة»[2] يعني الأوجه المتعددة للقراءة «سميت القراءة حَرْفاً من أجل أن منها حَرْفاً قد غُيِّر نظمُه أو كُسِر أو قُلب إلى غيره أو أُميل أو أُزيد أو نُقص منه -على ما جاء في المختلَف فيه من القراءة»[3].

ثم بعد أن ذكر أن الحكمة في إنزال القرآن على سبعة أحرف هي «توسعة الله على عباده ورحمته لهم» عاد لبيان صور اختلاف تلك الأحرف السبعة، فذكر تسعة عشر وجهاً. خمس منها ترجع إلى اختلاف لغات العرب وسننها في كلامها. وإن لم يقل هو ذلك، وقال عن الثامن عشر: إنه اختلاف اللغات كما في اللغات في قراءات (جبريل)، و(إبراهيم)، و(أَرْجِه)، و(تُرْجِى)، و (مُرْجَوْن)، و(يُضاهئون)، و(التَنَاوش)، و(يأجوج)، و(مؤصدة). وعن التاسع عشر إنه هو «التصرف في اللغات نحو الإظهار والإدغام، والمد والقصر، والفتح والإمالة وبين بين، والهمز وتخفيفه بالحذف والبدل وبين بين، والإسكان والروم والإشمام

---

(١) انظر السابق ١٠٧.

(٢) السابق نفسه ١٠٧-١٠٨.

(٣) نفسه ١٠٨.

عند الوقف على أواخر الكلم، والسكون على الساكن قبل الهمز. وما أشبه ذلك»

واحتج للوجهين بحديث ذكر هو إسناده إليه عن سيدنا حذيفة أن رسول الله ﷺ قال «اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها»[1] فالإمام أبو عمرو الداني رحمه الله متردد في المراد بالأحرف السبعة بين رأيين متداخلين أعنى غير متميزين فالأول لغات، وأكثر من ثلث صور الثاني لغات كذلك. وسائر صوره تتعلق بالرسم والضبط.

والذي نلفت إليه في كلام الإمام رحمه الله أن بَدْأه الفقرة الأولى بقوله «وجملة ما نعتقده من هذا الباب من إنزال القرآن» إلخ كأنه بيان لما ينبغي أن تعتقده الأمة، أو يعتقده منها من يتبع الإمام- في هذا المجال. وأرى أن نسبة الجهل إلى الأمة- أو إلى شطر كبير منها كالمؤتمّين بالداني في شأن من شئون القرآن، وهو حقيقةُ ما كان يقع في معارضة جبريل النبيَّ ﷺ بالقرآن= هو أمر خطير، وواجبنا في مثل هذا الأمر الغيبي أن نأخذ من الوارد عن الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإن لم نجد، تحفظنا في التدبر واستخلاص رأي، ولا نصعّد فنقحم تصوُّرَنا غير المقطوع به في الأمر، فنركب غير مقطوع به (رأينا في ما كان يحدث في المعارضة) على غير مقطوع به (: رأينا في المراد بالأحرف السبعة)، فتكون النتيجة بناءً وهميًّا.

ولحسم هذا الأمر نقول:

١ – إن الأحرف السبعة كانت رخصة مؤقتة لمن ذَهِل عن كلمة قرآنية، أو

---

(١) ينظر جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني تحـ الطرهوني وصاحبه ١٠٧-١٠٨ ثم ١١٠-١١٥.

تعسّر عليه حفظُها لأنها ليست من لغته- أن يقرأ بكلمة بديلة بمعناها أو بمعنى قريب منه، وكان ذلك لتيسير أمر حفظ القرآن على الناس- وقد عرف الداني ذلك وصرح به كما ذكرنا» والنبي ﷺ يبلغ إجازة الأحرف السبعة للأمة، وهو ﷺ رأس الأمة فهي له ﷺ من باب أولى، لكنه ليس هو المقصود بها أساساً. ومن هنا يتأتي أن يكون ﷺ أقرأ بعض الصحابة ببعض كلمات من سورة ما تختلف عن كلمات في موضعها من نفس السورة أقرأ بها صحابيًّا آخر تشريعاً، أو إيضاحاً أو تمثيلاً وتنفيذاً للرخصة، أو لسبب خاص بأحد من أقرأهم –كما في إقرائه ﷺ عمر وهشاماً رضي الله عنهما. وكذلك غيرهما في روايات حديث الأحرف السبعة، فتختلف قراءتاهما، ويصدق على قراءة كلٍّ منهم أن النبي ﷺ أقرأه إياها، وأنها «كذلك أنزلت»، ويتأتى أيضاً أن يكون حدَث شيء من ذلك في معارضة جبريل النبي عليهما السلام بالقرآن، وذلك في إطار التمثيل أيضاً لا الشمول أو التنصيص.

٢ – ووجه التخفيف هو إتاحة الصور القرآنية (إبدال كلمة بكلمة وما أشبه هذا مع تماثل المعنى –حسب حديث «كقولك هلم وتعال» الذي رواه أبو بكرة الثقفي، وجاء عن ابن مسعود- وكلاهما حسن أو جيد، وبه فسر الأحرف السبعةَ سعيدُ بن المسيب، وابنُ سيرين التابعيان»[1]. وطبّقهُ من الصحابة عمرُ

---

(١) حديث أبي بكرة في تفسير الطبري (شاكر ١/ ٤٣)، وحديث ابن مسعود فيه (١/ ٥٠) وينظر عنهما أيضاً الإتقان النوع ١٦، وحديث ابن المسيب ذكر في (الانتصار للقرآن) للباقلاني تحـ عمر القيام ١/ ٣٢٩ وقال المحقق إنه حسن، وحديث ابن سيرين في (المرشد الوجيز) لأبي شامة (تحـ طيار آلتي ٩١) وقراءات الصحابة فيه في ١٠٤، ١١١-١١٣.

وأُبيّ وأَنسٌ وابنُ مسعود وكثيرون غيرهم، وأخذ بهذا التفسير كثير من الأئمة كابن عيينة ومالك وابن وهب، والطبري والطحاوي و«ابن عبد البر، وأبي شامة وغيرهم) وكان الترخيص بذلك لأن العرب المتقدمين لم يتعودوا على الحفظ والتكرار، والالتزام الحرفي بعين تفاصيل القراءة المتلقاة عن النبي –وكان النصّ المنزل من عند الله قد دُوِّن خطيًّا فور نزوله، فلا خوف عليه من التغير بهذه الرخصة. فقد كُتب في عهد أبي بكر جمعا مما كُتب بإملاء النبي ﷺ فور نزوله. ومن صحف أبي بكر أو مصحفه نُسِخَت المصاحف العثمانية التي صورتها بين أيدينا.

٣ – فالقول بأن المعارضة كانت تنصب كليًّا أو جزئيًّا – على أوجه قرائية متلقاة= يُلْغِي التخفيف، لأنه يعني أن الوجه أو الأوجه الجديدة التي أبيح للناس أن يقرءوا بها هي مما يجب الالتزام به- حسب قول الإمام الداني إن جبريل عارض النبي صلوات الله وسلامه عليهما.- بها كلها. وهذا مستحيل نظريًّا وعمليًّا، لأن الرخصة كانت مفتوحة ومتاحة للمسلمين جميعاً في ذلك الوقت، وحسب اختيار كل منهم تبعاً لظروف حفظه وأدائه. والأصل أنهم هم الذين يبدءونها، فإن التيسير كان يتمثل أصلاً في إجازة التحلل من الالتزام الحرفي الدقيق بالمتلقَّى لمن لا تسعفه ظروفه بالحفظ الحرفي، وكانت هذه رخصة للقراءة الشفوية لمن ظروفه تقتضيها[1]، في حين أن النص الأصلي المنزَل ظل محفوظاً كما أُنزِل لأنه كُتِب فور[2] نزوله بإملاء النبي ﷺ ثم نُسِخت تلك

(١) ينظر ما نقلناه في كتابنا (حديث الأحرف السبعة) عن وجه الصعوبة الملجئة للتضرع.

(٢) ينظر ما كتبناه في كتابنا هذا من شواهد فورية تدوين القرآن الكريم، وانظر فصل التدوين =

الرخصة بإجماع الصحابة على المصاحف العثمانية التي نُقِلت من المصحف البكري الذي نُقِل عن العرائض المكتوبة بإملاء النبي ﷺ.

٤ – فنحن نعلم أن المعارضة كانت تقع بحرف واحد هو حرف زيد[١]، وهو القراءة الأصلية المنزَلة التي كُتِبت بين يدي النبي ﷺ فور نزولها، وتُلُقِّيَتْ عنه ﷺ وهي الموجودة في المصاحف التي بين أيدينا، وليس فيها من الأحرف السبعة إلا ما يحتمله الرسم ونصّ عليه الأئمة. وجاء في المرشد الوجيز عن شرح السنة للبغوي: «قال أبو عبد الرحمن السلمي: قرأ زيد بن ثابت على رسول الله ﷺ في العام الذي توفاه الله فيه مرتين. وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله ﷺ وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات. ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه [أي جمع القرآن]، وولاه عثمان كتْبَة المصاحف رضي الله عنهم أجمعين[٢].

= الفوري وثمراته في كتابنا (وثاقة نقل النص القرآني الكريم من رسول الله ﷺ إلى أمته) ص ١٩٦ – ٢٠٤.

(١) ينظر المرجع السابق ص٢٧٦ وما قبلها وما بعدها.

(٢) ينظر المرشد الوجيز لأبي شامة ٦٩، وتعليق وهبي سليمان محقق (فضائل القرآن) لأبي عبيد ص١٥٤ وهما عن (شرح السنة) للبغوي ٤/ ٥٢٥.

وقد جاء في (فتح الباري/ مصطفى الحلبي ١٠/ ٤٢٠) أن ابن مسعود هو الذي حضر العرضة الأخيرة. وأقول: (لو كان هذا صحيحاً لذكره ابن مسعود في غضبته من اختيار زيد – دونه – لكتابة المصاحف العثمانية. فإن شهود العرضة الأخيرة أخص كثيراً من تلقيه سبعين سورة من في رسول الله ﷺ كما كان يحتج في غضبته. رضي الله عنه وغفر لنا تعرضنا لهذه الرواية اللهم آمين.

ثانياً: قول الإمام إن جميع هذه السبعة أحرف قد كانت ظهرت واستفاضت عن رسول الله ﷺ وضبطتها الأمة على اختلافها وتلقتها منه= هو تبرع لا أساس له. فالأحرف كانت منتثرة لا منتشرة: بمعنى أن أفراداً هنا وهناك من الصحابة والتابعين كانوا يقرءون بقراءات مختلفة. أما الجمهور الأعظم من الصحابة- وعلى رأسهم الصحابة الذين تلقت عنهم الطبقة الثانية- فكانوا يقرءون النص موحد الكلمات والجمل والآيات في السور كما تلقوه عن النبي ﷺ، وكما كُتب بين يديه. وربما كان بعضهم يقرأ أمام غيره بكلمة أو بكلمات بقصد التنبيه إلى التيسير، لكنه يحفظه كما تَلَقَّى وكما كُتِبتَ.

والاختلاف العنيف الذي نشب بين الجند في وقعة أرمينية، ولحظه سيدُنا حذيفة وأبلغ أمره إلى أمير المؤمنين عثمان[1]: كان بصفة أساسية بين الجند، وبين غلمان مكاتب التحفيظ، وبين معلميهم أيضاً. فكل من هؤلاء التقطوا الكلمات المختلفة، ونصبوا خلافهم عليها، ولم يكن الاختلاف -بعد استقرار الرخصة- بين الصحابة الذين فقهوا عن النبي ﷺ أن الأمر مجرد تيسير، وأن كُلاًّ ينبغي أن يَقْرأ كما عُلِّم. فـ (الظهور) و(الاستفاضة) كانتا للاختلاف بين الجند وغير الفاقهين، ولم يكن هناك (ضبط) ولا (تلق) للأحرف التي يختلفوا فيها.

ثالثاً: أنا أعجب أشد العجب من إقدام إمام في جلالة قدر الإمام الداني على الزعم «بأن أمير المؤمنين والصحابة قد أثبتو جميع تلك الأحرف السبعة في

(١) ينظر مثلاً (كتاب المصاحف) تحـ د. واعظ آثار ٣٨، ٤٥، ٤٦، ٤٨، وفتح الباري (الحلبي) ١٠/ ٣٩١-٣٩٢.

المصاحف[1]، وأخبروا بصحتها، وأعلموا الناس بثبوتها، وخيروا الناس فيها كما صنع رسول الله ﷺ»، ولا أدرى كيف قال الإمام الداني ذلك مع أنه هو رَوَى عن الذين رأوا مصاحف عثمانية رأى العين، ورأى هو مصاحف منقولة من المصاحف العثمانية، وهي ليس فيها إلا رسم واحد لكل كلمة[2]، نعم قد تتأتى منه قراءات ولكنه رسم واحد. بل إن بعض المصاحف العثمانية، أو صوراً منها متاحةٌ الآن في متاحف الآثار في مصر وغيرها، وليس فيها كلمات مكررة حسب القراءات. بل إن مصاحفنا الحالية منقولة من المصاحف التي رآها أو مما نُقل منها، وليس في أي منها كلمة مكررة حسب القراءات فيها. فمن أين جاء الإمام بهذا الكلام؟ رحمه الله وغفر لنا وله.

لقد عقد الإمام أبو شامة فصلا في كتابه المرشد الوجيز لمسألة (المجموع في المصحف أهو جميع الأحرف السبعة التي أبيحت القراءة عليها أو حرف واحد

---

(١) يترجح أن الإمام الداني تبع الإمام أبا بكر الباقلاني (ت٤٠٣هـ) في القول بأن الأحرف السبعة أثبتت في المصاحف. أي أن الباقلاني هو مبتكر هذا القول. ينظر المرشد الوجيز لأبي شامة ص٦٥، ١٣٨، ١٤٢، ١٤٣ وبخاصة ص١٣٨.

(٢) في (المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار- مع كتاب النقط) للإمام أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (تحـ محمد أحمد دهمان) (نشر دار الفكر بدمشق، الفكر المعاصر بيروت ط٢ سنة ١٩٨٣م) ذكر لرؤية عاصم الجحدري (ت ١٢٨هـ) وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) لمصاحف عثمانية، ورؤية أبي عمرو الداني لمصاحف منقولة منها على النحو التالي:

أ – عاصم الجحدري ص٤٠، ٤١، ٤٨، ٥٧، ١٠٥.

ب – أبو عبيد ص٢١، ٣٥، ٣٨، ٥٣، ٩١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨.

ج – أبو عمرو الداني ص ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٧، ٦٨، ١٠٠.

وهذه أمثلة وليست حصراً؛ لأني توقفت عند ص١٠٨ من الكتاب.

منها) فقال مَيْلُ القاضي (الباقلاني) إلى أنه جميعُها، وصرّح الطبري والأكثرون من بعده على أنه حرف منها، ومال الشيخ الشاطبي إلى قول القاضي في ما جمعه أبو بكر الصديق، وإلى قول الطبري في ما جمعه عثمان رضي الله عنهما. ثم قال أبو شامة «والحق أن يلخص الأمر في ذلك فيقال: المجموع في المصحف هو المتفق على إنزاله المقطوع به، وهو ما كُتِب بأمر النبي ﷺ، أو ثبت عنه أنه قرأ به، أو أقرأ غيره به. وما اختلفت فيه المصاحف حَذْفاً وإثباتاً نحو (من تحتها) أو (تحتها) [التوبة: ١٠٠]، (هو الغني) أو (لهو الغني) [الحديد ٢٤]، (فبما كسبت أيديكم) [الشورى ٣٠] أو (بما...) فمحمول على أنه نزل بالأمرين، وأمر النبي ﷺ بكتابته على الصورتين لشخصين أو في مجلسين، أو أعلم بهما شخصا واحداً وأمره بإثباتهما»(١).

إن الإمام الداني إمام جليل. ولكن «كل يؤخذ منه، ويرد عليه، إلا المصطفى ﷺ» وكلام الإمام الداني لا يجوز إلا إذا فُسِّرَ بأنه يقصد أن المصاحف تشتمل على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة مثل (ملك/ مالك) في الفاتحة، (وما يخدعون/ يخادعون)، (يكذبون/ يُكذِّبون) [البقرة ٩، ١٠]، (وكتُبه/ وكتابه)، (لا نفرق، لا يُفَرِّق) [البقرة ٢٨٥]، (نُنْشِزُها/ نُنْشرها) [البقرة ٢٥٩]، (فتبينوا/ فتثبتوا) [الحجرات٦] ونحو هذا. فهذا يقبل، وعليه استقر جماهير العلماء من السلف والخلف وأئمة المسلمين، وعلى أن المصاحف «جامعة للعرضة الأخيرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل متضمنة لها لم تترك منها حرفاً»(٢).

---

(١) المرشد الوجيز ص١٣٨.

(٢) الإتقان للسيوطي/ النوع ١٦/ الـ(تنبيه) الذي في آخر هذا النوع.

٦

فورية تدوين القرآن الكريم كتابةً(١)

الفورية في أمرٍ ما معناها وقوعه في أول مقتضيه قبل السكون، وبلا فترة أي بلا فاصل زمني بين مقتضيه وبين وقوعه.

والمقصود بفورية تدوين القرآن الكريم أن سيدنا رسول الله ﷺ كان يأمر بعض كتاب الوحي بكتابة ما أوحى الله إليه فور انقضاء حالة نزول الوحي عليه ﷺ، فكان ﷺ يطلب كاتبه أو كتابه (إذا كان المطلوب كتابته أكثر من طاقة فرد عادة) ويملي عليه ما أنزل من الوحي، فيكتبه الكاتب. وإثبات هذه الفورية له ثمرات سنذكرها بعد.

آلية فورية التدوين:

وقد كانت آلية فورية تدوين القرآن الكريم متوفرة متاحة بفضل الله تعالى، فأما في مكة، فقد أسلفنا(٢) أسماء كثير من الصحابة الذين كانوا يكتبون الوحي له ﷺ في العهد المكي، فهذا أحد عناصر الآلية. والقرب المكاني يمكن افتراض توفره، لمحدودية اتساع مكة المكرمة في تلك الحقبة. وذلك بالإضافة إلى الظروف التي كانت تجعل أولئك المسلمين الأوائل بعضهم ألصق ببعض من

---

(١) هذا الموضوع منقول من كتاب (وثاقة نقل النص القرآني الكريم من رسول الله ﷺ إلى أمته) د. محمد حسن حسن جبل ص١٩٦ وما بعدها – مع إضافة شاهد جديد لتلك الفورية.

(٢) ينظر المرجع السابق الموضع نفسه.

سائر الناس، وهي غربة دينهم في بيئتهم، وحدّة حماسهم لِجِدّة الدعوة، وما يَلْقَون من اضطهاد. فتيسر بذلك كله كتابة الوحي كلما نزل وحي. وأما في المدينة فيقول زيد بن ثابت (أكبر كتاب الوحي لرسول الله ﷺ) «كنت جاره ﷺ (أي في المسكن)، فكان إذا نزل عليه الوحي أرسل إلى فكتبت الوحي»[1] فمجاورة كبير كتاب الوحي في المسكن هكذا لرسول الله ﷺ تمثل آلية متاحة لفورية التسجيل، إذ لا يستغرق استدعاء النبي ﷺ كاتبه، وكذا حضور الكاتب – زمنا يذكر، فكان يُستدعَى عند نزول الوحي فيَحْضر ويكتب ما يملي عليه الرسول ﷺ، وهذا هو معنى كون آلية الفورية متاحة.

شواهد فورية التدوين:

لدينا – بفضل الله تعالى عدة شواهد لفورية التسجيل موثقة توثيقا قويا.

الشاهد الأول: جاء في كتاب (الرياض النضرة).

«عن فاطمة بنت عبد الرحمن، عن أمها، أنها سألت عائشة – وأرسلها عمها فقال: إن أحد بنيك يقرئك السلام، ويسألك عن عثمان بن عفان، فإن الناس قد شتموه. فقالت لعن الله من لعنه، فوالله لقد كان قاعدا عند نبي الله ﷺ وإن رسول الله ﷺ لمسند ظهره إلي، وإن جبريل ليوحى إليه القرآن وإنه ليقول له: اكتب يا عُثَيم، فما كان الله ليُنزِل تلك المنزلة عبدًا من نبيه إلا كان كريمًا على الله ورسوله. خرجه أحمد.

وخرجه الحاكمي، وقال: قالت لعن الله من لعنه – لا أحسبها قالت إلا

---

(١) الحديث في فتح الباري (الحلبي ٩/ ٣٢٨ – ٣٢٩).

ثلاث مرات – لقد رأيت رسول الله ﷺ وهو مسند فخذه إلى عثمان، وإني لأمسح العرق عن جبين رسول الله ﷺ وإن الوحي لينزل عليه، وإنه ليقول: إكتب يا عثيم، فوالله ما كان الله ليُنزِل عبدًا من نبيه تلك المنزلة إلا كان عليه كريمًا»[1] فأنت ترى أن فورية تدوين الوحي مجسمة هنا حتى ليكاد الرسول ﷺ يملي على عثمان رضي الله عنه في أثناء نزول الوحي عليه ﷺ.

«ولا يخفى على فطنة القارىء أن سيدنا عثمان رضي الله عنه كان حاضرًا في أثناء هذه المرة من نزول الوحي عليه ﷺ، وكان عثمان صهر رسول الله ﷺ، وكان من كتاب الوحي، فأمره النبي بكتابة ما أنزل عليه ﷺ، ولم يتطلب الأمر استدعاء زيد بن ثابت رضي الله عنه.

الشاهد الثاني:

جاء في صحيح البخاري «لما نزلت ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الآية ٩٥ من سورة النساء] قال ﷺ: ادعو فلانا (أي زيد بن ثابت – كما في رواية أخرى في البخاري أيضًا) فجاءه ومعه الدواة واللوح أو الكتف فقال ﷺ: اكتب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال يا رسول الله: أنا ضرير: (يعني أنه لا يستطيع أن يجاهد لأنه ضرير) فنزلت مكانها ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ

---

(١) ينظر الرياض النضرة في مناقب العشرة لأبي أحمد جعفر الشهير بالمحب الطبري ت ٦٩ هـ (تحـ د. حمزة النشرتي وآخرين. المكتبة القيمة القاهرة) ص ٤٩٢ – ٤٩٣.

﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وفي رواية أخرى قال ابن أم مكتوم «والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت». قال زيد فأنزل الله على رسوله ﷺ وفَخِذه على فخذي، فثقلت على حتى خفت أن تُرَضَّ فخذي. ثم سُرِّيَ عنه. فأنزل الله (غيرُ أولي الضرر)[1].

فأنت ترى الفورية مجسّمة في استدعاء النبي ﷺ زيدًا بعد نزول الآية (مع أنها آية واحدة) أي دون انتظار لنزول آيات أُخَر، وأمره بكتابتها، ونزول الاستثناء، وفورية كتابته أيضًا[2].

ومع حديث البخاري هذا الذي ذكرناه – جاء في لُباب النقول في أسباب النزول للسيوطي (ص ١٧٥ – ١٧٦) «أخرج ابن أبي حاتم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال «كنت أكتب لرسول الله ﷺ، فكنت أكتب براءة، فإني لواضع

---

(١) ينظر الجامع الصحيح (وهو صحيح البخاري) عناية محمد زهير بن ناصر ٦/ ٤٧ رقم ٤٥٩٢، ٤٥٩٣، ٤٥٩٤.

(٢) هنا مبحث لم يعرض له أحد من قبل هو الفورية في نزول الاستثناء وهو غير فورية تدوين الوحي التي نعالجها بهذا المبحث. ونقول في فورية هذا الاستثناء إنه من قدَر الله تعالى. ليتجلى للمؤمن عاجلُ رحمة الله وإسعافُها إياه عند الإحساس بالشدة مع عمق الإيمان بالله وأنه هو الملجأ، كما في حالة التي ظاهر منها زوجها فأنزل الله ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾، ولدحض ما يتوهم أهلُ الجهل بالله عز وجل من إغفاله تعالى الجزئيات الدقيقة. والقرآن الكريم في اللوح المحفوظ فيه هذا الاستثناء من الأزل لكن بكيفية لا يعلمها إلا هو سبحانه. والأساس العَقَدِيّ العامّ هو ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام ٥٩]. وأخيرًا فإنه ينبغي أن نستحضر أن نزول هذا الاستثناء الفوري هو أمر جارٍ على السُّنّة في نزول القرآن الكريم منجما حسب الوقائع والأحداث كما في الإتقان النوع ١٦ من قول ابن عباس «ونزّله جبريل على محمد ﷺ بجواب كلام العباد وأعمالهم».

القلم على أذني، إذ أُمِرْنا بالقتال، فجعل رسول الله ﷺ، ينظر ما ينزل عليه، إذ جاءه أعمى فقال: كيف بي يا رسول الله وأنا أعمى؟ فنزلت ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة ٩١] وأقول إنه ليس هناك ما يمنع أن تكون هذه واقعة أخرى غير واقعة آية سورة النساء، ولكني أرجح أنها نفس واقعة سورة النساء، ووقع بعض رواة سند ابن أبي حاتم في الوهم في اسم السورة وآية الاستثناء.

الشاهد الثالث:

جاء في مفاتيح الغيب للفخر الرازي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ) في أول تفسير سورة الأنعام «قال ابن عباس رضي الله عنهما إنها مكية نزلت جملة واحدة، فامتلأ منها الوادي، وشيعها سبعون ألف ملك، ونزلت الملائكة فملئوا ما بين الأخشبين (الجبلين اللذين يحيطان بمكة) فدعا الرسول ﷺ الكتاب وكتبوها من ليلتهم - إلا ست آيات فإنها مدنيات ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام ١٥١] إلى آخر الآيات الثلاث. وقوله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ﴾ [الآية ٩١]، وقوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الآية ٢١][(١)].

ولحصر الانتباه في موضوع الفورية نحيل إلى تفسير القرطبي بشأن الآيات المدنيات فالمذكور هنا خمس لا ست، وكذا بشأن الاختلاف في عدد من شيع السورة من الملائكة - ولقد لفتتني رواية مجملة في مفاتيح الغيب فيها تذييل

(١) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للرازي (الغد العربي مجلد ٦/ ٢٠٧).

منير: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما نزل على من القرآن جملة غير سورة الأنعام.. وقد بعث بها إلي مع جبريل مع خمسين ملكا أو خمسين ألف ملك يزفّونها ويحفُّونها حتى أُقرُّوها في صدري كما أُقِرّ الماء في الحوض، ولقد أعزني الله وإياكم بها عزًا لا يذلنا بعده أبدًا، فيها دحض حجج المشركين، ووعد من الله لا يخلفه»[1].

وعودًا إلى الفورية نقول إن ما يهم البحث بشأن الفورية هو ما جاء عن نزول سورة الأنعام جملة، ليلاً، فدعا رسول الله ﷺ الكتاب فكتبوها من ليلتهم.

أ – فأما عن نزولها جملة فقد ذكر في تفاسير: المهدوي وغيره حسب ما ذكر القرطبي في التذكار، وفي تفسيره، وفي تفسير الرازي وابن كثير، وحاشية زاده وكذا حاشئية الجمل – وكله في أول سورة الأنعام.

وذكر في الاتقان النوع الثالث عشر عدة روايات تقرر نزولها جملة. وأحال على الطبراني وأبي عبيدة ثم قال السيوطي: فهذه شواهد يقوي بعضها بعضًا»[2].

ب – وأما عن نزولها ليلا فقد ذكره في الإتقان في النوع الثالث وقال أخرجه الطبراني وأبو عبيد في فضائله. وقد ذكر في (تذكار) القرطبي وتفسير ابن كثير وحاشية زاده على البيضاوي – وكل ذلك عن ابن عباس، وذكر في تفسير

(١) ينظر مفاتيح الغيب (الغد العربي) ٦/ ٢٠٧.

(٢) ينظر الإتقان النوع ١٣ وفضائل القرآن لأبي عبيد (تحـ. د وهبى سليمان) ص١٢٩ ومفاتيح الغيب ٦/ ٢٠٧ وتفسير القرطبي ٦/ ٣٨٢، والتذكار ١٤٨ وتفسير ابن كثير ٢/ ١٢٢ وحاشية زاده ٢/ ١٤٨ والفتوحات الإلهية والحديث فيها كلها عن ابن عباس مع رواية في مفاتيح الغيب عن أنس. وفي التذكار: «في الخبر... ذكره المهدوي وغيره».

القرطبي والفتوحات الإلهية من حيث هو (خبر) [1] وفي مفاتيح الغيب لم يذكر (ليلا) لكن تدل عليها عبارة «فكتبوها من ليلتهم».

ج - وأما دعوته الكتاب وأنهم (كتبوها من ليلتهم) فقد جاء في تفسير الرازي وحاشية زاده مسندا إلى ابن عباس، وفي كتابَي القرطبي التفسير والتذكار ضمن (خبر) وكذا في تفسير المهدوي وغيره - كما ذكر في التذكار، وفي حاشية الجمل. أي أنه ذكر في خمسة تفاسير على الأقل، وهم وثقوا فيه. وأنا أيضًا أثق فيه.

الشاهد الرابع:

جاء في المعجم الأوسط للطبراني عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنت أكتب الوحي لرسول الله ﷺ، وكان إذا نُزِّل عليه أخذته بُرَحاء شديدة، وعرِق عرقًا شديدًا مثل الجمان ثم سُرّي عنه، فكنت أدخل عليه ﷺ بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب وهو يملي عليّ، فما أفرغ حتى تكاد رجلي تنكسر من ثقل القرآن، وحتى أقول لا أمشي على رجلي أبدًا، فإذا فرغت قال: اقرأه. فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس»[2]. فأنت ترى أن زيدًا كان يكتب بإملاء الرسول ﷺ ورِجل الرسول مستندة على رجل زيد، ورِجْل زيد تكاد تنكسر من ثقل رجل رسول الله ﷺ عليها، لأنه ﷺ كان يملي على زيد في أثناء حالة نزول الوحي ﷺ. وهذه فورية في هذا المقام ليس فوقها فورية.

وأهم ما تفيده فورية تدوين النص خطيًّا في هذه الوثاقة أمران:

الأمر الأول: إثبات التوازي الزمني في توثيق نقل النص القرآني الكريم بين

---

(١) ينظر الإتقان النوع الثالث، ثم كل المواضع المذكورة في التعليق السابق عدا مفاتيح الغيب.

(٢) المعجم الأوسط ٢/ ٥٤٤.

التلقي الشفاهي والتدوين الخطي. لقد أشبعنا وأشبع الأئمة قبلنا التوثيق الشفاهي بإثبات مشافهة الرسول ﷺ كثيرًا من أصحابه بما كان يوحي إليه من القرآن الكريم أولاً بأول، وتلقى سائر الصحابة وكثير من التابعين ذلك عن الصحابة الذين شافهوا وتلقوا من رسول الله ﷺ، ثم تلقى أتباع التابعين عن التابعين أو عن بعضهم... وهكذا طبقة من أهل النور عن طبقة سبقتها ويستمر ذلك إلى يوم القيامة إن شاء الله.

وقد وازى هذا التوثيقُ الخطي ذلك التوثيقَ الشفاهي إلى الرسم العثماني ثم استقر إلى يومنا هذا وإلى يوم القيامة إن شاء الله. لقد كان هناك غموض يكتنف الحلْقة الأولى من التوثيق الخطى بين زمن النزول وزمن التدوين. وكان ذلك الغموض يَسمح بأوهام لا ينبغي أن يُسمَح بها في هذا المجال ذي الخطر الجليل: أعني أن يكون التدوين الخطي يتأخر أحيانًا مثلاً لقلة انتشار الكتابة حسب الانطباع العام عن عرب عصر البعثة الشريفة، أو لبُعْد الكاتب أو الكُتّاب، أو لأي سبب آخر. فجاء هذا المبحث فأثبت الفورية وآليتها إثباتًا علميًا يحسم كل توهم في هذا المجال. والحمد لله رب العالمين.

والأمر الثاني: بالغ الأهمية أيضًا، وهو أن ثبوت تدوين وحي القرآن الكريم فور نزوله يتيح وضوحَ أمر يصعب وضوحه بدون ثبوت هذه الفورية. ذلك أن من الأقوال في معنى حديث نزول القرآن على سبعة أحرف قولا نسب لأكثر العلماء والأئمة، وأورد السيوطي سندًا جيدًا له وهو أن المراد بالأحرف السبعة هو القراءة بالمرادف لمن عَجَز عن الكلمة المنزلة – وكانت تلك رخصة مؤقتة نُسِخت بالرسم العثماني. وهذا القول – إذا قُبِل – يثير في النفوس هاجسًا خطيرًا عن الموجود في المصحف الآن أهو الأصل النازل على النبي ﷺ أم المرادف؟

فورية تدوين الوحي تحسم هذا الهاجس، فيظل من المقطوع به يقينا أن الذي في المصاحف الآن هو عين ما كتب بين يدي النبي ﷺ؛ لأن ما كُتِب بين يديه ﷺ كُتِبَ فور نزوله بحيث لم تكن هناك أدنى فرصة لتبديل كلمة باخرى قبل الكتابة. فالرسول نفسه ﷺ لا يمكن أن يبدّل كلمة بأخرى نسيانا مثلا، لأن الفورية لا تتيح النسيان، ولأن الله وعد أن لا يدعه ينسى ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴾ [الأعلى ٦]، ولا عمدًا، لأنه ﷺ أعلم الناس بقداسة كلام الله عز وجل ﴿ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ ﴾ [البقرة ١٨١] ولأن الله رد عنه ﷺ على الكفار الذين قالوا ﴿ ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِىٓ ﴾ [يونس ١٥].

كما أنه تعالى يقول ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ [الكهف ٢٧]، ويقول ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [الحاقة ٤٤ - ٤٦].

إن تفسير الأحرف السبعة في حديثها المشهور برخصة القراءة بالمرادف لمن عجز عن اللفظ المنزل - وكانت رخصة مؤقتة كما قلنا، وانتهت بكتابة المصاحف العثمانية وانتشار وسائل الحفظ - هذا التفسير هو القول التاسع من الأقوال التي جمعها الإمام السيوطي في كتابه الإتقان تفسيرًا للحديث. وهذا القول نُسِب في الإتقان وغيره لأكثر العلماء، لكن قبوله كان يثير التساؤل الذي ذكرناه من قبل. والآن فإن إثبات فورية تدوين القرآن الكريم حين نزوله أولاً بأول تحول دون التحرج من قبول ذلك الرأي لمن شاء أن يقبله، دون أن تعوقه مثل تلك الهواجس التي أشرنا إليها من قبل. والحمد لله رب العالمين.

مراجع الكتاب

١) **أبحاث في العربية الفصحى**، د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمّان.

٢) **إبراز المعاني من حرز الأماني في القراءات السبع للشاطبي** تأليف الإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة. ت ٦٦٥هـ، تحـ إبراهيم عطوه، مصطفى البابي الحلبي. (تاريخ تصدير المحقق ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٣) **إتحاف فضلاء البشر في قراءات الأربعة عشر**، للإمام أحمد بن علي الدمياطي الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، رواه وصححه علي محمد الضباع، دار الندوة الجديدة - بيروت (د. ت).

٤) **الإتقان في علوم القرآن**، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، وبهامشه إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني، عالم الكتب، بيروت (د. ت).

٥) **الأعلام**، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٩٧٩م.

٦) **الانتصار للقرآن**، للإمام المحقق النظار القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣هـ)، تحـ حسن عمر القيام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

٧) **البحر المحيط** (تفسير)، لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، بيروت، تحـ الشيخ عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٨) **البرهان في علوم القرآن**، للإمام بدر الدين الزركشي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).

٩) **البيان والتبيين**، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحـ عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بمصر.

١٠) تأويل مشكل القرآن، للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم (بن قتيبة) (ت ٢٧٦)، تحـ السيد أحمد صقر، دار التراث، القاهرة ط٢، (١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م).
١١) تاج العروس، للزَّبيدي.
١٢) التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر (ابن عاشور)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس ١٩٩٧م.
١٣) التذكار في أفضل الأذكار، للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد ت (٧٦١هـ)، تحـ ثروت محمد نافع، دار التوحيد، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٤) تفسير القرآن العظيم للإمام ابن كثير (أبي الداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، مكتبة التراث الإسلامي، حلب، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
١٥) تفسير الطبري = جامع البيان عن وجوه تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ)، تحـ الشيخ محمود والشيخ أحمد شاكر، دار المعارف بمصر.
١٦) تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن.
١٧) التمهيد في معرفة التجويد، تصنيف أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمذاني العطار ت (٥٦٩هـ) تحـ د. غانم قدوري الحمد، المكتبة الوطنية، العراق، ٢٠٠٠م.
١٨) تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت ٣٧٠هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة.
١٩) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي أبي عبد الله محمد بن أحمد (ت ٦٧١هـ)، دار الكاتب العربي، القاهرة ١٣٨٧هـ.
٢٠) جامع البيان في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤هـ)، تحـ عبد الرحيم الطرهوني، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.
٢١) الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، للإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن

ابن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) وبهامشه كنوز الحقائق في حديث الخلائق للإمام عبد الرءوف المنادي، ط٤، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

٢٢) **جمال القراء وكمال الإقراء**، للإمام علم الدين السخاوي علي بن محمد ت (٦٤٣هـ)، تحـ د. علي حسين البواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة، ط١، ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧م.

٢٣) **حاشية محيي الدين شيخ زادة (ت ٩٥١) على تفسير القاضي البيضاوي** (ت ٦٨٥هـ)، دار صادر، بيروت (د. ت).

٢٤) **الخصائص**، لأبي الفتح عثمان بن جني ت (٣٩٢هـ)، تحـ الشيخ محمد علي النجار، دار الكتاب العربي (تاريخ التصدير ١٣٧١هـ/ ١٩٥٢م).

٢٥) **خصائص لهجتي تميم وقريش**، د. الموافي الرفاعي البيلي، مطبعة السعادة، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٦) **دراسات أصولية في السنة النبوية**، د. محمد إبراهيم الحفناوي، دار الحديث، القاهرة.

٢٧) **الدر المنثور في التفسير بالمأثور**، للإمام السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م.

٢٨) **ديوان الأدب**، للفارابي (أبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم (ت ٣٥٠هـ)، تحـ د. حمد مختار عمر، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ١٣٠٦هـ/ ١٩٧٦م.

٢٩) **رسالة العقائد النسفية**، للإمام أبي حفص عمر بن محمد بن إسماعيل النسفي (ت ٥٣٧)، من خلال شرح الإمام سعد الدين التفتازاني (٧٩٣هـ)، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م).

٣٠) **شرح سعد الدين التفتازاني على العقائد النسفية** (ومعه الخيالي وعبد الحكيم

والعصام)، مطبوعات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر، ١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م.
٣١) شرح الرضي شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي (ت ٦٨٦هـ) مع شرح شواهده للعلامة عبد القادر البغدادي، تحـ الأساتذة محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
٣٢) شرح السنة، للإمام حسين بن مسعود البغوي، تحـ شعيب الأرناءوط وصاحبه، دار المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ، ط٢، ١٤٠٣هـ.
٣٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، للإمام شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣هـ)، تحـ د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط٢ (١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م).
٣٤) شرح مغني اللبيب المسمىٰ بشرح المزج، للدماميني محمد بن أبي بكر بن عمر (ت ٨٢٨)، تحـ د. عبد الحافظ حسن مصطفى العسيلي، مكتبة الآداب، القاهرة، (٢٠٠٧م).
٣٢) شعراء قريش، د. عصام سويدي، رسالة دكتوراه، كلية اللغة العربية بالمنصورة، جامعة الأزهر (نحو ١٩٩٤م).
٣٦) الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ ﷺ، تأليف القاضي عياض اليحصبي (تحـ على محمد البجاوي)، عناية الشيخ محمد البطاوي ١٤٢٨هـ.
٣٧) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبن فارس (أبي الحسين أحمد، ت ٣٩٥هـ)، تحـ السيد أحمد صقر، مكتبة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، (١٩٧٧م).

٣٨) **صحيح البخاري** المسمى الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وأيامه، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، طبع بعناية محمد زهير بن ناصر الناصر، دار المنهاج، ودار طوق النجاة، ط٢، ١٤٢٩هـ.

٣٩) **الظاهرة القرآنية**، مالك بن نبي، ترجمة د. عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.

٤٠) **الظواهر اللهجية في المحرر الوجيز لابن عطية**، رسالة دكتورة، د. سعيد الفواخري، مكتبة كلية اللغة العربية بالمنصورة وكلية اللغة العربية بالزقازيق (جامعة الأزهر).

٤١) **عمدة القاري** (شرح صحيح البخاري)، للعيني (بدر الدين محمود بن أحمد، (ت ٨٥٥هـ).

٤٢) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني (٨٥٢هـ)، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٧٨هـ/ ١٩٥٩م.

٤٣) **الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية**، للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الشهير بالجمل (وبهامشه كتابان)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٤) **فضائل القرآن**، للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ)، تحـ وهبى سليمان غاوجي، جار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٤٥) **فضائل القرآن**، لابن كثير (الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر، ت ٧٧٤هـ)، تحـ أبي إسحاق الحويني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، (١٤١٦هـ).

٤٦) **فهارس كتاب سيبويه ودراسة له**، صنع الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة، در الحديث، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

٤٧) **الكامل**، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحـ محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٤٨) **كتاب المصاحف**، لأبي بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث المعروف بابن أبي داود (ت ٣١٦)، تحـ د. محب الدين واعظ، دار البشائر الإسلامية، ط٢، (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٤٩) **كوثر المعاني الدراري** (شرح صحيح البخاري)، لمحمد الخضر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٥٤هـ).

٥٠) **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، للإمام شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني المصري، تحـ الشيخ عامر السيد عثمان و د. عبد الصبور شاهين، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، (١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م).

٥١) **لغة قريش**، د. مختار سيدي الغوث، النادي الأدبي بالرياض، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).

٥٢) **اللهجات العربية في التراث**، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، (١٩٩٣م).

٥٣) **مجالس ثعلب** (أبي العباس أحمد بن يحيى)ـ تحـ الشيخ عبد السلام عارون، دار المعارف بمصر، ١٩٨٣م.

٥٤) **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، تحـ علي النجدي ناصف و د. عبد الفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، (١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م).

٥٥) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** لابن عطية الأندلسي (أبي محمد عبد الحق. ت ٥٤١هـ/ أو ٥٤٦هـ) تحـ الرحالي الفاروق وعبد الله الأنصاري سيد عبد

العال ومحمد العناني – قطر، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٧م.
٥٦) **المحكم في نقط المصاحف**، ألفه أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تحـ عزت حسن، دار الفكر، ط٢، (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م).
٥٧) **مذاهب التفسير الإسلامي**، تأليف المستشرق اجنتس جولدتسيهر، ترجمة د. عبد الحليم النجار، نشر مكتبة الخانجي بمصر ومكتبة المثنى ببغداد، (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م).
٥٨) **المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز**، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة المقدسي (ت ٦٦٥هـ/ ١٢٦٧م)، حققه طيار آلتي فولاج، دار صادر، بيروت، (١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م).
٥٩) **المزهر في علوم اللغة**، للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحـ محمد أحمد جاد المولى وصاحبيه، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٥٨م.
٦٠) **المصاحف** لابن أبي داود = كتاب المصاحف.
٦١) **المعجم الدلالي للهجات القبائل العربية** د. الموافي الرفاعي البيلي ط١ (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
٦٢) **المعجم الكامل في لهجات الفصحى**، داود سلوم.
٦٣) **المعجم الكبير**، صنع مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
٦٤) **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، للأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي، كتاب الشعب، ١٣٧٨هـ.
٦٥) **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيا والأندلس والمغرب**، لأبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت ٩١٤هـ).

٦٦) المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار – مع كتاب النقط، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ)، تحـ محمد أحمد دهمان، دار الفكر، بيروت، دار الفكر المعاصر، دمشق (١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣).

٦٧) المقتضب في لهجات العرب، د. محمد رياض كريم، (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م).

٦٨) الموسوعة القرآنية المتخصصة، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة (١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م).

٦٩) الميسر في القراءات الأربع عشرة، تأليف محمد فهد خاروف، دار الكلم الطيب، دمشق، ط١، (١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م).

٧٠) النشر في القراءات العشر، للإمام ابن الجزري (محمد بن محمد)، صححه وراجعه الشيخ علي بن محمد الضباع، المكتبة التجارية الكبرى بمصر (د. ت).

٧١) وثاقة نقل النص القرآني الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.



ثبت المحتويات (الفهرس)